



مركز دراسات الدكتوراه : "اللغات والتراث والتهيئة المجالية"  
تكوين الدكتوراه : اللغات والآداب والتواصل  
محور : الدراسات العربية  
مختبر : التواصل وتقنيات التعبير

## أطروحة لنيل الدكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية

في موضوع :

إستراتيجيات التأثير وأبعاد التطبيع في الخطاب السياسي

(مقاربة تداولية حجاجية)

إشراف الأستاذ الدكتور:

- د. المصطفى عمراني

إعداد الطالب الباحث:

- لحسن الشرقي

- الرقم الوطني: 2220983121

- تاريخ المناقشة : الجمعة 19 يوليوز 2019

- لجنة المناقشة :

- الأستاذ الدكتور عبد الرحيم شطبية (كلية الشريعة سايس فاس) رئيسا
- الأستاذ الدكتور يحي هوار (كلية الآداب والعلوم الإنسانية وجدة) عضوا
- الأستاذ الدكتور عبد الرحيم العطري (كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس فاس) عضوا
- الأستاذ الدكتور المصطفى عمراني (كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس فاس) مشرفا

السنة الجامعية :

2018-2019 م

1439-1440 هـ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

# إهداء

إلى من أقف عاجزا عن رد فضلها، مدرستي الأولى في الحياة: والدي  
الكريمين أطال الله في عمرهما، وأدام عليهما نعمة الصحة والعافية.  
إلى شريكة حياتي التي تحملت كثير انشغالي، فكانت نموذجا لنكران الذات:  
زوجتي الغالية.

إلى قرة عيني، ومهجتي، العزيزات: كوثر وفردوس وأريج.

إلى مهد الأنايس والمحبة: إخواني وأخواتي وأصدقائي.

إليكم جميعا أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع.

  
حسن الشريقي

# شكر وتقدير

الحمد لله على نعمته وفضله من قبل ومن بعد أن وفقني لأقف على ثمرة مجهود سنين.

وعرفانا بالجميل، أتقدم بجزيل الشكر للأستاذ الفاضل الدكتور المصطفى عمراني الذي

تفضل بقبول الإشراف على هذا البحث ومصاحبتي وتوجيهي في كل أطواره. فإلى أستاذي

الكريم أتوجه بعظيم الامتنان والشكر على ما أحاطني به من جليل عنايته، وما أوسعني به من

كريم صبره وتفهمه. راجيا من الله، أن يجزيه عن حُسن إشرافه خير الجزاء، وأن يطيل في عمره

ويديم عليه الصحة والعافية.

كما أتوجه بعبارات الشكر والتقدير إلى كل من مد لي يد العون في إنجاز هذه

الأطروحة. وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور عماد عبد اللطيف من مصر، الذي تفضل عليّ في

النقاش معه بأفكار ثرية وتوجيهات مفيدة أضاءت طريقي وأنا في خطواتي الأولى من البحث.

والشكر موصول للأستاذ الدكتور عبد الكريم ابزاري، والأستاذ احساين بن بامو، والأستاذ

محمد بطاس، والأستاذ عبد الغني الصابري، على ما أفادوني به من مراجع وتوجيهات

وتصويبات، وعلى ما تفضلوا به عليّ من تشجيع ودعم في أحلك ظروف البحث. دون أن

تفوتني الفرصة لأشكر بكل تقدير وامتنان، كل الأساتذة الذين تتلمذتُ على أيديهم ، وكل

الأصدقاء والزملاء على تشجيعهم.



## مقدمة

إذا كان من غير الممكن تصور علاقات اجتماعية في معزل عن فعل التواصل، فإنه لا يمكن بالمقابل الحديث عن التواصل بوصفه مؤسسا لهذه العلاقات إلا باعتباره ممارسة تأثيرية، غير أن ثمة فرقا بين الفعل التواصلية الذي يكون من تداعياته تحقيق التأثير بشكل عفوي وتلقائي، وبين الفعل التواصلية الذي يستهدف التأثير بشكل موجه. فالأول تبعا لـ **هابرماس Habermas** يتحدد باعتباره فعلا موجهها بالأساس إلى إشراك الآخر والتفاهم معه، وليس رهان التأثير فيه أولوية، أما الثاني فهو فعل إستراتيجي موجه نحو الآخر للتأثير فيه والتحكم في إرادته.

يمثل الخطاب السياسي الموجه إلى الجماهير أحد مظاهر التواصل الإستراتيجي، فضلا عن كونه خطابا تواصليا عموديا يستحوذ فيه المتكلم السياسي على فعل الإرسال، يتحدد أيضا بكونه خطابا يستهدف بالأساس التأثير في المخاطب. وخلف هذا الرهان الخطابي ينطوي رهان اجتماعي أكبر هو البحث عن الشرعية أو تعزيزها بما يخول للمتكلم ممارسة السلطة.

الكثير من الباحثين الذين تناولوا الخطاب السياسي بالدراسة، خاصة الموجه منه إلى الجماهير، يُؤرّون أنه ليس خطابا إقناعيا بالمعنى الذي يستجيب للضوابط العقلية والأخلاقية للحجاج، لأن السياسي كما يقول **ميلود بالقاضي**: "لا يفكر في السياسية إلا تبعا

لمصالحه"<sup>1</sup>.

يقترن الخطاب السياسي كما يرى كريستيان لوبار **Christian Le Bart** بسمعة سيئة من حيث طريقته في التأثير، ويكفي في ذلك أنه ينعت بـ"الغدة الخشب"<sup>2</sup>، وحيث إن الباعث الأساس الذي يحكم إنتاجه هو الفعالية والغاية، فإنه يستثمر كل ما من شأنه أن يحفز الجمهور على الإذعان لموقف أو التصرف على نحو ما، بغض النظر عن معقولية الحجاج وأخلاقياته. فالنظر في العديد من الخطابات السياسية كما يؤكد شارودو **P. Charaudeau**، يكشف أنها لا تستند بشكل أقوى إلى حجاج عقلي، وإنما تستهدف أكثر التأثير العاطفي<sup>3</sup>. وليس ذلك فحسب، فبعضها يتوسل مختلف أشكال التحايل والتغليب في سبيل إخضاع المخاطب وليس إقناعه.

في هذا السياق أكد بيرلمان **Ch. Perelman** وتيتيكا **L.O.Teteca** أن الحجاج باعتباره ممارسة مجالها المحتمل يجب أن لا تكون موجهة لإلزام المخاطب بموقف، "فالحجاج غير الملزم وغير الاعتباطي هو وحده القمين بأن يحقق الحرية الإنسانية من حيث

<sup>1</sup> - ميلود بلقاضي، الخطاب السياسي بين خطاب السلطة وسلطة الخطاب، مكتبة دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع الرباط، الطبعة الأولى 2011، ص:49.

<sup>2</sup> - Christian Le Bart, , Le discours politique, Paris, PUF 1998 (Que sais-je ?), p :3.

<sup>3</sup> - Patrick Charaudeau, " Quand l'argumentation n'est que visée persuasive, L'exemple du discours politique", in Burger M. et Martel G, Argumentation et communication dans les médias, Coll Langue et pratiques discursives, Éditions Nota Bene, Québec 2005, p:25.

هي ممارسة لاختيار عاقل<sup>1</sup>، ووفق هذا التوجه تسير إسهامات باحثين آخرين اهتموا بدراسة الحجاج أمثال طه عبد الرحمن، وبريطون **Philippe Breton**<sup>2</sup>، وقبل هؤلاء تناول أرسطو مختلف أشكال المغالطات الاستدلالية التي ينبني عليها الحجاج السوفسطائي حتى يُحرز من الوقوع فيها، وهو ما شكل منطلقاً لاجتهادات دارسين آخرين في التوجه التداولي الجدلي.

في هذا الإطار تتحدد المعالم الموضوعية لهذا البحث الذي يروم بشكل عام أن يقف على أهم الإستراتيجيات التي يتوسلها الخطاب السياسي الصادر عن السلطة باعتبارها آليات خطابية تستهدف إخضاع الجمهور المخاطب وتطويعه بدل إقناعه.

إن انشغالنا بهذا الموضوع لم ينشأ من تاريخ التسجيل بسلك الدكتوراه، فهذا الموضوع يمثل امتداداً للبحث الذي قدمناه لنيل شهادة الماستر والذي تناولنا فيه إستراتيجيات التواصل في الخطاب السياسي من منظور سيميائي تداولي، والذي اشتغلنا فيه على خطاب للرئيس

---

<sup>1</sup> - عبد الله صولة، "الحجاج أطره ومنطقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج- الخطابة الجديدة" لبرلمان وتينكا"، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية تونس1، كلية الآداب منوبة، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمادي صمود، سلسلة آداب المجلد 1998/39، ص:301.

<sup>2</sup> - كلاهما يرى أن الاقتناع الذي يُحمل عليه المخاطب بواسطة الحجاج لابد أن ينبع من إرادته، أي بعيداً عن كل ما يُلزمه بالاقتناع. أنظر على التوالي:

- طه عبد الرحمن، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، الطبعة الثانية 2006، ص:34.

- Philippe Breton, L'argumentation dans la communication , Éditions La Découverte, Paris, 3e éd 2003, (Repères :204), p :31.

الفرنسي السابق فرونسوا هولاند **François Hollande**.

لقد وقفت اعتبارات ودوافع عديدة وراء تعميق البحث في الخطاب السياسي الموجه إلى الجمهور، ويمكن أن نجمل هذه الحوافز فيما هو ذاتي، وفيما هو موضوعي:

#### -الاعتبارات الذاتية

لقد كان التحليل كإجراء عملي يستهويننا منذ الصغر، وقد وجدنا في أنفسنا انجذابا أكبر إليه بانفتاح مداركنا على الإجراءات المنهجية والموضوعية في التحليلين الأدبي والفلسفي خلال المرحلة الثانوية، ومع التفتح على أهم المناهج الأدبية والنقدية في التحليل خلال سنوات الإجازة، والاطلاع على آليات وتقنيات جديدة تهتم تفكيك بنى النصوص والخطابات وسبر أغوارها، تولدت رغبة ملحة وثقة في النفس للسير قدما في إشباع هذه الرغبة وصقل إمكاناتنا، خصوصا مع تشجيع الزملاء والأساتذة، وبحث الماستر يمثل ثمرة ذلك.

#### - الاعتبارات الموضوعية:

لقد أفرزت الأوضاع السياسية والاجتماعية التي تشهدها العديد من الدول في العالم تكاثرا هاما في عدد الخطابات السياسية بشتى أصنافها وموضوعاتها، وقد كان لذلك انعكاس جلي في انتعاش المقاربات التحليلية التي تستهدف هذا النوع من الخطاب من مختلف المنطلقات المعرفية والمنهجية خصوصا في الغرب. ولعل ذلك راجع بالأساس إلى الإدراك المتبصر لأهمية الخطاب السياسي في تشكيل الفكر المعاصر وتنميط قيم الإنسان من ناحية، وراجع

من ناحية أخرى إلى الوعي العميق بأهمية الوظائف اللسانية والنفسية التي يمكن أن تقوم بها اللغة السياسية في المجتمع.

وعلى الرغم من الدور الفعال الذي تلعبه اللغة في الخطاب السياسي تواسلا وتطويعا، فإن اهتمام الباحثين العرب بدراسة اللغة السياسية مازال محدودا، عكس الاهتمام المتزايد الذي تعرفه الدراسات الغربية تحليلا ونقدا في تخصصات معرفية مختلفة كالفلسفة وعلم النفس، واللسانيات، والتداوليات، والتحليل النقدي للخطاب... إلخ.

صحيح أن دراسة الخطاب السياسي في الوطن العربي قد عرفت في السنوات الأخيرة انتعاشة، تحقق معها قدر محدود من التراكم النظري والتطبيقي، غير أن ذلك يبقى ضعيفا مقارنة مع ما وصل إليه الاهتمام بدراسة الخطاب السياسي في الغرب. لذلك نعتقد أن دراسة الخطاب السياسي باستثمار أدوات مختلف المقاربات لازال في بدايته، فالكثير من الإشكالات ماتزال في حاجة إلى من يتناولها، والاستناد إلى بعض الإطارات النظرية كالتداوليات وتحليل الخطاب النقدي يعد حسب ما اطلعنا عليه قليلا جدا حتى لا نقول نادرا.

وعلى الرغم من تناسل عدد هائل من الخطابات الجماهيرية إثر ما عُرف بالربيع العربي، فإننا نلاحظ أن اهتمام الباحثين العرب بدراسة أبعاد التطويع والإخضاع في الخطاب السياسي يبقى معدودا، فإذا استثنينا بعضا من أعمال **عماد عبد اللطيف** والدراسة التي قام

بها عثمان الزياتي مؤخرا عن الخطاب السياسي في المغرب<sup>1</sup>، فإننا لم نجد من الباحثين من خص الموضوع بدراسة تطبيقية فاحصة ومتعمقة، عدا بعض المقالات على قلتها وقلة صفحاتها.

لقد حفزتنا هذه الاعتبارات مجتمعة على تحديد موضوع الأطروحة في "إستراتيجيات التأثير وأبعاد التطويع في الخطاب السياسي"، وتتناول الأطروحة بشكل خاص الخطاب الصادر عن فاعل سياسي من خلفية كونه رمزا للقيادة والمسؤولية في الدولة، كما تجسد ذلك على سبيل المثال خطابات رؤساء الدول والحكومات. ويرجع اختيارنا تحديدا لأحد خطابات زين العابدين بنعلي وأحد خطابات حسني مبارك كأرضية للتحليل في الشق التطبيقي إلى تلاؤم النموذجين مع طبيعة الإشكالات التي ينطلق منها البحث.

يروم البحث تقريب ومناقشة الأسس والإستراتيجيات التأثيرية والحجاجية التي يرتكز عليها الخطاب السياسي الجماهيري الصادر عن السلطة، من منطلق الحدود الفاصلة بين الإقناع باعتباره ممارسة عقلية وأخلاقية لا تُلزم المخاطب بالإدعان، والتطويع كممارسة تتوسل كل ما من شأنه أن يلزم المخاطب بالقيام بفعل أو تبني موقف، بما في ذلك التحايل والتغليط والاستهواء.

وينطلق ذلك من مجموعة من الإشكالات نجملها في الأسئلة التالية:

<sup>1</sup> - عثمان الزياتي الخطاب السياسي في المغرب بين منزلقات البلاغة وزلات اللسان، منشورات مجلة الحقوق (الإصدار46)، دار نشر المعرفة الرباط، دط 2017.

✓ إلى أي حد يمكن رسم الحدود بين التواصل كفعل تفاهمي والتواصل كفعل إستراتيجي تطويعي؟

✓ ما الذي يفعله السياسيون الممثلون للسلطة لتكون خطاباتهم ذات فعالية في التأثير أو الإقناع؟

✓ ما أهم الإستراتيجيات التطويعية التداولية والحجاجية التي يعتمدها الفاعل السياسي غالبا للحفاظ على السلطة وتعزيز الشرعية؟

✓ أليس التطويع في الخطاب السياسي الجماهيري الصادر عن السلطة يقتضي إعادة النظر في وصفه بالخطاب الإقناعي؟

إن مقارنة هذه الإشكالات في إطار السعي إلى إمطة اللثام عن التطويع في الخطاب السياسي الجماهيري كقضية مركزية في البحث، يقتضي الإلمام بالمرتكزات الخلفية للتأثير في هذا النوع من الخطابات كقضايا جزئية والنظر في أبعاده التطويعية من زاوية اعتبار الخطابين المختارين يمثلان النموذج أو العينة، وهذا ما جعل الدراسة تأخذ عموما طبيعة منهجية استقرائية، تعتمد من الداخل المزوجة بين الوصف والتحليل الذي يستثمر الأدوات النظرية للتداولية والحجاج في انفتاحها على التحليل النقدي للخطاب.

لقد فرضت طبيعة الموضوع اعتماد تحليل تداولي حجاجي نقدي، فإذا كانت الإشكالات التي ينطلق منها كل باحث والرهانات التي يصبو إلى تحقيقها تمثل الاعتبار الأساس الذي ينبغي

أن يوجه التحليل، فإن سعينا إلى دراسة الخطاب السياسي من حيث طبيعته التأثيرية، اقتضى اعتماد الأدوات التحليلية للتداولية في انفتاحها على الحجاج البلاغي، غير أن طبيعة الإشكالات وارتباط الخطاب السياسي الذي نشغل عليه بالسلطة باعتبارها قوة وسيطرة من أجل الحفاظ على الشرعية والنفوذ -وهو ما يمثل أحد اهتمامات التحليل النقدي للخطاب-، جعل البحث يأخذ طبيعة نقدية لا تتحكم فيها اعتبارات إيديولوجية.

يتوزع مجهود العمل في الأطروحة على ثلاثة أبواب مهدنا لها بمقدمة وذيلائها بخاتمة، وتأتي هذه المحتويات على الشكل التالي:

- **المقدمة:** تضمنت الإطار العام للموضوع وجملة الدواعي التي بعثتنا على الخوض فيه، كما اشتملت على تحديد عناصر الإشكالية والخطوات المنهجية المعتمدة لدراستها، فضلا عن عوائق البحث في الموضوع.

- **الباب الأول:** استعرضنا فيه الإطار النظري للتداوليات والحجاج من خلال فصلين؛ حيث خصصنا الأول لعرض أهم المفاهيم والأسس النظرية للتداوليات، وتناولنا في الفصل الثاني أهم الإسهامات النظرية في الحجاج.

- **الباب الثاني:** يتوزع أيضا إلى فصلين نظريين؛ ويتناول الأول الخطاب السياسي من حيث المفهوم والوظائف، كما يحاول أن يبسط مختلف المقاربات التي تتناوله بالتحليل. أما الفصل الثاني فخصصناه للخطاب السياسي الجماهيري الصادر عن السلطة، وحاولنا أن نرصد فيه أهم الأسس والمرتكزات الخلفية التي يستند إليها هذا النوع من الخطابات في

التأثير، فضلا عن تحديد بعض الإستراتيجيات التطوعية التي يلجأ إليها الفاعل السياسي من أجل تحقيق إذعان الجمهور المخاطب.

- **الباب الثالث:** سعيًا فيه إلى استجلاء مرتكزات التأثير المستهدف للتطبيع في الأداء الخطابي النصي في أحد خطابات الرئيس التونسي السابق **زين العابدين بنعلي** وأحد خطابات الرئيس المصري السابق **حسني مبارك**، وذلك باستثمار أهم الأدوات التحليلية للتدليلات والحجاج المثارة في الباب الأول. وهنا تجدر الإشارة إلى أننا في دراسة الإستراتيجيات الموظفة في الخطابين، لم ننتقد بإطار نظري واحد ممثلًا فيما قدمته البلاغة القديمة أو البلاغة الجديدة أو نظرية الحجاج اللغوي، فضلا عن نظرية المساءلة، ولكن سعيًا إلى استثمار مختلف الأدوات النظرية التي من شأنها أن تسهم في معالجة الإشكال وإغناء التحليل، وهو ما ينسجم مع التصور الذي يؤكد أن الوقوف على مزالق الحجاج في الخطاب السياسي ليست بالمهمة اليسيرة خصوصًا أنه من الصعب اعتماد تحليل للخطاب السياسي من خلال أدوات منهجية مستقاة من حقل معرفي بمفرده، إذ الأمر يتطلب استدعاء مقاربات مختلفة من حقول معرفية متنوعة<sup>1</sup>، وهو ما نادى به **بلونتان plantin** بدعوته إلى "استبعاد الحذر من اتجاه توظيف المقاربات المتعددة

<sup>1</sup> - عثمان الزباني الخطاب السياسي في المغرب بين منزلقات البلاغة وزلات اللسان، مرجع سابق، ص:17.

**Pluridisciplinaire** وتبنيها لصالح تعدد منهجي مرن وفعال<sup>1</sup>.

وقد اقتضت دراسة كل خطاب على حدة أن نخصص لكل منهما فصلا؛ حيث خصصنا الفصل الأول لدراسة خطاب **زين العابدين بنعلي**، وفي الفصل الثاني درسنا خطاب **حسني مبارك**.

- **خاتمة البحث:** سجلنا فيها أهم الخلاصات والنتائج التي توصلنا إليها في الأطروحة.

ولسنا ندعي أن هذا المجهود البحثي استوفى الإمام بكافة الجوانب المتعلقة بالموضوع، كما لا نزعم له النبوغ، إلا أنه يفتح على الأقل نافذة أمام القارئ تجعله في صلب التساؤل حول مدى وإمكانية وصف الخطاب السياسي الصادر عن السلطة بالخطاب الإقناعي، وذلك من خلال محاولتنا المتواضعة إمطة اللثام عن بعض جوانب المكر والتلاعب والاستهواء في هذا النوع من الخطاب.

أما الصعوبات التي اعترضت البحث، فيمكن إجمالها في ندرة الدراسات التي تتناول الخطاب السياسي باعتماد المقاربة التداولية والحجاجية، فضلا عن ندرة الدراسات العربية التي تتناول أبعاد التطويع تطبيقا، مما فرض علينا اللجوء إلى الدراسات الغربية، لنجد أنفسنا أمام صعوبة أخرى تتعلق بإشكالات الترجمة.

<sup>1</sup> - عبد السلام عشير، إشكالات التواصل والحجاج مقاربة تداولية معرفية، بحث لنيل دكتوراه الدولة في اللسانيات التداولية، إشراف الأستاذ الدكتور محمد الشاد، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرز فاس، السنة الجامعية 1999-2000، ص:8.

والحقيقة أن تجاوز هذه الصعوبات ما كان ليتحقق لولا تحلينا بالصبر والإصرار على العمل الدؤوب، وبذل مجهود مضاعف، أطرته توجيهات وإفادات أستاذنا المشرف فضيلة الدكتور **المصطفى عمrani**، الذي لم يأل جهدا في مساعدتنا. فله مني أسمى عبارات الشكر، والله أسأل أن يجازي أستاذاي الكريم خير الجزاء، وأن يبقيه للجامعة المغربية منارة في البحث العلمي الأكاديمي.

كما أذكر بجميل العرفان فضل الأستاذ الدكتور **عماد عبد اللطيف** من مصر الذي لم يبخل عليّ بالتوجيه والنصح وأنا في مستهل البحث، وكذلك فضل الأستاذ الدكتور **عبد الكريم ابزاري** وفضل الأستاذ **احساين بن بامو** في إمدادي بمراجع قيمة، وإفادتي باقتراحات فذة، ساهمت في إغناء النقاش في بعض المباحث. دون أنسى فضل الأستاذ **محمد بطاس** في تدقيق مجهوداتي في الجوانب المتعلقة بالترجمة. ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أجدد شكري وتقديري لكل هؤلاء.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى كافة أعضاء اللجنة العلمية على ما جادوا به من جهد ووقت في قراءة الأطروحة وفحصها وتمحيصها، وما تفضلوا به من ملاحظات وتوجيهات كان لها الفضل في تدارك بعض النقائص والهبوات وتجويد الأطروحة، وإنني لفخور بتزكيتهم لطبع هذا العمل مقذرا بكل امتنان ما استندته منهم.

## الباب الأول:

التداوليات والحجاج، المفاهيم

والأسس النظرية

## تمهيد

يمثل الخطاب السياسي مجالاً مفتوحاً على مختلف المقاربات، وحيث إن الوظيفة التأثيرية والإقناعية من أهم الوظائف الجوهرية التي تحدده وتوجه بناءه، فإن ذلك يجعل من التداوليات والحجاج إطاراً أنجع لتناوله والنظر في الوسائل والآليات التي يستثمرها من أجل تحقيق رهاناته الخطابية.

ينبع اعتماد التداوليات كإطار للتحليل من كون الخطاب السياسي حدثاً تواصلياً يقتزن فيه المعنى القصدي باستعمال محدد للغة على خلفية استحضار المعطيات السياقية. أما استثمار إطار الحجاج، ففضلاً عن كونه يعد مبحثاً من مباحث التداوليات، فإن الطبيعة الحجاجية للخطاب السياسي تجعل منه مجالاً خصباً لاستثمار أدوات الحجاج وآلياته النظرية بشكل تطبيقي، خصوصاً وأن أحد أهم الإشكالات التي ينطلق منها البحث يتحدد في النظر في حجاجية الخطاب السياسي، من حيث كونها موجهة إلى الإقناع العقلي أو الإقناع باللجوء إلى كل الوسائل التي تفرض الإذعان، بما في ذلك الاستهواء والتحايل والتغليب.

لقد فرض الثراء الذي عرفه التنظير في الحجاج أن لا تقتصر على الإسهامات التي نبعت من الأبحاث التداولية كما هو الأمر في التوجه الذي خطه ديكرود **Ducrot** وأنسكومبر **Anscombe** في إطار التداولية المدمجة، أو توجه الاتجاه التداولي الجدلي بزعامة فرانز فان إيميرن **F.van Eemeren** وروب غروتندورست **Rob Grootendorst**، وإنما سنحاول تقديم أهم الإسهامات النظرية في الحجاج، سواء تلك التي ترعرعت في حضن

البلاغة كما هو الشأن بالنسبة لاجتهادات أرسطو وبييرلمان وتيتيكاه أو في حضن الفلسفة كما هو الأمر بخصوص اجتهادات ميشال مايير **Michel Meyer** . فعلى الرغم من اختلاف مرجعيات هذه التوجهات، فإنه يُوَظَرها تصور تداولي مشترك للحجاج، يتمثل في أخذ المتكلم للمخاطب بعين الاعتبار في البناء الحجاجي، فضلا عن مراعاة المقامات التي تُوظف فيها الحجج.

وعلى هذا الأساس، سنخصص هذا الباب لبسط الإطار النظري لأهم الثوابت والمفاهيم في التداوليات والحجاج من خلال الفصل الأول والثاني على التوالي.

## الفصل الأول:

### المبادئ والمرتكزات النظرية

### للتداوليات

## المبحث الأول:

### التداوليات المفهوم والأصول المعرفية

#### 1-التداوليات المفهوم وإشكالية المصطلح

##### 1-1- مفهوم التداوليات

ليس من السهل ضبط مفهوم التداوليات Pragmatics على الرغم من تعدد الأبحاث التي حاولت الإحاطة به، ولعل ذلك يرجع بالأساس إلى تعدد المشارب التي ارتوت منها التداوليات وتباين المرجعيات المعرفية التي حكمت أبحاث المنشغلين بقضاياها، وهو ما أفرز صعوبة في ضبط المفهوم بالنظر إلى إشكال الحدود الفاصلة بين التداوليات وتخصصات معرفية أخرى تتقاطع معها في عدة اهتمامات.

يعود أصل المصطلح الأجنبي "Pragmatics" في اللغة الإنجليزية و<sup>1</sup>"Pragmatique" في اللغة الفرنسية إلى الكلمة اليونانية "Pragmaticus" التي تعني الغرض العلمي، حيث استخدمها فلاسفة اليونان للدلالة على العلمية<sup>2</sup>، ثم أعيد استعمال المصطلح نفسه في اللاتينية بما يقارب المصطلح اليوناني، حيث تُطلق "pragmatique" أو "pragmatics" على "كل ما له نسبة إلى الفعل أو التحقق العلمي"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - المصطلح الفرنسي يعتمد صيغة المفرد لكنه يتضمن معنى الجمع.

<sup>2</sup> - عبد الحكيم سحالية، "التداولية"، مجلة المخبر العدد 5 مارس 2009، ص: 88. يحيل على حامد خليل المنطق البراجماتي عند تشارلز بيرس مؤسس البراجماتية، دار الينابيع مصر 1996، ص: 196.

<sup>3</sup> - عبد القادر عواد، "آليات التداولية في الخطاب: الخطاب الأدبي أنموذجاً"، مجلة علامات في النقد ج74 المجلد 19، شعبان 1432 يوليوز 2011، ص: 51.

ويقترن استعمال مصطلح "التداوليات" "Pragmatics" في الدراسات الحديثة بالفيلسوف شارل موريس **Charles W. Morris** وهو بصدد تحديد الإطار العام للسميائيات Semiotics، الذي يقوم في نظره على ثلاثة فروع هي: التركيب Syntax؛ ويهتم بدراسة العلاقات النحوية بين العلامات في التركيب؛ ثم الدلالة Semantics؛ وهو فرع يدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تحيل عليها؛ فيما يهتم العنصر الثالث وهو التداوليات بدراسة علاقة العلامات بمؤوليها ضمن سيرورة التأويل الدلالي<sup>1</sup>.

ولا يختلف كثيرا تصور موريس عن تصور كارناب **R. Carnap** الذي يرى أن مجال التداوليات يقتضي استحضار مستعمل اللغة في دراستها، في حين تختص الدلالة بدراسة معاني العبارات، بينما يختص التركيب بدراسة العلاقات النحوية<sup>2</sup>، بيد أن كارناب يبدو أكثر ميلا إلى حصر مجال التداوليات في اللسانيات باعتبار الأولى قاعدة للثانية<sup>3</sup>، ويبدو أن كارناب لم يجانبه الصواب في ذلك لأن إدراج التداوليات ضمن السميائيات يجعل مداها يتسع ليشمل كل أشكال التفاعل بما فيها الآلي والحيواني، ولعل ذلك ما تنبه إليه الباحثون الذين اهتموا بالتداوليات حتى وإن اتسم تناولهم للمفهوم بالتنوع والتباين. وقد عرض ليفنسون **Stephen Levinson** في كتابه التداوليات عدة تعريفات تعكس هذا الاختلاف وسنقف عند بعضها.

<sup>1</sup>– Stephen c Levinson, Pragmatics, Cambridge University Press, 1984, p1.

<sup>2</sup> – Ibid, p:3.

<sup>3</sup>– Françoise Armengaud, La pragmatique, (que sais-je ?), presses Universitaire de France, 1<sup>er</sup> édition 1985. P42.

التداوليات هي "دراسة المبادئ التي تفسر سبب شذوذ بعض الجمل أو عدم مقبوليتها وذلك من قبيل: تعال إلى هنا من فضلك، كان أرسطو يونانيا لكنني لا أصدق ذلك..."<sup>1</sup>، وهو تعريف لا يعكس بجلاء رحابة التداوليات، إذ يقزم مهمتها في تفسير الشذوذ دون أن يشير إلى طبيعة هذا الشذوذ، لأن مثل هذه الجمل يمكن أن تكون شاذة في سياقات ومقبولة في سياقات أخرى.

وتعرف التداوليات أيضا بأنها "دراسة اللغة من ناحية وظيفية، وهذا يعني تفسير البنيات اللغوية من خلال مؤشرات وأسباب غير لغوية"<sup>2</sup>، وهذا التعريف هو الآخر ليس دقيقا بما يكفي ليزيل اللبس الذي يطرحه المفهوم، فهو من ناحية يركز على الوظيفة التواصلية للغة، ومن ناحية أخرى لا يميز التداوليات كدراسة وظيفية عن حقول معرفية أخرى هي أيضا مهمة بالجوانب الوظيفية في اللغة ومنها علم التواصل واللسانيات الاجتماعية<sup>3</sup>.

وإذا انتقلنا إلى تعريف آن ماري **Anne Marie** وفرانسواز ريكاناتي **François Récanati** اللذين يريان أن التداوليات هي "دراسة تهتم باللغة في الخطاب وتتنظر في المؤشرات الخاصة به قصد تأكيد طابعه التخاطبي"<sup>4</sup>، فإننا سنلاحظ بجلاء أن التداوليات حقل معرفي قائم الذات يقع بين اللسانيات وتحليل الخطاب، ويُعنى بالتواصل اللغوي باعتباره

<sup>1</sup> – Stephen c Levinson , Pragmatics, op.cit, p:6–7.

<sup>2</sup> – Ibid, p:7.

<sup>3</sup> –Ibid.

<sup>4</sup> – فليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تعريب صابر الحباشة وعبد الرزاق الجماعي، عالم الكتب الحديث إريد الأردن، الطبعة الأولى 2012، ص: 10.

عملية تخاطبية تتفاعل فيها الذات ضمن سياق ما.

وعموما، فإن التداوليات هي دراسة استعمال اللغة مقابل دراسة النظام اللساني الذي هو من اختصاص اللسانيات الصورية، لأن التداوليات ليست دراسة لسانية صرفة كما هو الحال في اللسانيات التي تدرس اللغة باعتبارها بنية وقدرة<sup>1</sup>، وإنما هي دراسة تهدف إلى فهم استعمال اللغة من منطلق علاقتها بالسياق<sup>2</sup>.

وإذا كانت التداوليات عموما تضطلع بدراسة استعمال اللغة في التواصل على ضوء معطيات سياق التخاطب، والوقوف على المحددات والمبادئ المتحكمة في التأويل الدلالي التداولي للمفوضات، فإن ذلك ينطلق أساسا من أن استعمال اللغة ليس محايدا من حيث تأثيره في عملية التواصل، لأن الكلمات تتفلت من ربة دلالاتها المعجمية المحنطة لتعانق معان جديدة في حضان الاستعمال وفق المعنى القصدي الذي يحكمه غرض تواصلية. ولذلك فاللغة ليست مجرد أداة لنقل مضامين إخبارية محايدة، وإنما أداة لإنجاز أفعال تروم التأثير في الآخر.

ومن ثمة، فالتداوليات ليست علما يدرس البنى اللغوية وصفا وتفسيرا ويقف على علاقاتها، ولكنها علم جديد في التواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ويدمج مشاريع

<sup>1</sup> - كما اتجه إلى ذلك دو سوسير وتشومسكي على التوالي.

<sup>2</sup> - Stephen c Levinson, Pragmatics, op.cit, p:8.

متعددة في دراسة عملية التواصل وتفسيرها<sup>1</sup>، وذلك ما يؤكد موشلار **J. Moeschler** الذي يذهب إلى أن التداوليات عموما هي: "دراسة استعمال اللغة مقابل دراسة النظام اللساني الذي يتعلق تحديدا باللسانيات، وإذا تحدثنا عن استعمال اللغة، فلأنه ليس محايدا في تأثيراته، سواء في عملية التواصل أو في النظام اللغوي نفسه"<sup>2</sup>.

إن موشلار لا يخرج التداوليات من اللسانيات، بل يميز بين اللسانيات التي تدرس اللغة كنظام محكوم بقواعد وعلاقات صارمة، والتداوليات باعتبارها علما يدرس استعمال هذا النظام، وبمعنى آخر، فإنه يفرق بين اللسانيات التي تدرس القدرة واللسانيات التي تدرس الإنجاز.

وحصيلة القول، إن مفهوم التداوليات مهما تباين بين الباحثين، فإن معظمهم يقر أنها علم يدرس استعمال اللغة في التواصل بالنظر إلى الدور الهام الذي يلعبه السياق في بناء المعنى، وفي معرفة ما إذا كان الكلام يبلغ أكثر مما ينقله ظاهره. ومن ثمة، الوقوف على المعنى القصدي والأفعال التأثيرية الكامنة وراء التلفظ، فضلا عن الفاعلية الإقناعية التي يتأسس عليها.

إن تعدد المشارب التي ارتوت منها التداوليات وتباين المنطلقات التي حكمت الذين ساهموا في غناها وتطورها يجعل منها تداولية بصيغة الجمع، مما يجعل تصنيفها ضمن دائرة

<sup>1</sup> - مسعود صحراوي التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر ببيروت، الطبعة الأولى 2005، ص:16.

<sup>2</sup> - Jacques Moeschler et Anne Reboul, Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, Editions du seuil, 1994, p:17.

العلوم أمرا صعب المنال، فعلى الرغم من أنها أقرب إلى اللسانيات بحكم اهتمامها بدراسة اللغة، فإنها مع ذلك ليست علما لسانيا صرفا ملتزما بحدود معرفية، بل إنه يقتحم حدود تخصصات أخرى كعلم الاجتماع وعلم النفس المعرفي وعلم التواصل وعلم تحليل الخطاب على نحو يجعل من التداوليات بوتقة معرفية بامتياز، وطبعا فلذلك ما يسوغه إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن اللغة باعتبارها "ظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية"<sup>1</sup> تمثل أرضية معرفية مشتركة للعديد من العلوم الإنسانية.

## 1-2- إشكالية المصطلح

لقد حظي المصطلح الغربي "Pragmatics" / "Pragmatique" باهتمام بالغ من لدن الباحثين العرب ونال اجتهادات شتى على مستوى الترجمة، الأمر الذي خلف اضطرابا مصطلحيا، كان ذا أثر في التباس مفهوم التداوليات مع مفاهيم أو حقول معرفية أخرى سواء في التراث العربي أو الغربي.

ومن الباحثين الذين كان لهم قصب السبق في ترجمة المصطلح الغربي إلى العربية نذكر المفكر المغربي طه عبد الرحمن الذي اختار ترجمة المصطلح بـ"التداوليات" مبررا ذلك بإحالة المصطلح على الاستعمال والتفاعل<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> – Françoise Armengaud, La pragmatique, op.cit, P :5.

<sup>2</sup> – يقول : "وقد وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح التداوليات مقابل المصطلح الغربي براغماتيقا، لأنه يوفي المطلوب حقه باعتبار دلالاته على معنى الاستعمال والتفاعل معا". طه عبد الرحمن أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، الطبعة الثانية 2000، ص: 28.

وترجم عبد القادر الفاسي الفهري المصطلح الغربي بـ"الذرائعية" أو "الذريعات"<sup>1</sup>، غير أن الإشكال الذي تطرحه هذه الترجمة يتمثل في اللبس الذي يمكن أن يقع بين ذلك الاتجاه الفلسفي المعروف باسم "pragmatisme" وبين ما يحيل عليه المصطلح الغربي الإنجليزي pragmatics، وذلك ما جعل بعض الباحثين يتحفظون عن هذه الترجمة<sup>2</sup>.

ويفضل محمد يونس ترجمة المصطلح بـ"التخاطبية"، لأن المصطلح الغربي يتعلق في نظره باستعمال اللغة، والاستعمال يدخل في إطار المباحث التخاطبية<sup>3</sup>. ولم يسلم هذا الاجتهاد هو الآخر من النقد بالنظر للخلط الذي يمكن أن يقع بين "التخاطبية" كترجمة لمصطلح pragmatics وعلم تحليل الخطاب، ومن ثمة يمكن أن يتبادر إلى الأذهان أن "التخاطبية" نظرية في تحليل الخطاب<sup>4</sup>.

كما ترجم المصطلح بمصطلحات أخرى منها: "المقامية"، "الوظيفية"، "السياقية"، "علم المقاصد"، "الدراسة الاستعمالية". فضلا عن المحاولات التي اكتفت بتعريب المصطلح الغربي على نحو "البراكماتيكس"، أو "البراغماتية"<sup>5</sup>، وغيرها من المصطلحات التي يبقى فيها الاجتهاد قابلا للنقاش.

<sup>1</sup> - يقول: "ونلاحظ كذلك عدم اهتمام عام بمصطلحات الدلالة والصرف والذريعات pragmatics وكثير من ألفاظ التركيب". عبد القادر الفاسي الفهري، أشغال الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات نونبر 1985، سلسلة اللسانيات العدد السادس 1986، ص: 552.

<sup>2</sup> - منهم مسعود صحراوي في كتابه التداولية عند العلماء العرب، مرجع سابق، ص: 15، وكذلك محمد محمد يونس علي في كتابه: مدخل إلى اللسانيات دار الكتاب الجديدة المتحدة ببيروت لبنان، الطبعة الأولى 2004، ص: 12.

<sup>3</sup> - محمد محمد يونس، مدخل إلى اللسانيات، مرجع سابق، ص: 12.

<sup>4</sup> - مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، مرجع سابق، ص: 28.

<sup>5</sup> - عبد القادر عواد، آليات التداولية في الخطاب، مرجع سابق، ص: 51.

هذا ويبقى في تقديرنا اجتهاد طه عبد الرحمن الأنسب للمصطلح الغربي pragmatics، لأنه لا يخلق التباسا مع مفاهيم أخرى، كما أنه يحيل على معاني الدوران والتفاعل والتواصل والنقل<sup>1</sup>، وهي معاني لا ينفك عنها المصطلح الغربي والمقابل العربي "التداوليات". فإذا عدنا إلى بعض المعاجم العربية فإننا نجد الجذر اللغوي (د.و.ل) يدل على عدة معانٍ مخصوصة يؤطرها معنى عام هو التحول والتبدل، فقد ورد في لسان العرب "... تداولنا الأمر، أخذناه بالدول، وقالوا دواليك أي مداولة على الأمر... ودالت الأيام أي دارت، والله يداولها بين الناس، وتداولته الأيدي، أخذته هذه مرة وهذه مرة...، و يقال تداولنا العمل والأمر بيننا، بمعنى تعاورناه فعمل هذا مرة وهذا مرة"<sup>2</sup>. وورد في المعجم الوسيط "دال الدهر دولا ودولة، انتقل من حال إلى حال، والأيام دارت ...، وداول كذا بينهم جعله متداولاً تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء، ويقال داول الله الأيام بين الناس: أدارها وصرفها"<sup>3</sup>.

إننا نجد شبه إجماع بين المعاجم العربية في أن الجذر اللغوي (د و ل) يحيل على معاني الدوران والتحول التي تقتضي الانتقال من حال إلى حال، وهو ما يتجسد في التواصل اللغوي الذي يركز على دوران الكلام بين متكلم ومخاطب.

وعلى هذا الأساس، فإننا لا نطمئن فيما أشرنا إليه من الاجتهادات السابقة إلا لما اقترحه طه

1- طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقديم التراث، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، الطبعة الثانية دت، ص:244.

2- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري ، لسان العرب دار صادر بيروت، الطبعة السادسة 1997، المجلد الحادي عشر، (مادة دول) ص 252.

3- مجمع اللغة العربية (مجموعة من اللغويين) المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية مصر، الطبعة الرابعة 2004، ص: 304.

عبد الرحمن استنادا إلى دلالة التداول على معنى التفاعل والتواصل معا، دون إغفال ما لقيه المصطلح من استحسان وانتشار واسع في أوساط الباحثين، وهو المصطلح الذي وصفه أحد الباحثين بالخفة والسلاسة<sup>1</sup>.

## 2- الأصول المعرفية للتداوليات

ليس من الدقة الحسم بتاريخ محدد لبزوغ التداوليات حتى وإن كنا لا نتجاهل إسهام موريس الذي كان له فضل سبق في استعمال مصطلح التداوليات وهو بصدد تحديده لمرتكزات السيميائيات، ومع ذلك يمكن أن نقول إن الطريق إلى التداوليات بدأت في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، وتحديدا مع تلك الدراسات التي انكبت على دراسة المعنى والتي تأثرت بالفلسفة الكانطية<sup>2</sup>، خصوصا بورس **Ch.s.Peirce** وموريس اللذين يعتبران من المؤسسين، وسنخرج على إسهاماتهما قبل أن نتطرق إلى جهود غيرهما.

## 2-1- السيميائيات

### 2-1-1- إسهام بورس

يتحدد بناء المعنى وفق تصور بورس حسب طبيعة العلامة، إذ يمكن التمييز بين العلامة "النمط" Type والعلامة "المقابل" Token ، وتحيل العلامة النمط على المعنى الحرفي

<sup>1</sup> - الجيلالي دلائش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، دط 1992، مقدمة المترجم ص 1.

<sup>2</sup>- B. Nerlich , "History of pragmatics", in Concise Encyclopedia of pragmatics , Jacob L Mey, Elsevier Science, Second Edition 2009, p :329.

المعجمي، في حين أن العلامة المقابل ذات معنى سياقي، ويشمل هذا التمييز حسب بورس كل العلامات اللغوية بما فيه الحروف والكلمات والجمل، "فحين نتحدث عن المعنى الحرفي لجملة، فإننا نعزل الجملة كنمط بغض النظر عن تواجدها ضمن خطاب ما، ولا يكون للمعنى وظيفة إلا من خلال الكلمات وترابطها التركيبي، ولا يهم من يتلفظ بالجملة، وفي أية ظروف، ولقول ماذا. وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار هوية المتكلم ومقصده والوضعية (التي هو عليها)، نرى أن المعنى يتعدل ويتدقق ويزداد ثراء"<sup>1</sup>. ومعنى ذلك أن إدراكنا للعلامات إنما يحصل لحظة انخراطها الدقيق ضمن سيرورة التأويل الدلالي الذي يقوم على استحضار تفاعل العلامة مع السياق وخصوصيات المتخاطبين، ويعد ذلك من صميم ما يدين به البحث التداولي لبورس.

ومن الاجتهادات الفذة التي تُحسب لبورس في التمهيد للتداوليات، أنه لا يمكن الحكم على وضوح فكرة ما إلا من خلال الفعل المغاير الذي تنتجه، والأثر الذي يترتب عنها والذي يقود إلى الفعل، وبصيغة أخرى، "فإن أي حد أو لفظ مجرد، لا معنى له إذا لم يكن في مقدورنا استخدامه، أو أن نقوم بفعل شيء بموجبه بطريقة ملائمة ومتميزة"<sup>2</sup>، وسنرى لاحقا أن هذا التصور العام لا يختلف عن المنطلق الذي انطلق منه أوستين **John L. Austin** وسيرل **John R. Searle** في مشروعهما التداولي الذي يمثل بحق الحجر الأساس في التداوليات بمختلف تفرعاتها.

<sup>1</sup> – Françoise Armengaud, La pragmatique, op.cit, P :21.

<sup>2</sup> – نعمان بوقرة ، المدارس اللسانية ، مكتبة الآداب القاهرة، الطبعة الأولى 2003، ص: 172.

## 2-1-2- اجتهدات شارل وليام موريس

لعل الأفق المعرفي الجديد الذي شقته السيميائيات في دراسة السيرورة التي يشتغل بموجبها الشيء كعلامة بفضل أبحاث بورس، كان مصدر إلهام بالنسبة للفيلسوف والسيميائي موريس الذي تعد اجتهداته هو الآخر رائدة في عصره؛ ففي سنة 1938 ميز موريس بين ثلاثة مستويات تتضافر في الدراسة السيميائية للعلامة، وهي التركيب والدلالة والتداوليات، وهي مستويات تمثل لثلاث علاقات متشابكة، حيث التركيب يمثل للعلاقة الشكلية للعلامات فيما بينها، بينما الدلالة تتكفل بعلاقة العلامات بالموضوعات، ثم التداوليات باعتبارها مستوى يمثل للعلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات<sup>1</sup>.

وكما هو تصور بورس، فإن موريس ينظر إلى السيميائيات باعتبارها علما يُعنى بالسيرورة الدلالية (السيميويزيس) بكل ما تقتضيه من آليات التأويل، وبذلك فالعلامة كنمط، لا يتحقق وجودها في نظره إلا في اندماجها الصارم ضمن سيرورة السيميويزيس<sup>2</sup>. وهو ما يعني أنه لا يمكن تصور وجود علامة في ذاتها دون أن يكون لها بعد تداولي مرتبط بالسياق والتجربة الإنسانية في طبيعتها الاجتماعية والثقافية.

إن دور القواعد التداولية في تصور موريس يحتم على "السيميويزيس" في تأويل علامة ما، أن تتوغل في خضم كل الدلالات المرتبطة بثقافة المجتمع قبل أن تستحضر تلك الدلالات التي يفتضيهما السياق، وهو ما قد يجعل العلامة تنفلت من قبضة المعاني الراسخة فيها لتلج

<sup>1</sup> - Françoise Armengaud, La pragmatique, op.cit, P :32-33.

<sup>2</sup> - Ibid, p :32 .

معنى جديدا مرتبطا بالاستعمال والقصد.

وبالرغم من أن اجتهادات بورس وموريس تتأى عن أن تكون نظرية تداولية، فإنها ولا شك ستجد صداها في الدراسات التداولية مع توالي السنوات وتراكم الأبحاث في الدلالة.

## 2-2- الأصول الفلسفية

يعد فريجه **G. Frege** من أهم رواد ومؤسسي اتجاه الفلسفة التحليلية؛ إذ ساهمت أبحاثه في إعادة النظر في الكثير من المسائل المنطقية والدلالية، ويكاد يجمع الباحثون على أن القيمة العلمية لفريجه تكمن في وضعه الحجر الأساس لعلم الدلالة وتحديدًا في تمييزه بين المعنى والمرجع، حيث المرجع عنده يقع خارج اللغة، بينما المعنى هو صيغة التعيين التي أبدعتها اللغة، ومن الأمثلة التي اعتمدها في الاستشهاد: أن عبارتين من قبيل: "نجمة الصباح"، "نجمة الليل"، تختلفان من حيث المعنى بالرغم من أنهما تحيلان على المرجع نفسه أي نجم فينوس<sup>1</sup>.

وقد أفضى انشغال فريجه بالمعنى في إطار التحليل الدلالي المنطقي إلى تحديد مبدئين ينطلق منهما الفهم، وهما مبدأ " الافتراض السياقي " L'assomption de contextualité الذي يعتبر لسانيا بامتياز، بحكم أنه يحدد معنى الكلمات من معاني الجمل، ثم مبدأ "افتراض الحقيقة المشروطة" L'assomption de vériconditionnalité، وهو ما يمكننا من معرفة الشروط التي يجب توفرها للحكم بإحالة جملة أو عبارة على الحقيقة، لأن معنى

<sup>1</sup> – Françoise Armengaud, La pragmatique, op. cit, p : 24-25.

الملفوظات يتحدد تبعاً لشروط الصدق المرجعي<sup>1</sup>.

وموازاة مع ذلك توصل فريجه في إطار تحليله الدلالي المنطقي إلى اختلاف اللغة العلمية عن اللغة العادية، حيث الأولى شفاقة وواضحة وأحادية المعنى، عكس الثانية التي تخضع لعلاقات التفاعل وعوائقه، وتتميز بتعدد معانيها مما يجعلها غامضة أحياناً، ومتجاوزة حدودها في التواصل أحياناً أخرى<sup>2</sup>.

وقد مهد التمييز بين اللغة العلمية واللغة العادية السبيل لفريجه نحو الطموح إلى ابتكار لغة علمية تستجيب لانشغالات الفلسفة والمنطق على غرار الرياضيات والفيزياء، وهو الطموح الذي سيتفاعل معه بعض الباحثين بكل حماس، ومن هؤلاء: برتراند راسل **B. Russell**، ولودفيغ فتجنشتاين **L. Wittgenstein**. أما جورج مور **G. E. Moore** الذي يعتبر هو الآخر رائداً من رواد الفلسفة التحليلية فإنه لم يكن مقتنعاً بإبعاد اللغة عن دائرة التحليل الفلسفي، وإن كان مقتنعاً مع زميله راسل بـ "الثورة على الهيجلية والمثالية الجديدة التي بدأت تظهر في إنجلترا منذ عام 1870م متمثلة في فلسفة فرانسيس برادلي **F. H. Bradley** وبوزانكيت **B. Bosanquet**، كما كانت متمثلة من قبل في فلسفة بيركلي **G. Berkeley**"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> – Françoise Armengaud, La pragmatique, op. cit, p: 25.

<sup>2</sup> – Ibid, p :23.

<sup>3</sup> –صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي في مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر بيروت، الطبعة الأولى 1993، ص: 7.

لقد أنفق راسل أعواما كثيرة من حياته ساعيا إلى تحرير الفلسفة من اللغة العادية من خلال التفكير في ابتكار لغة مثالية أكثر دقة، متخذا من نظريته "الذرية المنطقية" Logical atomism السبيل إلى ذلك، وهي نظرية تنبني أساسا على تحليل كل ما هو قابل للتحليل (أشياء، مفاهيم، قضايا ...) إلى أجزائه البسيطة<sup>1</sup>، حتى تبدو موجودات العالم أكثر وضوحا من خلال اللغة التي ينبغي أن تواكب هذا التفنيت، فتعكس أجزاء المركب، وبالتالي نتجنب الغموض والنقص في اللغة العادية.

إن هدف التحليل في نظر راسل كما هو الشأن عند فتجنشتاين<sup>2</sup>، هو التوصل إلى أجزاء المركب في أفق خلق لغة مثالية، غير أن هذا المشروع سرعان ما بدا مستحيلا لكليهما، بعد أن اقتنعا أن العالم يتألف من عدد هائل من القضايا المركبة التي يستحيل ردها إلى أجزائها البسيطة كما تصورا في بداية النظرية، بالإضافة إلى صعوبة تقديم معيار للبساطة لأنها خاصة نسبية غير مطلقة<sup>3</sup>.

ونتيجة ذلك بدا راسل في أعماله المتأخرة متنازلا عن مشروعه، فحصر إمكانية خلق لغة علمية دقيقة في مجالات محددة ومن أجل معالجة مشاكل معينة، أما فتجنشتاين فوجه مسار بحثه نحو اللغة العادية بعدما اقتنع أن تركيب القضايا ليس دائما مطابقا لتركيب الوقائع، وأن الصورة المنطقية لا تعكس الصورة الحقيقية، ولذلك لا يمكن اعتبار تصوير

<sup>1</sup> - محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، د ط 1985، ص: 31.

<sup>2</sup> - على الأقل في بداية أبحاثه قبل أن يتغير تصوره بعد سنة 1930 نتيجة اقتناعه باستحالة مشروع اللغة المثالية.

<sup>3</sup> - محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، مرجع سابق، ص: 39.

الوقائع الوظيفية الوحيدة للغة، لأنها أداة للفعل والتأثير، ومن مظاهر ذلك الشكر وإعطاء الأوامر<sup>1</sup>.

ومن ثمة، فاللغة ليست حسابات منطقية تتسم بالدقة، إذ تحيل كل كلمة أو عبارة على معنى محدد، وتؤدي وظيفة مسكوكة، بل المعاني تتحدد وتختلف باختلاف استعمالات اللغة وفق السياقات التي ترد فيها، وذلك ما يجعل اللغة في تصور فتجنشتاين أشبه بلعبة متضمنة لمجموعة من الألعاب، التي يصعب حصرها لأنها كثيرة ومتداخلة، فمعنى الكلمة يتعدد لأنها تنفلت من رقة وظيفتها المعجمية الأساسية عند كل استعمال، تماما مثل النجار الذي قد يوظف المطرقة أو المفك لأغراض مختلفة ومتعددة حسب الحاجة بغض النظر عن الوظيفة الأساسية لكل أداة.

وإذا كان فلاسفة التحليل يجمعون على ضرورة إبعاد القضايا الميتافيزيقية من دائرة التحليل، مقابل إجماعهم على ضرورة الاهتمام باللغة -لأن فهم الإنسان والعالم في تصورهم يرتكز بالدرجة الأولى على اللغة- فإنهم مع ذلك اختلفوا من حيث تناولهم للظاهرة اللغوية وأجراً التحليل، وكان طبيعياً أن تختلف التصورات وتتولد من داخل اتجاه الفلسفة التحليلية فروع فلسفية لها تصوراتها الخاصة.

وعموماً، فإن الفلسفة التحليلية تضم ثلاثة فروع هي: **الوضعية المنطقية Logical** **positivism**، والظاهراتية أو الفينومينولوجيا **Phenomenology**، وفلسفة اللغة

<sup>1</sup> - محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، مرجع سابق، ص: 40.

العادية Ordinary language philosophy. وسنتوقف بصورة مختصرة على اسهام

كل تيار وتصوراته للظاهرة اللغوية.

## 2-2-1- الوضعية المنطقية

هو اتجاه انبثق عن حلقة فيينا التي ضمت مجموعة من الفلاسفة والرياضيين، ومن

أعضائها البارزين رائدها موريس شليك M. Shlick، وفريدريك وايزمان F. Weisman،

ورودلف كارناب R. Carnap.

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن المعرفة البشرية قسمان، معرفة منطقية تتعلق بالقضايا المنطقية

والرياضية، ومعرفة تجريبية ترتبط بأمر الواقع، وتكمن مهمة الفلسفة في البحث في اللغة

باعتبارها المرآة العاكسة للقضايا التجريبية التي يمكن فحصها اعتمادا على معيار التحقق،

لأن البحث في القضايا المنطقية ليس إلا تحصيل حاصل<sup>1</sup>. وقد ميز أصحاب هذا الاتجاه

بين وظيفتين أساسيتين للغة العادية وهما<sup>2</sup>:

- الوظيفة المعرفية: حيث تستعمل اللغة أداة للإحالة على الأشياء والوقائع، فتكون بذلك

اللغة تصويرا للعالم الخارجي.

- الوظيفة الانفعالية: حيث تستعمل اللغة أداة للتعبير عن الانفعالات والأحاسيس التي

تضطرب بها النفس مثلما يفعل الشاعر.

<sup>1</sup>- محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، مرجع سابق، ص: 122.

<sup>2</sup>- صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، مرجع سابق، ص: 12.

وحصيلتهُ هذا التقسيم أن الجمل نوعان: جمل لها معنى يمكن التأكد من صدق مدلوله أو كذبه بالحس والتجربة، وجمل خالية من المعنى يجب استبعادها من دائرة الدراسة التجريبية، فإن قلنا مثلاً: "انكسر زجاج النافذة"، فالجملة لها معنى، لأنه يمكن التحقق من صدق محتواها أو كذبه، أما جملة من قبيل: "يسترق الجن السمع"، فهي جملة خالية من المعنى لعدم إمكانية التحقق منها، ويُدخل أصحاب هذا الاتجاه ضمن الجمل الخالية من المعنى الكلام غير المفهوم الذي يتفوه به الطفل وهو بصدد تعلمه اللغة، وكذلك الجمل التي تخل بقواعد التركيب، ثم التعبيرات ذات البعد الانفعالي وكذلك التي تنقل قضايا ميتافيزيقية (الجملة الثانية) أو تعبر عن أخلاق معيارية<sup>1</sup>.

ومع تبين الخيوط الأولى لهذه النزعة التجريبية راح الوضعانيون - وفي مقدمتهم كارناب - يستطردون في التحليلات المنطقية للأنساق اللغوية ملتزمين القوانين العامة التي تحكم المعنى في علاقته بصدق محتوى القضية أو كذبه، غير أن اطلاع كارناب على بعض من أبحاث الفيلسوف والسيميائي الأمريكي تشارلز موريس جعلته يحذو بأبحاثه من الصورية المنطقية المتمثلة في كتابه "التركيب المنطقي للغة" **Logical Syntax of Language**

نحو توجه لغوي تجريبي<sup>2</sup>، أكد من خلاله أن التداولية تمثل قاعدة لكل اللسانيات التي تُعتبر

<sup>1</sup> - إبراهيم مصطفى إبراهيم، فلسفة اللغة نشأتها تطورها أبرز أعلامها، دار المعرفة الجامعية الأزريطية، د ط 2009، ص: 277.

<sup>2</sup> - وذلك بداية 1942، حين نشر كتابه مقدمة إلى الدلالة Introduction to semantics، وكتابه المعنى والضرورة Meaning and necessity سنة 1947. أنظر محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، مرجع سابق، ص: 129.

علما تجريبيا لا يستند إلى قواعد دلالية في تحليل الأنظمة الشكلية<sup>1</sup>.

ورغم أن هذا الاتجاه كان له صدهاء في مستقبل الدراسات اللسانية عموما وفي نشأة التداوليات خصوصا، فإن ما ميز اجتهادات كارناب ومن خلفه الوضعانية المنطقية هو أنها انغمست في المنطق حين حاولت أن تخضع اللغة لصرامته ودقته، فابتعدت نسبيا عن دراسة استعمال اللغة، كما أن إقصاء الجمل ذات البعد الانفعالي والميتافيزيقي من دائرة الدراسة بحجة "أننا لا نجد لها من وقائع العالم ما تطابقه"<sup>2</sup>، أقصى جانبا مهما من القدرة التواصلية التي تميز اللغات الطبيعية.

## 2-2-2- الظاهرية اللغوية

إذا كان بعض الباحثين يحصرون اجتهادات فلسفة اللغة في فلسفة مدرسة أكسفورد ومدرسة كمبردج، فيغضون الطرف عن الفلسفة الظاهرية<sup>3</sup>، فإننا لا نعدم فضل هذا الاتجاه في فلسفة اللغة عموما وإسهامه في نضج التداوليات على الخصوص، ويكفي أن نشير هنا إلى أهمية اجتهادات هوسرل في "القصدية" باعتبارها أحد الأسس المعرفية التي قامت عليها نظرية الأفعال الكلامية في أبحاث سيرل و نظرية الاستلزام التخاطبي في دراسات غرايس P. Grice على الخصوص.

<sup>1</sup> – Françoise Armengaud, La pragmatique, op. cit, p :42.

<sup>2</sup> – صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، مرجع سابق، ص 15.

<sup>3</sup> – الزاوي بغورة، الفلسفة واللغة نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة بيروت، الطبعة الأولى 2005، ص: 197.

يرجع الفضل في إحياء مبحث القصدية في الفلسفة الأوربية إلى فرانس برنتانو F. Berntano، الذي أكد في أبحاثه أن "الطابع المميز للظاهرة النفسية هو كونها تشير إلى موضوع أو تتعلق بمضمون، فالظاهرة النفسية ليست فكرة أو تمثلاً أو مجرد مضمون ذهني موضوعي، بل هي فعل من شأنه، بل من صلب جوهره الإشارة إلى موضوعه أو التعلق بمضمونه"<sup>1</sup>، وهذا ما يعني أن لكل شعور جانباً فعلياً يتمثل في فعل القصد، وجانباً موضوعياً يتمثل في الشيء الذي يتوجه إليه فعل القصد، لأنه لا يوجد فعل قصدي خال من الموضوع مثلما لا يوجد موضوع مستقل عن فعل الإدراك القصدي.

لقد تأثر هوسرل باجتهادات أستاذه برنتانو في قصدية الشعور، فجعل منها ركناً أساسياً في التأسيس لعلم الفينومينولوجيا، حيث إن الفعل عنده فعل لشيء، والإدراك إدراك لشيء، والتذكر تذكر لشيء، والحزن حزن لشيء...، وللتفريق بين فعل القصد وموضوعه استعمل هوسرل مصطلح "Noesis" للدلالة على فعل القصد الذي يسعى إلى إدراك أي موضوع واحتوائه في الشعور، وأطلق على الموضوع الذي يمثله فعل القصد الإدراكي مصطلح **Noema**<sup>2</sup>.

إن فعل القصد في استعمال هوسرل فعل ثاو في الإدراك ويسكن فيه، ولذلك لا يمكن إدراك الذات والأشياء خارج توجه "النوسيس" نحو "النواما"، وليس معنى ذلك أن القصدية تتأسس

<sup>1</sup> - أنطوان خوري، مدخل إلى الفلسفة الظاهرية، دار التنوير للطباعة والنشر بيروت، الطبعة الأولى 1984، ص 184-185.

<sup>2</sup> - سماح رافع محمد، الفينومينولوجيا عند هوسرل دراسة نقدية في التجديد الفلسفي المعاصر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى 1991، ص: 191-192.

على علاقة ثنائية، لأن القصد حينما يتوجه نحو غاية لابد له من علامات وصور تمثل الغاية وتقوم مقامها، فيلعب الفعل القصدي حينئذ دور الوسيط بين العلامات ودلالة العلامات.

ومفاد ذلك أن دلالة جملة حسب هوسرل تقتضي التعبير الكلامي، ثم المعنى الذي يجسده ذلك التعبير، ثم فعل القصد الذي تتقوّم بمقتضاه الدلالة، أما الحدس، فإنه يقتضي أيضا عناصر ثلاثة؛ "الموضوع الذي هو غاية المسار القصدي للمعرفة، وقد يكون شيئا ما واقعا أو خياليا، حدثا أو فعلا قصديا آخر، ثم الفعل الحسي الذي يقوم الموضوع ويمكن أن يكون فعلا إدراكيا أو تخيلا، ثم أخيرا التأليف بين مجموع عناصر الدلالة، والتأليف المعرفي هو إذن الملء لقصد الدلالة عن طريق الحدس"<sup>1</sup>.

ورغم أن أبحاث هوسرل في الفينومينولوجيا لم تكن تستهدف الظاهرة اللغوية كأولوية بحثية، فإن تناوله للقصدية كفعل أنطولوجي يسكن وعي المتكلم انطلاقا من التجربة والخبرة التي راكمها في الواقع عن لغته، كان له كثير الفضل في اجتهادات رواد فلسفة اللغة.

## 2-2-3- فلسفة اللغة العادية

لقد كان لاجتهادات بعض رواد الفلسفة التحليلية أمثال فريجه ومور وفتجنشتاين أثر بالغ في توجيه مسار البحث الفلسفي نحو اللغة العادية باعتبارها المفتاح في فهم قضايا العالم،

<sup>1</sup> - يوسف بن أحمد، "القصدية ومشكل تأسيس الفينومينولوجيا عند هوسرل"، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 140-141، 2007، ص: 76.

حيث ساد شبه إجماع عند الفلاسفة اللاحقين بأن الانشغال بمحاولة إيجاد لغة مثالية دقيقة تكون بديلا عن لغة التواصل العادية، فيه من الاستحالة ما يمكن أن يجنح بالبحث الفلسفي عن السكة الصحيحة مادامت اللغة العادية في غموضها واتساعها تجسد تعقد ظواهر الواقع والوجود الإنساني في جميع أبعاده، وذلك ما اقتنع به فتجنشتاين في آخر أبحاثه التي ستمثل مصدر إلهام لمن جاء بعده خصوصا رواد مدرسة أكسفورد وتحديدًا أوستين وسيرل. وتناديا للتكرار، ونظرا لكون هذه الاجتهادات تمثل أساسا نظريا مهما في البحث سنخصص لها المبحث الثاني حتى يتسنى لنا التطرق إليها بشكل مفصل.

## المبحث الثاني:

### تداولية الإنجاز الكلامي بين اجتهادات أوستين وسيرل

#### 1- نظرية الأفعال الكلامية عند أوستين

##### 1-1- اللغة والوهم الوصفي

لقد ساد بين الفلاسفة لمدة طويلة شبه إجماع على أن الوظيفة الأساسية للغة هي تصوير الواقع والتعبير عن الفكر، ومن مظاهر ذلك أن الحكم على قضية معينة تنقلها جملة ما، إنما يعني كونها وصفاً لحالة شيء ما، أو إثبات لواقعة معينة، وهو ما يفضي إلى اعتبار حكم القضية صادقاً أو كاذباً<sup>1</sup>.

وخلافاً للذي كان سائداً، تنبه أوستين إلى أن بعض الجمل التي تُعد وصفية كالأمرية والاستفهامية، هي في الحقيقة لا تنقل واقعة ولا تصف أو تقدم تصويراً للعالم الخارجي، ولذلك، فإن إخضاعها للصدق والكذب مرده توهم وصفيتها<sup>2</sup>.

وتبعاً لذلك حاول أوستين أن يدحض الوهم الوصفي في اللغة من خلال دراسته للاختلاف القائم في الملفوظات الإثباتية بين تلك التي تصف الواقع حقاً، وتلك التي توهم بالوصف رغم أنها لا تصف ولا تخبر، ومن الأمثلة التي انطلق منها<sup>3</sup>:

<sup>1</sup> – J.L. Austin, How to do things with words, Oxford University press 1962, printed in great Britain, p:1.

<sup>2</sup> – J.L. Austin, How to do things with words. op.cit, p:3

<sup>3</sup> – Ibid, p:5.

- أ- "أخذ هذه المرأة لتكون زوجتي الشرعية"، كما يتلفظ بذلك في مراسم الزواج.
- ب- "أسمي هذه السفينة الملكة إليزابيت"، كما يتلفظ بذلك حينما تُحطّم قنينة على جذع السفينة لحظة تدشينها.

لاحظ أوستين أن هذه الملفوظات على سبيل المثال لا تصف ولا تخبر ولا تثبت أمرا على وجه التحديد، وإنما هي إنشاء أو إنجاز لفعل ما، إذ يكفي أن يتلفظ المرء بالملفوظ الأول في سياق الزواج بالكنيسة، ليكون قد تزوج، والأمر نفسه ينطبق على الملفوظ الثاني في سياقه الطبيعي الجدّي، لكي يتحقق فعل التسمية.

إن التلفظ ببعض الملفوظات حسب أوستين هو إنجاز لأفعال ينص عليها فعل التلفظ ضمن السياق، ولذلك فلا يمكن إخضاع مثل هذه الملفوظات لمعيار الصدق والكذب، بل لمعيار الإخفاق والنجاح. وقد لاحظ أوستين أن الملفوظات التي من هذا القبيل تتميز بخصائص مميزة فهي: مثبتة، أسند فيها الفعل إلى المتكلم في زمن الحاضر، مبنية للمعلوم، لا يمكن وسمها بالصدق أو الكذب، لأنها لا تصف شيئا وإنما هي إنجاز لفعل ما<sup>1</sup>.

وقد حدد أوستين مجموعة من الشروط لنجاح الفعل الإنجازي<sup>2</sup>:

- أ- أن يكون الملفوظ خاضعا للمواضعة اللغوية بحيث يمكن أن نتكلم ببعض الألفاظ

<sup>1</sup> - J.L. Austin, How to do things with words. op.cit, p : 5.

<sup>2</sup> - Ibid, p : 8-9- 14-15 .

وأیضا:

Jacques Moeschler et Anne Reboul, Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, op.cit, p:54,55.

المخصصة لنجز فعلا.

ب- أن يكون المتكلم أهلا للإنجاز، فلأجل تسمية السفينة مثلا يجب أن يكون المعني

بذلك هو من يقوم بإطلاق التسمية وليس شخصا آخر.

ت- أن يكون المقام مناسباً لذلك.

ث- أن يُتلفظ بالعبرة على نحو جاد لا يفهم منه الهزل.

إن عدم توفر شرط من هذه الشروط قد يعرض فعل الإنجاز للإخفاق، كأن يعد من لا نية له

بالوفاء، فيقول: "أعدك بأن أحضر غدا"، ومع ذلك فلا يمكن أن يُفسر الإخفاق بأن الفعل لم

ينجز، " فالوعد هنا ليس باطلا، على الرغم من أنه يعطى عن سوء نية، ولعله قد يكون

خادعا ولا شك في تضليله بالخطأ، ولكنه ليس كذبا أو غير صحيح"<sup>1</sup>. ولذلك فإن الإخفاق

في إنجاز الفعل لا يمكن أن يوضع تحت مسمى القول الكاذب، وإنما العمل غير الموفق أو

الفاشل.

## 1-2- عناصر الفعل الكلامي عند أوستين

لقد تنبه أوستين بعد أن تعمق في فحص العديد من ملفوظات اللغة أن التصور الذي بناه

عن شروط الجمل الإنجازية ليس بالبساطة التي حسب في البداية، حيث إن بعض

الملفوظات يمكن أن لا تتضمن فعلا إنجازيا مسندا إلى المتكلم في الحاضر، ومع ذلك فهي

إنجازية مثل ملفوظ "رُفعت الجلسة" الذي يتلفظ به القاضي أثناء الترافع في المحكمة، لأن

<sup>1</sup> - J.L. Austin, How to do things with words, op.cit, p:11.

صيغة الملفوظ تعادل "أرفع الجلسة"، كما أن قولاً غير إنجازي من قبيل "أعدو" لا يفيد إنجاز فعل العدو بل وصفه، ومع ذلك فإنه يجيء على الصيغة النحوية نفسها (أفعل) التي ترد عليها بعض الأفعال الإنجازية مثل: أعد، أنصح، أمر، وذلك ما جعل أوستين يعدل عن التعويل على المعايير النحوية فقط ليعتمد إلى جانب ذلك معايير دلالية<sup>1</sup>، ولعل أوستين على حق، لأن حدث العدو مستقل عن التلفظ بالصيغة أعدو، فالعدو كحدث سابق عن التلفظ، ولذلك فالملفوظ "أعدو" وصفي، عكس حدث الوعد الذي يتحقق متزامناً مع التلفظ بالصيغة الفعلية "أعد".

ومن هذه التأملات توصل أوستين إلى تحديد آخر ضمن الإنجازات، حيث ميز بين الإنجازات الأولية والإنجازات الصريحة بمقتضى أن الصريحة تتضمن فعلاً دالاً على الإنجاز، عكس الأولية التي تكون خالية من فعل إنجازي مسند إلى المتكلم في الحاضر يفيد بدقة الفعل المنجز رغم أنه يُستحضر على مستوى التأويل، ومثال ذلك "الثور خطير" التي تتضمن فعلاً إنجازياً ضمناً مفاده "أحذرك من أن الثور خطير"، وتلك صيغة أخرى للقول بأن التلفظ بملفوظ أولي يستدعي تأويلاً لفعل إنجازي ضمني على صيغة الفعل المضارع المسند إلى المتكلم<sup>2</sup>.

وهذا ما سيقود أوستين إلى تمييز جديد في العمل اللغوي، حيث توصل إلى أن كل ملفوظ يقابل إنجاز فعل عبر ثلاثة أفعال هي: فعل القول، والفعل المتضمن في القول (الفعل

<sup>1</sup> - فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، مرجع سابق، ص 39-40.

<sup>2</sup> - J.L. Austin, How to do things with words, op.cit, p: 62.

الإنجازي)، وفعل التأثير بواسطة القول.

#### أ. فعل القول **the locutionary act**

ويقصد به "التلفظ بوحدات معجمية أو كلمات، أي أصوات خاصة تنتمي إلى معجم محدد وفق تركيب خاص تبعا لنحو (لغة) ما"<sup>1</sup>، ويتضمن فعل القول بالضرورة ثلاثة أفعال فرعية، هي الفعل الصوتي، ويتمثل في التلفظ بأصوات من مخارج محددة، ثم الفعل الدلالي، ويتجسد في التلفظ بكلمات تنتمي إلى معجم لغة معينة للإحالة على معان مخصوصة، وثالثا الفعل التركيبي، ويراد به التأليف بين الكلمات استنادا إلى قواعد النحو.<sup>2</sup>

#### ب. فعل الإنجاز **Illocutionary act**

ويقصد به " أداء فعل ما بقول شيء ما"<sup>3</sup>، أي الفعل الذي ينجزه المتكلم بواسطة فعل القول، ويمكن أن نطلق عليه قوة فعل الكلام<sup>4</sup>، أو القوة الإنجازية الثاوية خلف التلفظ بقول ما والتي تُفهم من سياق التلفظ كالسؤال، والتحذير، والوعدّ...

#### ج. فعل التأثير : **perlocutionary act**

ويقصد به الأثر الناتج عن قوة فعل الكلام لدى المخاطب، أي ما يخلفه الفعل الإنجازي،

<sup>1</sup> – J.L. Austin, How to do things with words. op.cit, p:92.

<sup>2</sup> – Ibid,pp :93-94-95.

<sup>3</sup> –Ibid, p:99.

<sup>4</sup> – كما ترجم عبد القادر قينيني مصطلح Illocutionary ، انظر: جون لانكشو أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، الطبعة الثانية 2008، ص:130.

حيث إن "قول شيء في كثير من الأحيان، أو عادة، تنتج عنه بعض الآثار التبعية على المشاعر، والأفكار، أو التصرفات"<sup>1</sup>، كأن يُخَلَّف عند المخاطب اطمئنانا، أو خوفا، أو انزعاجا، مما يدفعه إلى التصرف على نحو ما تفاعلا مع فعل الإنجاز.

ولتوضيح هذه الأفعال الثلاثة، فلنفترض أن زميلين في الدراسة محمد وسعد، دعا الأول الثاني لمتابعة مباراة في كرة القدم ستكون يوم عطلة الأسبوع (الأحد) في مدينة مجاورة تبعد بحوالي مائة كيلومتر، فكان رد سعد: "عليّ أن أزور جدتي فقد عادت لتوها من الحج".

يمثل هذا الملفوظ ردا على الطلب الذي تقدم به محمد، ويكون بذلك سعد قد مارس فعل القول بحكم تلفظه بأصوات تؤلف وحدات معجمية مؤلفة وفق ضوابط تركيبية للتعبير عن شعوره بواجب زيارة جدته التي رجعت لتوها من الحج، وهذه هي محصلة دلالة الملفوظ، لكن هل هذا ما فعله سعد فقط؟ طبعا لا، فهو إذ قام بفعل التلفظ قد مارس فعلا إنجازيا يكمن في رفض دعوة محمد بالرغم من أنه لم يتلفظ بذلك صراحة، وينتج عن فعل الإنجاز هذا فعل أثر في نفسية المخاطب محمد، كأن يخلف عنده تفهما أو غضبا أو عدولا عن مشاهدة المباراة.

### 1-3- تصنيف القوى الإنجازية

يصنف أوستين الأفعال الإنجازية باعتبار صيغها النحوية والمقاصد والمقامات التي تُوظف

<sup>1</sup> – J.L. Austin, How to do things with words, op.cit, p:101.

فيها إلى خمس فئات<sup>1</sup>:

#### - الحكميات: Verdictives

وتضم أفعالا تعكس أهلية المتكلم لإصدار الأحكام بالنظر إلى موقعه الاجتماعي، أو مكانته الاعتبارية، كأن يكون قاضيا أو حاكما، ومن ذلك: اعترض، أدان، وافق، اتهم، برأ... .

#### - التنفيذيات: Exercitives

وتضم الأفعال التي تفيد قدرة المتكلم على اتخاذ قرارات وإصدار الأوامر والنواهي، وذلك من قبيل: وافق، حذر، نصح، زوج، سمى، عزل، عين... ويبدو هذا القسم رحبا جدا وأقرب ما يكون في بعض الأفعال إلى القسم الأول، غير أن التمييز بينهما قائم على أساس أن التنفيذيات قد تتضمن حكما، لكنها مع ذلك تتضمن تنفيذا أو ممارسة، عكس الحكميات التي قد لا تفيد فعلا ملموسا ماديا على مستوى تنفيذه.

#### - الوعديات/ التعهديات: Commissives

ويتعلق هذا القسم بالأفعال التي تضم الأفعال التي تفيد التعهد والالتزام بسلوك أو فعل ما، ومن تلك الأفعال: التزم، تعهد، وعد، تعاقد، وافق... .

<sup>1</sup> J.L. Austin, How to do things with words, op.cit, pp:150- 162.

### - السلوكيات: Behabitives

وتشمل تلك الأفعال التي يعكس بواسطتها المتكلم موقفه أو ردة فعله من سلوك ما تجاه المخاطب، ومن الأفعال التي تفيد ذلك: هنا، لام، انتقد، رحب، شكر، اعتذر...، إنها أفعال دالة على سلوك اجتماعي نحو الآخر.

### - العرضيات: Expositives

وتتضمن تلك الأفعال التي تعكس وجهة نظر المتكلم أو تصوره إزاء قضية أو موضوع ما أثناء حوار، ويدخل ضمن ذلك أفعال الحجاج والإثبات والإنكار مثل: أثبت، أنكر، دحض، افترض، شهد...

لقد مثلت هذه الاجتهادات بحق ثورة على المتعارف عليه في زمن أوستين الذي يرجع إليه الفضل في وضع الحجر الأساس لنظرية الأفعال الكلامية وفتح أفق جديد في فلسفة الفكر من خلال نظرية جديدة في فلسفة اللغة، غير أن التقسيم الذي قدمه أوستين في تصنيف طبقات الأفعال يبقى غير صارم بما يكفي، لما يشوبه من تداخل في بعض الأصناف، خاصة الصنفين الأخيرين، حيث من السهل أن نجد فعلا إنجازيا تتجاوزه في بعض الأحيان السلوكيات والعرضيات معا، نحو: رفض وانتقد. والأمر نفسه ينطبق على تداخل الحكيميات والتنفيذيات.

وقد أشار أوستين نفسه في أواخر كتابه إلى صعوبة تحديد الأفعال في الصنف الخامس، وتداخل الأصناف المقترحة أحيانا، وهو الأمر الذي جعله يُقر بأن التصنيف الذي يقدمه

غير نهائي<sup>1</sup> ليفتح الباب نحو اجتهادات أخرى.

## 2- نظرية الأفعال الكلامية عند سيرل

يبدو أن النقد الذاتي الذي قام به أوستين مثل منطلقا جوهريا في تطوير النظرية ونمذجة الأفعال الإنجازية من جديد بالنسبة لتلميذه سيرل الذي تعمق في فهم اجتهادات أستاذه، ووقف على ثغراتها، فكان له أن ساهم باجتهادات عبقرية ساهمت في تشذيب النظرية وتدقيقها، وقبل أن نعرض ما جاء به سيرل في تصوره للإنجاز الكلامي سنعرض للركائز المعيارية التي استند إليها في ذلك.

## 2-1- معايير تصنيف القوى الإنجازية

انطلق سيرل في نقده لأستاذه من الخلاصة التي خرج بها أوستين في آخر كتابه **How to do things with words**، والمتعلقة بتداخل الأصناف الإنجازية، حيث لاحظ سيرل أن الحدود بين تلك الأصناف ليست واضحة المعالم بشكل منهجي يضمن عدم وقوع بعض الأفعال محل تجاذب بين صنفين أو أكثر، وأرجع ذلك إلى عدم انتباه أوستين إلى معيار التصنيف في الأفعال وهو إنجازي أم لغوي، إذ فاته حسب سيرل أن هناك اختلافا بين الأفعال اللغوية كصيغ نحوية ومعجمية مرتبطة بلغة محددة كالفرنسية والألمانية والإنجليزية، وبين الأفعال الإنجازية كمقولات خطابية مرتبطة باستعمال اللغة عموما وليس بلغة

<sup>1</sup> – J.L. Austin, How to do things with words, op.cit, p:151.

محددة<sup>1</sup>. واستحضار هذا المعطى حسب سيرل أمر جدير بتدقيق ما اقترحه أوستين، والبدائية هي الانطلاق من معايير مقياسية خطابية قبل نمذجة جديدة، وقد حدد سيرل لذلك إثني عشر معياراً:

- **اختلافات بالنسبة لغاية الفعل (غرض الفعل):** ويتعلق الأمر بالغاية من التلفظ بقول ما، إذ " يمكن أن تكون الغاية من الأمر هي جعل المخاطب يفعل شيئاً، وتكون الغاية من الوصف هي تجسيد الشيء صحيحاً أو خاطئاً، دقيقاً أو غير دقيق، والغاية من الوعد هي إلزام المتكلم لنفسه بالقيام بشيء"<sup>2</sup>. غير أنه لا ينبغي الخلط بين الغاية كأثر إنجازي والقوة الإنجازية كاستراتيجية للإنجاز الفعلي، ذلك أن "الغاية عنصر من القوة الإنجازية، لكن دون أن تغطيها، إذ يمكن أن تكون غاية الطلب هي نفسها غاية الأمر، وهي جعل المخاطب يقوم بشيء ما، غير أن قوتها الإنجازية واضحة الاختلاف. ويمكن القول: إن القوة الإنجازية هي محصلة مجموعة من العناصر بينما الغاية الإنجازية مفردة (أو واحدة)"<sup>3</sup>.

- **اختلافات في اتجاه المطابقة بين الكلمات والعالم:** يرى سيرل أن الوجهة الإنجازية لتحقق الغاية ليست على نمط واحد، لأن بعض الأقوال كالتأكيدات تتجه نحو جعل القول مطابقاً للواقع، عكس أقوال الوعد والأمر التي يتخذ اتجاه المطابقة فيها جعل الواقع مطابقاً

<sup>1</sup> - John.R. Searle, Expression and Meaning Studies in the theory of speech acts, Cambridge University press, printed in the united states of America 1979, p :2.

<sup>2</sup> - Ibid, p:2.

<sup>3</sup> - Ibid, p:3.

للقول، ويمثل سيرل لوجهة جعل القول مطابقا للواقع بعلامة (↓)، ويمثل لوجهة جعل العالم مطابقا للكلمات بعلامة (↑)، مؤكدا على ضرورة أخذ وجهة المطابقة بعين الاعتبار<sup>1</sup>.

- **اختلافات في الحالة النفسية المعبر عنها:** ومفاد ذلك أن الفعل الإنجازي ينبغي أن يعكس بالضرورة إحساس المتكلم بمجرد ما يقوم بفعل القول، وعلى سبيل المثال فمن يؤكد بواسطة التعبير (ب) عن الاعتقاد بـ (ك) فهو يعبر بشكل مباشر أو ضمني عن موقفه، كما أن من يعد بالقيام بـ (أ) أو يهدد بواسطة (ج) هو في المقام الأول يعبر عن حالته النفسية، مثلما أن من يعتذر عن القيام بـ (س) يعبر عن أسفه للقيام بـ (ش). ولذلك فإن كل فعل إنجازي لابد أن يعبر بالضرورة عن الحالة النفسية للمتكلم<sup>2</sup>.

- **اختلافات في حدة القوة المعبر عنها في غاية الإنجاز:** قد يكون لبعض الأفعال الإنجازية الغاية نفسها، ولكن قوة الإنجاز قد تكون مختلفة، فإذا قارنا بين قول: "اقترح أن نذهب إلى السينما"، وقول: "أصر على أن نذهب إلى السينما"، فإننا سنجد أن لهما الغاية الإنجازية نفسها وهي طلب المتكلم من المخاطب الذهاب إلى السينما، غير أن قوة الثاني تفوق قوة القول الأول<sup>3</sup>.

- **اختلافات في وضعية المتكلم والمخاطب في تحديد القوة الإنجازية:** ويتعلق هذا المعيار بتأثير وضعية المتخاطبين في رصد القوة الإنجازية للقول، فإذا طلب على سبيل

<sup>1</sup> - John.R. Searle, Expression and Meaning Studies in the theory of speech acts, op.cit, pp:3-4.

<sup>2</sup> - Ibid,p:4.

<sup>3</sup> - Ibid,p:5.

المثال الجنرال من أحد الجنود غسل الغرفة، فإن ذلك يعد أمرا لأن المتكلم أعلى منزلة من المخاطب، في حين إذا وقع العكس بأن طلب الجندي من الجنرال غسل الغرفة، فإن ذلك لا يعدو أن يكون التماسا أو اقتراحا<sup>1</sup> أو مزاحا.

- **اختلافات في الطرق التي ترتبط بها مصالح المتخاطبين:** ومدار ذلك أن فعل الإنجاز إما أن يتعلق بمصلحة المتكلم أو مصلحة المخاطب، إذ هناك اختلاف بين التباهي والتصاغر (التذلل) (boats and laments)، اللذين يصبّان في مصلحة المتكلم، وبين التهئة والشكر، اللذين تكون قوتهما الإنجازية لمصلحة المخاطب<sup>2</sup>.

- **اختلافات العلاقة بمجمل الخطاب:** ذلك أن ما يحدد قيمة بعض الأفعال الإنجازية هو صلتها بمجموع ملبسات الخطاب وظروفه، والعامل في ذلك هو أنها غير مستقلة على مستوى الدلالة، لأنها تحيل على أقوال سابقة أو لاحقة، ومن ذلك: أرد، استتبط، أستنتج، اعترض،...<sup>3</sup>، حيث تحيل هذه الأفعال على أفعال أخرى سابقة لأن الرد إنما هو على فعل كلام سابق، والاعتراض على فعل كلام سابق يعكس وجهة نظر، وهكذا دواليك.

- **اختلافات المحتوى القضوي المحدد بسمات تشير إلى القوة الإنجازية:** ذلك أن ما يميز الحكي عن التوقع هو أن الأول يتميز بواسم الإحالة على الماضي، عكس التوقع الذي

<sup>1</sup> – John.R. Searle, Expression and Meaning Studies in the theory of speech acts, op.cit, pp:5-6.

<sup>2</sup> – Ibid, p:6.

<sup>3</sup> – Ibid.

يتميز بواسم الإحالة على المستقبل<sup>1</sup>.

- اختلافات بين الأفعال اللغوية الإنجازية الدائمة والأفعال التي تنجز بغير اللغة:

ويمثل سيرل لذلك بأن متكلما وهو يصنف أشياء، يمكن أن يقول: أصنف هذا في (أ) وهذا في (ب)، كما يمكنه أن يقوم بفعل التصنيف دون أن يقول شيئا، تماما مثلما يمكننا ذلك في أفعال التقدير والفحص والكشف<sup>2</sup>، إذ يمكنني أن أتأمل في شخص فأقدر عمره في نفسي دون أن أنبس ببنت شفة، فيكون فعل التقدير قد أنجز فعلا، لكن هل بمقدورنا أن نعد دون أن نتكلم؟ طبعا لا، وهذا هو الفرق.

- اختلافات بين الأفعال التي تتطلب مؤسسة خارج لسانية في إنجازها وبين تلك التي

لا تتطلب: يوضح سيرل هذا المعيار بأن بعض الأفعال مثل الوعد لا يحتاج إلا إلى اتباع قواعد اللغة دون استحضار مؤسسة تمنح الوعد صيغة الإنجاز، في حين أن بعض الأفعال مثل عمّد، وحكم (على المجرم) وإعلان الشرود في اللعب هي أفعال إنجازية يقوم بها المتكلم، لكن بقوة المؤسسة التي يمثلها كالكنيسة والمحكمة ولجنة التحكيم<sup>3</sup>.

- اختلافات بين الأفعال ذات الصيغة الإنجازية والأفعال الإنجازية بغير صيغة: ومعنى

ذلك أنه يجب الأخذ بعين الاعتبار الفرق بين الأفعال الإنجازية التي تعكس إنجازيتها صيغة الفعل اللغوي نحو وَعَدَ (الوعد)، وتلك الأفعال التي تُنجز دون التلفظ بما يدل على الإنجاز

<sup>1</sup> – John.R. Searle, Expression and Meaning Studies in the theory of speech acts, op.cit, p:6.

<sup>2</sup> – Ibid ,pp:6-7

<sup>3</sup> – Ibid, p:7.

من قبيل التهديد، إذ لا ينجز هذا الفعل بالقول: "أنا أهددك"<sup>1</sup>.

- **اختلافات في أسلوب إنجاز الفعل الإنجازي:** يوضح سيرل أن أسلوب إنجاز الفعل معيار دقيق في تمييز الفعل المنجز، لأن بعض الأفعال تلتبس مع بعضها فلا يكون المحدد إلا أسلوب الإنجاز، ومن ذلك أن الطلب والالتئمان على السر فعلاّن إنجازيان ليس بينهما اختلافات في غاية الإنجاز، ولا في المحتوى القضوي، وإنما الفرق يكمن في أسلوب الإنجاز، وهذا المعيار يشبه إلى حد كبير المعيار المتعلق بحدة القوة المعبر عنها<sup>2</sup>.

## 2-2- أصناف القوى الإنجازية

على ضوء المعايير السابقة اهتدى سيرل إلى تصنيف جديد يهتم القوى الإنجازية للأفعال، حيث قسمها إلى خمسة أصناف:

### ▪ -أ التقريريات: Assertives<sup>3</sup>

هي في الجوهر إخبارات لأنها تجعل المتكلم مسؤولاً عن حقيقة محتوى ما يتلفظ به، ولذلك فهي تقبل معيار الصدق والكذب، ويقترح سيرل لهذا الصنف المعادلة التالية: + ↓ ع (م).

وتشير علامة (+) إلى التقريريات، بينما يشير السهم النازل إلى اتجاه المطابقة من القول إلى العالم، أما "ع" فتشير إلى الاعتقاد الذي يساور المتكلم، بينما يشير الرمز (م) إلى المحتوى

<sup>1</sup> - John.R. Searle, Expression and Meaning Studies in the theory of speech acts, op.cit, p:7.

<sup>2</sup> - Ibid, p:8.

<sup>3</sup> ترجمها صابر الحباشة "الإخبارات" أنظر فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان ، مرجع سابق، ص: 47.

القضوي.

ومن الأمثلة التي يضعها سيرل في هذه الفئة، تلك الأفعال التي تنطبق عليها هذه المعادلة وتهم مصلحة المتكلم من قبيل، الشكوى والافتخار.

#### ▪ ب-الأمريات: Directives

تتأسس وجهة الإنجازات في هذا الصنف على طلب المتكلم من المخاطب القيام بشيء باللين أو الغلظة، ويرمز سيرل للأمريات بهذه الصيغة : !ر(مخ) ينجز (ف)).

وتشير! إلى العلامة المميزة للأمريات، بينما السهم الصاعد ↑ يرمز إلى توجه مطابقة العالم للكلمات، في حين تشير "ر" إلى رغبة المتكلم أو مبتغاه، أما (مخ) فهي ترمز للمخاطب، ثم "ف" وتشير إلى الفعل المطلوب إنجازه من المخاطب، ومن الأفعال التي يأتي بها سيرل في هذا الصنف: طلب، أمر، استدعى، نصح، تحدى، استنطق، سأل.<sup>1</sup>

#### ▪ ج-الالتزاميات: Commissives

ويقصد بها سيرل الأفعال التي يلتزم فيها المتكلم بإنجاز عمل ما في المستقبل، وهي صنف لا يختلف عما جاء به أوستين، ويرمز له سيرل بـ : ل↑ق(مت) ينجز (ف)).

ويرمز "ل" إلى الالتزام، والسهم الصاعد ↑ إلى أن اتجاه المطابقة يكون من العالم إلى القول،

<sup>1</sup> John.R. Searle, Expression and Meaning Studies in the theory of speech acts, op.cit, pp:13-14.

أما "ق" فترمز إلى القصد، أي أن المتكلم ورمزه "مت" قصد أن ينجز فعلا "ف"<sup>1</sup>.

#### ▪ د-التعبيريات: Expressives

وهي تلك الأفعال التي تُنجز للتعبير عن الحالة النفسية إزاء أشياء محددة في المحتوى القضوي، ويشير سيرل إلى أن المطابقة تغيب عنها ويجيء ترميزها على النحو التالي: Øغ (ح) (مت/مخ + خصوصية).

يشير "غ" إلى الغاية من القول، أما الرمز Ø فيشير إلى عدم وجود تطابق بين العالم والكلمات أو العكس، أما "ح" فيشير إلى مجال حالة نفسية غير محددة، لأن الإنجاز غير محدد بفعل ما، وإنما يبقى مجالا متغيرا تبعا للمحتوى القضوي، ومن الأفعال التي تدور في فلك المجال المتغير: أفعال الشكر والتهنئة والاعتذار والتعزية<sup>2</sup>. ويرمز "مت" و "مخ" على التوالي إلى المتكلم والمخاطب في خصوصيات معينة، ويبدو أن هذا الصنف أيضا لا يختلف كثيرا عما جاء به أوستين في صنف السلوكيات.

#### ▪ هـ-التصريحات: Declarations

تتميز هذه الفئة من الأفعال حسب سيرل بحاجتها إلى مؤسسة خارج لسانية لإنجازها كالكنيسة والمحكمة والإدارة، والألعاب المؤطرة بمؤسسة ما، ولذلك فإن المحتوى القضوي لهذا

<sup>1</sup> – John.R. Searle, Expression and Meaning Studies in the theory of speech acts, op.cit, p:14.

<sup>2</sup> – Ibid,pp:15-16.

النوع من الأفعال غالبا ما يتطابق أو يقترب من الواقع، إذ إن المحتوى القضوي لقول ما من قبيل: "أنت مفصول" يصيرا واقعا بمجرد التلفظ بالجملة من مسؤول الإدارة.

ويرمز سيرل لهذه الفئة من الأفعال بـ:  $\downarrow \emptyset \uparrow$  (م). حيث يشير "ص" إلى هذه الفئة من الأفعال، ويرمز السهم ذو الرأسين  $\updownarrow$  إلى أن المطابقة مزدوجة بين الكلمات والواقع، حيث الكلمات تطابق الواقع، والواقع يطابق الكلمات، أما العلامة  $\emptyset$  فتشير إلى غياب شرط الإخلاص (قصد الالتزام بفعل ما)، الذي يقنن أفعال الالتزام، أما "م" فيشير إلى المحتوى القضوي<sup>1</sup>.

## 2-3- عناصر الفعل الكلامي عند سيرل

إذا كان أوستين قد حصر عناصر الفعل الكلامي في ثلاثة، فإن تلميذه سيرل سعى إلى التدقيق في هذه العناصر انطلاقا من بعض الأقوال إلى أن خلص إلى أن إنجاز عمل لغوي يعني إنجاز أربعة أفعال<sup>2</sup>:

أ. **فعل التلفظ: acte d'énonciation** ويتحدد في إصدار أصوات تشكل كلمات تنتمي إلى لغة معينة.

ب. **الفعل القضوي: Acte propositionnel** ويتضمن الفعل القضوي في تصور سيرل

<sup>1</sup> John.R. Searle, Expression and Meaning Studies in the theory of speech acts, op.cit, pp:17-19.

<sup>2</sup> - John R. Searle, Les actes de langage: essai de philosophie du langage, traduit par Hélène Pauchard, Edité par Paris, Hermann 1972, p :61-62.

فعلين فرعيين:

أ- فعل الإحالة **Acte de référence** ومهمته الإحالة على موضوع أو

موضوعات محددة في العالم الخارجي

ب- فعل الحمل **Acte de prédication** ومهمته نسبة الموضوع للحمل بصيغة

من الصيغ التي تسمح بها اللغة.

ج. الفعل الإنجازي: **Acte d'illocutionnaire** وهو لا يختلف عما جاء به أوستين، أي

الفعل الذي يحقق المتكلم بقوله ما يقول كأن يكون تحذيرا أو شكرا أو وعدا أو طلبا..إلخ.

د. فعل التأثير: **Acte prlocutionnaire** وهو الأثر الناتج عن القول أي التأثير الذي

يحدثه الفعل الإنجازي في المخاطب كأن يخلف عنده الاقتناع أو الرضى ...تماما مثلما

هو الشأن عند أوستين.

ويبدو من هذا التصنيف أن سيرل لا يختلف مع أوستين في تأديتنا بالكلام ثلاثة أفعال،

غير أن سيرل أضاف الفعل القضوي كصيغة لضبط الفعل الكلامي للملفوظ في صيغته

الحرفية، فحاول أن يمنح الدلالة بعدا مستقلا عن مجرد النطق بأصوات مقروعة من مخارج

معينة، وذلك من خلال فعل الإحالة الذي يقوم بتعيين الموضوعات وتحديدها، ثم فعل الحمل

الذي يقوم بإسناد الموضوعات إلى المحمولات بإحدى الصيغ النحوية التي تسمح بها اللغة.

وترمي هذه الإضافة بالأساس إلى وجوب التفريق بين المحتوى القضوي للقول أي دلالاته،

وبين القوة المتضمنة في القول أي ما يتعلق بمقاصد المتكلم وليس أغراضه؛ إذ إن الأقوال

المباشرة تبعا لسيرل لابد لها من أن تتضمن واسما للقوة المتضمنة في القول، أي ما يدل على العمل الإنجازي في حد ذاته، وواسما للمحتوى القضوي؛ أي ما يتعلق بمضمون العمل<sup>1</sup>. وللتوضيح يمكن أن نفحص الأقوال التالية:

- أطلب أن تدفع لي ما في ذمتك من دين.
- أرجو أن تدفع لي ما في ذمتك من دين.
- أحذر من عدم دفعك لي ما في ذمتك من دين.

فهذه الأقوال تحيل على العناصر نفسها على مستوى الإحالة وهي المتكلم والمخاطب والدين، كما أن قضية الحمل فيها واحدة وهي دفع الدين، غير أن الفعل الإنجازي يختلف من قول لآخر، فالأول طلب، والثاني التماس، والثالث تهديد وتحذير. وبالتالي فإن الصيغ التالية على التوالي: أطلب، أرجو، أحذر، تعتبر واسمات لأفعالها الإنجازية، فيما المحتوى القضوي واحد هو (أن يدفع المخاطب للمتكلم ما في ذمته له من دين).

## 2-4- إنجازية الأفعال غير المباشرة

لم يفت سيرل وهو بصدد تعميق وتوسيع نظرية الأعمال الكلامية أن يخوض في مختلف الجوانب الإنجازية للقول، حيث تطرق في الفصل الثاني من كتابه **expression and**

<sup>1</sup> - أن ريبول و جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني ومراجعة لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2003، ص:33.

**meaning** إلى الأعمال غير المباشرة منطلقا من بعض الأقوال التي يقصد فيها المتكلم شيئا آخر غير المعنى الحرفي الذي ينقله الملفوظ، ومن تمظهرات ذلك أن المتكلم قد يبلغ أو يوصل شيئا آخر بالإضافة إلى ما ينقله القول وهو ما يسميه سيرل بالتلميحات **Isinuations**، أو قد يبلغ عكس ما ينقله القول وهو ما قد يصير سخرية **Irony**، كما أن المتكلم قد يبلغ معنى مختلفا عن المعنى الحرفي للقول وهو ما يتعلق بالاستعارة **Metaphor<sup>1</sup>**.

ومن الأمثلة التي يتخذها سيرل منطلقا في التحليل "هل تستطيع أن تتاولني الملح؟"، إذ إن المتكلم بهذا الملفوظ لا يقصد أن يستفهم المخاطب حول مقدرته على مناولته المتكلم للملح، وإنما يطلب منه بطريقة مهذبة أن يمكنه من الملح<sup>2</sup>. ويفهم ذلك بتضافر مجموعة من المعطيات السياقية التي تتحدد مثلا في وجود الملح على المائدة، وقدرة المخاطب على إنجاز العمل، ورغبة المتكلم في ذلك، بالإضافة إلى المواضعة الاجتماعية التي تجعل من الاستفهام تلطيفا من حدة الأمر.

ومن تحليل أقوال من هذا القبيل في حضان المعطيات التي تجعل المخاطب يدرك قصد المتكلم، خلص سيرل إلى أن عملية التأويل تمر بسلسلة من المراحل الدلالية التي تُتخذ فيها عناصر السياق وظروف التلفظ والمعرفة المشتركة بين المتخاطبين بعين الاعتبار، مثال ذلك

<sup>1</sup> – John.R. Searle, Expression and Meaning Studies in the theory of speech acts, op.cit, p:30.

<sup>2</sup> – Ibid, p: 30.

ما ينطلق منه سيرل نفسه<sup>1</sup>:

- الطالب 1: لنذهب إلى السينما هذا المساء.

- الطالب 2: عليّ أن أحضّر لامتحان.

فالملاحظ أن جواب الطالب (2) يتضمن فعلين إنجازيين الأول مباشر وهو الإخبار بأن عليه أن يجهز نفسه لامتحان، والثاني غير مباشر ويتمثل في رفض دعوة الطالب (1) الذي فهم القصد، لكن كيف؟

يرى سيرل أن ذلك مر من عدة مراحل:

أ. (مت) عرضتُ على (مخ) أن نذهب إلى السينما فأخبرني رداً على قولي بأن عليه أن يحضر لامتحان.

ب. أفترض أن (مخ) يحترم مبادئ التعاون في الحوار .

ج. كان بإمكان (مخ) أن يقدم إحدى الإجابات: القبول، الرفض، تقديم اقتراح آخر أو أية إجابة لمواصلة الحوار.

د. رد (مخ) لا يمثل أية إجابة من هذه (استنتاج من المرحلتين أ و ج).

هـ. (مخ) يقصد أكثر مما يقول، ولذلك فغرضه الإنجازي يختلف عما يتلفظ به (استنتاج من المرحلتين ب و د).

<sup>1</sup> – John.R. Searle, Expression and Meaning Studies in the theory of speech acts, op.cit, pp: 33-34-35.

و. أعرف أن التحضير للامتحان يقتص وقتا طويلا إذا كان في ليلة واحدة، كما أعرف

أن الذهاب إلى السينما يتطلب وقتا طويلا في ليلة واحدة (خلفية معرفية مشتركة).

ز. لهذا لا يمكن لـ (مخ) أن يذهب إلى السينما ويحضر للامتحان في الليلة نفسها

(استنتاج من المرحلة و).

ح. من الشروط التمهيديّة لقبول الطلب القدرة على إنجاز فعل الحمل المنصوص عليه

في المحتوى القضوي.

ط. لهذا أفهم أن قوله يفيد أنه لا يستطيع أن يقبل طلبي (استنتاج من المراحل أ- ز-

ح).

ي. إذن الفعل الإنجازي لـ (مخ) هو رفض الاقتراح الذي تقدمت به (استنتاج من

المرحلتين ه-ط).

## المبحث الثالث:

### أهم مرتكزات التأويل الدلالي التداولي في تحليل الخطاب.

#### 1-السياق

يعد السياق أحد المرتكزات الهامة التي يبنى عليها فعل التواصل، فهو بما يوفره من معلومات يعد الأساس المركزي الذي يبنى عليه التأويل التداولي، إنه بمثابة مصفاة تداولية تعمل على ترجيح معنى من المعاني وانتخابه، فتنقل اللغة من طبيعتها اللسانية إلى طبيعتها الاستعمالية المرتبطة بالمعنى القصدي.

وإذا كان المفهوم الضيق للسياق يستند إلى ربط الوحدات المعجمية ببعضها ضمن النسق الذي يجيء عليه الملفوظ للكشف عن دلالاته<sup>1</sup>، فإن الأبحاث التداولية تتوسع بالسياق ليشمل كل الظروف المحيطة بفعل التلفظ بما في ذلك الظروف الاجتماعية والنفسية والثقافية.

وقد أولى العديد من الدارسين أهمية كبيرة للسياق، وفي مقدمة هؤلاء **فيرث J.R. Firth** الذي اشتغل على السياق باعتباره جزءا من تفاعل اجتماعي، وأكد أن السياق التخاطبي لا يمكن حصره في المحددات اللغوية أو السياق اللساني، لأن المعاني تتأثر بالسياق الاجتماعي. ومن ثمة فإنه لا يمكن في إطار البحث عن المعنى، الفصل بين الملفوظات

1 - عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب مقارنة تداولية، دار الكتاب الجديد بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2004، ص: 40.

التي تُصدرها الذوات المتكلمة وبين السياق الاجتماعي الذي يحيط بها<sup>1</sup>. من خلال متابعة وقراءة مجموعة من الأعمال التي تناولت السياق بالدراسة، يمكن تقسيم السياق من حيث طبيعته عناصره وموارده إلى صنفين هما: السياق اللساني والسياق غير اللساني، وإن شئنا ربطهما بما هو مطرد في الفكر العربي القديم تحديداً، أمكن أن نطلق عليهما: السياق المقالي والسياق المقامي، ويتعلق الأول بالقرائن اللسانية وشبه اللسانية التي توجه دلالة الملفوظ، أما الثاني فيتعلق بجميع المعطيات الخطابية الذاتية والموضوعية والظرفية والاجتماعية التي تؤطر الملفوظ في فعل التخاطب. ولنفصل الآن في هذين الصنفين محاولين استجلاء مواردهما.

### 1-1-السياق اللساني

يدخل ضمن السياق اللساني مجموع المعطيات الدلالية التي توفرها الوحدات المعجمية في ترابطها داخل الملفوظ، كما يدخل ضمنه ما توفره المعطيات شبه اللسانية والمتعلقة تحديداً باختيار قناة التواصل، ومن ثمة فإنه يمكن الحديث عن نوعين من المعطيات التي يوفرها السياق اللساني.

#### 1-1-1-السياق اللساني الصرف

من خلاله يمكن تحديد دلالة الجملة عن طريق النظر في الاستعمال التركيبي للوحدات

<sup>1</sup> – Gillian Brown and George Yule, Discourse Analysis, Cambridge University Press New York, First published 1983, p: 37.

المعجمية، فاستعمال صيغة فعلية محددة وتتالي الوحدات المعجمية وفق ترتيب معين في سابق ولاحق، يجعل دلالة الجملة غير منحصرة فيما تحيل عليه الوحدات المعجمية مستقلة، مما يجعل تحيين الدلالة في إطار التركيب والعلائق النحوية أمراً موجهاً للدلالة الكلية. ولا ينحصر السياق اللساني في العلائق التي تربط الوحدات المعجمية، بل يمتد إلى علاقات الجمل بعضها ببعض في إطار النص، من حيث الوظائف الدلالية التي تؤديها الجمل في تجاورها، كالتأكيد والنفي، والعطف الإضرابي أو العطف التخيري... إلخ. ويمكن أن يضاف إلى السياق اللساني الصرف علاقة النص في عمومته بنصوص أخرى في إطار التعالق الدلالي، وهو ما يسميه أحمد المتوكل "الجوار النصي"، ويُطلق عليه أحياناً مصطلح "التناص"<sup>1</sup>.

### 1-1-2- السياق شبه اللساني

ويتعلق بالمعلومات التي يوفرها اختيار قناة التواصل (أصوات، كتابة...)، كما يتعلق بالسنن المستعمل من حيث هو لسان يهم جماعة لغوية معينة، بالإضافة إلى طريقة تأدية هذا اللسان إذا كانت القناة صوتية<sup>2</sup>، حيث من شأن ذلك أن يسمح بأخذ فكرة عن الوسط الاجتماعي للمتكلم وتكوينه الثقافي.

<sup>1</sup> - أحمد المتوكل، "السياق موارد ومواده وأنماطه وتوطئة لمكون سياقي مندمج"، ضمن كتاب التداوليات وتحليل الخطاب، تنسيق وتقديم حافظ إسماعيلي علوي ومنتصر أمين عبد الرحيم، درا كنوز المعرفة للنشر والتوزيع عمان، دط 2013، ص:608.

<sup>2</sup> - Gillian Brown and George Yule, Discourse Analysis, op.cit, p: 38.

فضلا عما تلعبه القرائن الموازية كالنبر والتنغيم والضحك... في تقليص احتمالات التعدد الدلالي الذي توفره الجملة الواحدة، فالأداء الصوتي في العربية مثلا هو المحدد في معرفة دلالة جملة من قبيل: "زيد نجح"، هل هي استفهام أم تعجب أم إخبار.

## 1-2-السياق غير اللساني

يضم السياق غير اللساني مجموعة من المعطيات غير المتجانسة، فهو يضم معطيات تتعلق بذاتية المتخاطبين، وموضوع التخاطب وإطاره الزماني والمكاني، وينفتح على كل المعطيات الثقافية والاعتقادية والوجودية التي تسهم في توجيه المعنى.

إن إسهام هذه المعطيات في المعنى لا يتوقف على الحضور العيني للمتكلم والمخاطب في مكان وزمان واحد، كما أنها لا تهتم فعل التلفظ الذي يقوم به المتكلم دون فعل التأويل الذي يقوم به المخاطب، بل هي توجه الفعلين معا، "وذلك لأن المتكلم حتى لو لم يكن واقفا وجها لوجه أمام المخاطب، فإن بعض مكونات مقام المتلقي (المخاطب) -على الأقل- تكون حاضرة فاعلة في ذهنه ولسانه تقديرا واعتقادا، كما أن المخاطب حتى ولو لم يكن شاخصا إلى المتكلم ببصره، فإنه يستعين على فهم وتأويل ما يوجه إليه من خطاب بما يبينه ويفترضه من مكونات مقام إنشاء ذلك الخطاب"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - إدريس سرحان، "التأويل الدلالي التداولي للمفوضات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول"، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، تنسيق وتقديم حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث إرد الأردن، الطبعة الأولى 2011، ص: 153-154.

وتبعاً للتقسيم الذي دأب عليه الباحثون في تقسيم المعطيات السياقية، يمكن أن نميز بين صنفين<sup>1</sup>:

### 1-2-1- المعطيات السياقية الثابتة

تتحدد بشكل خاص في المشاركين في عملية التخاطب أي المتكلم والمخاطب، يضاف إلى ذلك الزمان والمكان، حيث تمثل معرفة المخاطب للمتكلم موجهها في تحديد المعنى الملائم ضمن اختيارات عدة، كما أن المتكلم يعول على هذه المعرفة في توجيه مخاطبه إلى المعنى الذي يقصده.

وتعد المعرفة بأحوال المتكلم والمخاطب الشخصية (السن، الجنس... إلخ) أحد المرتكزات الهامة في تحليل الخطاب، توفر للمحلل قاعدة معلومات من خلالها يستطيع توقع المعنى، وإذا انضاف إلى ذلك مؤشر المكان والزمان ازداد التوقع تحديداً<sup>2</sup>.

### 1-2-2- المعطيات السياقية المتغيرة

سيلاحظ القارئ الفطن أن هذه المعطيات تتداخل مع المعطيات السابقة، والحقيقة أن الفصل القاطع بين جميع عناصر السياق بما في ذلك السياق اللساني من الاستحالة، لأن بعضها يستدعي البعض الآخر، كما أنه لا يمكن التنبؤ في محاولة الإمساك بالمعنى بأسبقية

<sup>1</sup> - يتماشى هذا التقسيم مع ما قدمه إدريس سرحان وأحمد المتوكل، وإن كان الثاني يصطلح على المعطيات السياقية الثابتة عناصر السياق المقامي الخاص، ويطلق على المعطيات السياقية المتغيرة عناصر السياق المقامي العام. أنظر على التوالي: إدريس سرحان، "التأويل الدلالي التداولي للملفوظات"، مرجع سابق، ص: 154-155، وأحمد المتوكل، "السياق موارد ومواده وأنماطه توطئة لمكون سياقي مندمج"، مرجع سابق، ص: 602-606.

<sup>2</sup> - Gillian Brown and George Yule, Discourse Analysis, op.cit, p: 38.

معطيات سياق عن آخر، لأن تلك المعطيات أو بعضها على الأقل يحضر متزامنا، ولذلك فإن الفصل بين معطيات السياق الثابتة والمتغيرة إنما هو فصل غير صارم، ولكنه مع ذلك يسمح بالتمييز بين ما هو ثابت وحاضر في كل تواصل، وما هو حاضر بشكل ضمني كخلفية للتأويل، وبطريقة أخرى، معطيات السياق الثابتة تتعلق بسياق "الموقف التواصلية" المحدد في ظرف زمني ومكاني بين طرفين، فهو موقف جزئي وواقعي<sup>1</sup>، أما المعطيات المتغيرة فهي شاملة وموسعة تتجاوز "الموقف التواصلية".

يدخل ضمن المعطيات السياقية غير الثابتة طبيعة العلاقة الاجتماعية التي تربط المتكلم بالمخاطب (قربة عائلية، علاقة عمل، علاقة دراسة...) وسلمية هذه العلاقة، والمعرفة المشتركة بين المتخاطبين، وكذلك مستواهما الثقافي والتعليمي، وانتماؤهما الاجتماعي (العرق والمهني والطبقي) بالإضافة إلى الإيديولوجيات والمعتقدات الدينية...، وكل ما من شأنه أن يمثل خلفية لتأويل الملفوظات ضمن الخطاب.

<sup>1</sup> - فان ديك، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق الدار البيضاء، دط 2000، ص: 257.

## 2- الاستلزام الحواري: Conversational Implicature 1

إذا كانت اجتهادات أوستين وسيرل قد انشغلت أساسا بالإنجاز الكلامي وحددته في إطار دلالة القصد التي يحددها النسق اللغوي ومجمل المعطيات الخطابية التي تؤطر التلفظ بما في ذلك معارفنا عن العالم والناس، فإن فيلسوف اللغة والمنطق بول غرايس P. Grice رغم تقاسمه مع سيرل وأوستين التوجه العام نفسه في دراسة اللغة، شق طريقا مغايرة محاولا رصد المحددات المتحكمة في خروج الملفوظ عن محتواه القضوي ليعتق دلالة مستلزمة قد لا يدل عليها القول في حَرفيته.

انطلقت اجتهادات غرايس من دراسته لعلاقة بعض الأفعال في اللغة الإنجليزية، حيث لاحظ أن الفعل "To mean" يستعمل في بعض الأحيان بمعنى "أشار" وتارة بمعنى "دل" وأحيانا أخرى بمعنى "قصد"، إذ يقال: "يشير منبه الحافلة إلى الانطلاق" ويقال: "تدل البثور المنتشرة على جلد سعد أنه يعاني من مرض الحصبة"، بينما لا نقول في ملفوظ من قبيل "غرفتك زربية خنازير" إننا نشير أو ندل، بل نقول إننا نقصد "أن غرفتك وسخة وغير مرتبة"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - من الباحثين من ترجم المصطلح الأجنبي Implicature بمصطلح "التضمين" كما فعل إدريس سرحان أنظر طرق التضمين الدلالي والتداولي في اللغة العربية وآليات الاستدلال، رسالة دكتوراه، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ظهر المهرز فاس 1420-1421 / 1999-2000، ج1 ص 103. ومن الباحثين من ترجمه بالاقضاء، أنظر: "الاقضاء التخاطبي دراسة تداولية في آيات من سورة الأنعام"، م.م نور وليد ضمن كتاب التداولية في الحديث اللغوي والنقدي. مجموعة من الباحثين، مؤسسة السياب لندن، الطبعة الأولى 2012، ص 420-421. والاقضاء في تقديرنا مصطلح أقرب إلى المنطق من التداوليات كما ذهب إلى ذلك محمد السيدي ومحمد المتوكل، أنظر على التوالي: "إشكال المعنى من الاستعارة إلى الاستلزام الحواري"، مجلة فكر ونقد العدد 25 يناير 2000، ص108. والتداوليات علم استعمال اللغة، مرجع سابق، هامش الصفحة 293.

<sup>2</sup> - أن رويول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، مرجع سابق، ص: 53.

ومن دراسة غرايس لهذه الأمثلة وغيرها، ميّز بين الدلالة الطبيعية والدلالة غير الطبيعية، فالأولى تُفهم من قضايا وُضعت في علاقتها مع أعراضها أو نتائجها وليست مرتبطة بتأويلنا لها كدلالة البثور على المرض، فالأمر يتعلق بالمعنى الذي تملكه الأشياء في الطبيعة، ولذلك فهو يلزم المتكلم بحقيقة واقعة معينة، أما الدلالة غير الطبيعية فتقوم على عقد الصلة بين دلالة القول وقصد المتكلم، لأن تأويل الملفوظات لا يتوقف على الدلالة اللغوية التواضعية للكلمات بل يعتمد أساساً على مقاصد المتكلم وسياق التلفظ وكل الحثيات الخطابية المساعدة في الوصول إلى الدلالة المقصودة<sup>1</sup>.

لم يعمق غرايس أبحاثه في الدلالة الطبيعية كما فعل في الدلالة غير الطبيعية، لأن جوهر المعنى في الأولى محايد، أما في الثانية فهو متأثر بمستعمل اللغة، إن لم نقل إنه من إنتاجه، ولأن الإشكال الأساسي الذي انطلق منه غرايس يتمحور حول دراسة ما يجعل المتكلم أثناء التواصل قد يقصد ما يقول، وقد يقصد أكثر مما يقول، فقد انكب غرايس على البحث في الضوابط المتحكمة في تسرب المعنى من الدلالة الحرفية إلى الدلالة القصدية من خلال ظاهرة الاستلزام الحواري التي تميز التواصل الإنساني.

الاستلزام الحواري "عمل المعنى أو لزوم شيء عن طريق قول شيء آخر، أو قل إنه شيء يعنيه المتكلم ويوحى به ويقترحه ولا يكون جزءاً مما تعنيه الجملة و القول بصورة حرفية"<sup>2</sup>،

<sup>1</sup> - أن رويول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، مرجع سابق، ص: 53.

<sup>2</sup> - صلاح إسماعيل، نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، دط 2005، ص: 78.

لأن المعنى لدى المخاطب قد يتولد قبل أن ينتهي المتكلم من التلفظ بالقول، مثلما يمكن أن يتلفظ بالقول دون أن يكتمل معناه في ذهن المخاطب<sup>1</sup>.

إن المخاطب إذ يتوصل إلى قصد المتكلم فإنه يعتمد على مجموعة من الافتراضات والاستنتاجات في تدرج تأويلي يستلزم الدلالة القصدية التي يعيها المتكلم بقوله، ولذلك فإن القصد في تصور غرايس بالإضافة إلى كونه خاصية من خصائص التواصل الإنساني ظاهرة مركبة ومتعددة الأوجه على مستوى القصد ذاته، حيث يمكن الحديث عن أوجه مختلفة من القصد<sup>2</sup>:

-القصد الأول: قصد المتكلم إبلاغ المخاطب محتوى دلاليا معينا.

-القصد الثاني: قصده أن يتعرف المخاطب على القصد الأول.

-القصد الثالث: قصده أن يبلغ المخاطب أن القصد الأول يتحقق بتعرف المخاطب على

القصد الثاني.

ويترتب عن هذا التحديد أن المقاصد تتحدد وتتداخل وتكون الحصيلة: "القصد" و "قصد القصد" و "قصد قصد القصد" ويمكن أن يترتب عن ذلك مقاصد أخرى.

ومن ثمة، فإن نشاط إنتاج الكلام ونشاط فهمه عمليتا تفكير تأويليتان لا انفصام بينهما، لأن "انفراد المتكلم بالسبق الزمني، ما كان ليلزم عنه انفراداً بتكوين مضمون الكلام، بل ما أن يشرع المتكلم في النطق حتى يتقاسمه المخاطب دلالاته، لأن هذه الدلالات الخطابية، لا تنزل

<sup>1</sup> -حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، أفريقيا الشرق الدار البيضاء، د ط 2004، ص: 127.

<sup>2</sup> -المرجع نفسه، ص: 128.

على ألفاظها نزول المعنى على المفردات في المعجم، وإنما تنشأ وتتكاثر وتنتقل وتُتعرف من خلال العلاقة التخاطبية، متجهة شيئاً فشيئاً إلى تحصيل الاتفاق عليها بين المتكلم ونظيره المخاطب<sup>1</sup>.

لقد ميز غرايس بين المعنى الدلالي والمعنى التداولي، حيث الأول يقوم على دلالة الكلمات في ترابطها النحوي، ويمكن اعتباره فعلاً كلامياً مباشراً، أما المعنى التداولي فهو المعنى الذي يستند بالإضافة إلى المعنى المباشر إلى مجموع المعطيات الخطابية المؤطرة للقول، ويمكن اعتباره قوة إنجازية لفعل إنجازي غير مباشر<sup>2</sup>. ويتم الانتقال إلى المعنى الثاني حسب غرايس عبر خرق مبدأ التعاون principe de coopération الذي يحكم العملية التواصلية، وحينئذ نكون بصدد ظاهرة الاستلزام الحوارية.

يرى غرايس أن التواصل يقوم في جوهره على مبدأ عام هو مبدأ التعاون، ومفاده أن طرفي الخطاب معا يتعاونان في الوصول إلى المعنى، بتجنب كل ما من شأنه أن يكون خلفية لسوء الفهم، ويقوم مبدأ التعاون عند غرايس على أربعة قواعد استلهمها من المقولات الفلسفية عند كانط kant، وهي الكم Quntity والكيف Quality والعلاقة Relation والجهة (أو

<sup>1</sup> - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، الطبعة الثانية 2000، ص: 50.

<sup>2</sup> - نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث إربد الأردن، الطبعة الأولى 2009، ص: 187.

الصيغة<sup>1</sup>.Manner.

يتحدد المبدأ العام للتعاون في الصيغة التالية: "لتكن مساهمتك في التخاطب على الوجه الذي يقتضيه الغرض منه"<sup>2</sup>، ومفاد ذلك أنه يجب على المتكلم والمخاطب أن يتعاونوا على تحقيق الغاية التي من أجلها حصل الكلام، وذلك من خلال حرص كل واحد منهما على بيان مقاصده.

يتأسس مبدأ التعاون عند غرايس على أربعة قواعد تخاطبية فرعية هي<sup>3</sup>:

(أ) قاعدة الكم؛ وتحدد الكم الدلالي للقول من خلال قاعدتين فرعيتين:

• لتكن إفادتك المخاطب على قدر حاجته.

• لا تجعل إفادتك تتجاوز حد المطلوب.

(ب) قاعدة الكيف؛ وهي تلزم المتكلم بتحري الصدق في محتوى قوله من خلال قاعدتين:

• لا تقل ما تعلم أنه كاذب.

• لا تقل ما ليس لك عليه بينة.

(ج) قاعدة العلاقة؛ وتلزم المتكلم بأن يجعل المحتوى القضوي الدلالي لقوله مناسباً للمطلوب،

<sup>1</sup> – H. paul Grice, "Logic and Conversation". In syntax and semantics, vol3, speech acts, Ed by petre cole and jerry L. morgan, Academie press, New york, 1975, p: 45.

<sup>2</sup> – H. paul Grice, "Logic and Conversation", Op.cit, p: 45.

وأيضاً : طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، الطبعة الثالثة 2012، ص: 238.

<sup>3</sup> – H. paul Grice. "Logic and Conversation", Op.cit, p: 45-46.

وأيضاً: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، مرجع سابق، ص: 238.

فهي قاعدة تمنع المتكلم من أن ينزلق إلى مقاصد أخرى متباينة مع التي يستهدفها القول، وتتمثل فحوى هذه القاعدة في الصيغة التالية: "اجعل قولك يلائم المقام".

(د) قاعدة الجهة/ الصيغة؛ وتلزم المتكلم بتحري الوضوح لمنع اللبس والإطناب في القول، وتتفرع إلى قواعد فرعية:

- تجنب الخطأ في التعبير.
- تجنب الألفاظ الملتبسة.
- أوجز كلامك.
- اجعل كلامك مرتباً.

تعد هذه القواعد حسب غرايس ضوابط تحكم العملية التخاطبية في جوهرها الشفاف والمحايد، ويعد احترامها مسألة أقل إلحاحاً من احترام الآخرين<sup>1</sup>، وفي مثل الحالات التي يخرق فيها أحد المتخاطبين قاعدة أو أكثر من هذه القواعد، فإنه يصرف بشكل واع أو غير واع الآخر إلى المعنى الذي يقتضيه السياق، ولتأخذ المثال الذي يمثل به غرايس نفسه للاستلزام الحوارية.

فلنفترض أن (أ) و (ب) يتحدثان عن شخص يعرفانه يعمل في البنك نرّمز إليه ب (ج)<sup>2</sup>:

– (أ) يسأل: كيف هو (ج) مع وظيفته.

– (ب) يجب: آه بشكل جيداً، اعتقد أنه يحب زملاءه، لكنه لم يدخل السجن بعد.

<sup>1</sup>– H. paul Grice. "Logic and Conversation", Op.cit, p: 46.

<sup>2</sup> – Ibid , P :43.

فالظاهر أن جواب (ب) خرق بعض القواعد في مبدأ التعاون، مما يفرض على (أ) تجاوز الدلالة الحرفية للرد الذي قدمه (ب) بما يستلزم المعنى القصدي الذي أراده، ويمكن تبسيط ذلك من التوضيحات التالية:

- يبدو أن (ب) خرق قاعدة الكم حينما قدم معلومات أكثر مما يقتضيه المطلوب، وهو ما جعله يخرق أيضا قاعدة العلاقة إذ لم يتقيد بموضوع الحوار.
- بخرق (ب) لمبدأ الكم والعلاقة يفهم (أ) أن (ب) أجابه عن السؤال بالمعنى الحرفي من خلال عبارة "بشكل جيد"، لكن الإضافة التي أضافها تجعل (أ) يفهم أن (ب) لا يقصد المعنى الحرفي بل معنى مستلزما.

- (أ) يرى أن (ب) عوّل على قدرة (أ) في تجاوز الدلالة الحرفية إلى القصد.
  - (أ) يفهم من (ب) أن سمعة (ج) سيئة وأنه لص قد يدخل السجن في أي وقت.
- لقد فتحت اجتهادات غرايس آفاقا جديدة في تطوير البحث التداولي وإثراء الدراسات المتعلقة بالتواصل الإنساني، غير أن ذلك لم يمنع النقد عن تلك الاجتهادات لكونها لا تأخذ بعين الاعتبار العديد من التفاعلات الخطابية الطويلة والمعقدة التي تتداخل فيها الدلالات، بالإضافة إلى أن مبدأ التعاون وقواعده يغيب الدور الهام الذي تضطلع به جوانب التأدب واللفظ في إدراك المقاصد<sup>1</sup>. وعلى الرغم من أن غرايس قد أشار فعلا إلى هذا الجانب بقوله: "هناك بطبيعة الحال أنواع أخرى من الضوابط الاجتماعية والأخلاقية من قبيل: "كن

<sup>1</sup> – Geoffrey.N. Leech, Principles of Pragmatics, Longman London and New York, first published 1983, P: 80.

مؤدبا" التي (يُفترض) أن يراعيها المتخاطبون في كلامهم، وقد يتولد منها معاني غير حرفية"<sup>1</sup>، فإن ذلك يبقى مجرد إشارة خاطفة تعكس النظرة الهامشية من جانب غرايس لهذا الجانب، مع أنه قد يكون أحيانا هو الأصل في خروج الملفوظ في عملية التخاطب من محتواه القضوي إلى الدلالة المستلزمة<sup>2</sup>. وهو الأمر الذي تنبعت إليه روبن لاكوف **Robin Lakoff** وأفردت له مقالا أبرزت فيه أن مبدأ التأدب يقضي بالزام المتخاطبين بضوابط تهييية لا تقل أهمية عما يجب أن يلتزما به من ضوابط تبليغية، وتهم ضوابط التأدب حسب لاكوف ثلاث قواعد<sup>3</sup>:

- قاعدة التعف: لا تفرض نفسك على المخاطب.

- قاعدة التشكك: اترك المخاطب يختار بنفسه.

- قاعدة التودد: لتظهر الود للمخاطب.

ومع أن هذا الاجتهاد يبقى ذا أهمية، فإنه لم يسلم من النقد من جهة تداخل تلك القواعد وتفاوتها في القوة أحيانا إلى درجة أن قاعدة قد تلغي قاعدة أخرى، كما أن اجتماعها مع قواعد التبليغ يطرح مشكلة من ناحية القواعد التي ينبغي أن تُعطى الأولوية والسبق في التبليغ، ويُعزى ذلك في تقديرنا إلى سعي الباحثة إلى خلق نموذج تواصلية أخلاقي أكثر من سعيها إلى الكشف عن ظاهرة الاستلزام الحوارية التي كانت بؤرة الإشكال في أبحاث غرايس.

<sup>1</sup> - H. paul Grice. "Logic and Conversation", Op.cit, p: 47.

<sup>2</sup> - geofrey.N. Leech, Principles of Pragmatics, Op.cit, pp: 80-81.

<sup>3</sup> - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، مرجع سابق، ص ص: 240-241-242.

ويعد اقتراح **ليتش** **Geofrey.N. Leech** لمبدأ التأدب مساهمة فذة مكتملة لمبدأ التعاون الذي اقترحه **غرايس**، فالاستلزام الحوارى فى تصور **ليتش** يستند فى كثير من الأحيان إلى مبدأ التأدب فى استخلاص الدلالة الضمنية أكثر من قيامه على مبدأ التعاون. ومن الأمثلة التى يقدمها **ليتش** حوار شخصين فى فريق وهما يتحدثان عن زميل لهما:

أ- لقد افتقدنا بيل وأجاتا أليس كذلك؟

ب- صحيح، لقد افتقدنا بيل.

باعتقاد مبدأ التعاون قد يُلاحظ أن (ب) خرق قاعدة الكم، لأنه لم يقدم القدر المطلوب من المعلومات التى تفيد (أ) فيما يطلب معرفته بواسطة الاستفهام، فقد تجاهل (ب) فى جوابه الحديث عن "أجاتا"، وذلك ما يحفز (أ) على استنتاج دلالة ضمنية مستلزمة مفادها أن (ب) يقصد أن يقول: "لم نفتقد كلنا أجاتا".

وحسب **ليتش** فإن الدلالة المستلزمة هذه لم نتوصل إليها على أساس مبدأ التعاون فقط، لأنه كان بإمكان (ب) أن يقول: "صحيح، لقد افتقدنا بيل، لكن لم نفتقد أجاتا"، دون أن يخرق أية قاعدة فى مبدأ التعاون، وإنما توصلنا إلى تلك الدلالة المستلزمة استنادا إلى أن (ب) سكت عن شق من المضمون الدلالى المرتبط تحديدا بـ"أجاتا"، ليؤكد مبدأ التأدب تجاه شخص فى الفريق<sup>1</sup>.

1 – Geofrey.N. Leech, Principles of Pragmatics, op.cit, pp: 80–81.

وعموماً، فإن مبدأ التعاون الذي صاغه غرايس يضطلع برصد مدى تعاون الآخر في عملية التبليغ، أما مبدأ التأدب، فهو تنظيمي ذو طبيعة إنسانية لأن احترام قواعده تمكننا من ربط صلات المودة مع الآخرين. ويحضر مبدأ التأدب بقوة في الملفوظات التي تفيد الأمر على نحو: "هل يمكن أن تجلس؟"، والطلب على نحو: "هل تسمح بأن أجيب المتصل على الهاتف؟" إلخ.

إن المبدأين متكاملان حتى وإن هيمن أحدهما على الآخر في بعض الحالات التواصلية، مثلما يقع أحيانا في الكذب لتجنب الرفض المباشر على طلب ما، ولنفترض أن (س) طرق باب (ص) ودعاه لمأدبة عشاء، فردّ (ص) وزوجته تسمع: "أشعر بألم شديد في أسناني". فمبدأ التأدب في هذه الحالة يطغى، وهو الذي يفسر للزوجة التي سمعت الحوار، أن زوجها (ص) رفض الدعوة بطريقة ضمنية، مع أنه لا يشتكي في الحقيقة من أي ألم، والدلالة الضمنية التي فُهمت لم تستند فقط إلى خرق (ص) لمبدأ التعاون، وإنما بدرجة أكبر على مراعاة (ص) لمبدأ التأدب الذي يقضي بالتلميح إلى الرفض بلباقة وأدب وتجنب الغلظة والفضاضة في القول.

### 3- الافتراض المسبق Presupposition

يعد ستراوسن Strawson، من أوائل الباحثين من فلاسفة أكسفورد الذين تناولوا بالبحث قضية الافتراض المسبق، باعتباره محددًا أساسيًا في توجيه المعاني الضمنية في التواصل

الإنساني، غير أن جهود ستراوسن لم تكن سوى نقطة انطلاق ألهمت باحثين آخرين وأثارت اجتهادات فذة أثرت موضوع المعاني الضمنية في التواصل.

قد يلتبس الافتراض المسبق بالمعنى غير الحرفي الذي يستلزمه قول ما لتقاسمهما سمة الخفاء، غير أن الباحثين في التداوليات يضعون حدودا فاصلة بين المفهومين، حيث الافتراض المسبق ذو طبيعة لسانية لأنه يمثل "العنصر الدلالي الخاص بالقول"<sup>1</sup>، أما المعنى الضمني، فيرتبط بـ "مجموع المعلومات التي يمكن أن يضمها الخطاب، غير أن تحققها في الواقع يظل مرتبطا بسياق التلفظ"<sup>2</sup>.

إن ما يميز المعاني المضمرة هو عدم الاستقرار والثبات، لأنها مرتبطة بالسياق الذي تولدت فيه فحسب، كما أن المتكلم فيها يكاد يتجرد من تحمل مسؤوليته في حالة كون تلك المعاني تسيء للمخاطب، إذ بإمكان المتكلم أن ينتكر لها فيقول: "لست أقصد ما فهمته"<sup>3</sup>، أما الافتراض المسبق فيستند بالأساس إلى المعطيات اللغوية، حيث يمثل "نوعا خاصا من المعلومات التي ترتبط أو تنتج عن بعض الوحدات المعجمية والبنى التركيبية"<sup>4</sup>، ويمكن توضيح ذلك من خلال المثال التالي:

1 – Oswald Ducrot, Dire et ne pas dire principes de sémantique linguistique, Edition Hermann, 2 éme édition paris 1980, p :81.

2 – Catherine Kerbrat Orécchéoni, L'implicite, Edition Armand Colin, paris 1986, p : 39.

3 – Oswald Ducrot, Dire et ne pas dire, op.cit, p :132.

4 – Jennifer Spender, Presuppositions in spoken discourse, Akademityck AB, Edition Sbruk Sweden 2002, p:6.

- دراجة فاطمة جديدة، إنها سعيدة لأنها حمراء.

يحيل الملفوظ على أن المتكلم ينطلق من افتراضين مسبقين، الأول أن لفاطمة دراجة، والثاني أن الدراجة حمراء. ويرى التداوليون أن طريقة عزل الافتراض من القول هو إبطال حكم القضية عن طريق اختبار النفي<sup>1</sup> Negation test على النحو التالي:

- دراجة فاطمة ليست جديدة، ليست سعيدة أنها حمراء.

فالملفوظ ما يزال يتضمن الافتراض السابق الذي يفيد أن لفاطمة دراجة، وأن هذه الأخيرة حمراء على الرغم من النفي، عكس ما نجد في بعض الأقوال، ولننظر في المثال الموالي:

أ- شقيق فاطمة لديه دراجة.

ب- ليس لشقيق فاطمة دراجة.

يفترض في القول (أ) أن لفاطمة شقيق، ويؤكد هذا الافتراض الأول افتراض ثان ، مفاده أن شقيق فاطمة يملك دراجة، ولكن في حالة نفي القول كما في (ب)، فقد يبقى الافتراض الأول حاضرا، حيث إن لفاطمة شقيقا، غير أنه لم يعد لدينا اعتبار صحيح لقبول الافتراض الثاني المتعلق بامتلاك الشقيق للدراجة<sup>2</sup>.

قد تقترن صيغة بعض الأقوال بافتراض مسبق قد لا يكون صحيحا بالضرورة، لكنه يوهم

1 - Jennifer Spender, Presuppositions in spoken discourse, Op.cit, p:6.

2 - Ibid, pp :6-7.

بذلك مثلما هو الشأن في بنية بعض الأقوال الاستفهامية بواسطة أسماء الاستفهام، نحو: متى، أين، ما، كم،...، حيث إن الاستفهام بإحدى هذه الأدوات قد يقود إلى الاعتقاد أن المعلومة التي تأتي بعد الأداة صحيحة بالضرورة، فالسؤال: متى أغلق المتجر؟ يقود إلى الاعتقاد أن المتجر أغلق فعلا، مع أنه لا شيء يضمن صحة الافتراض، ولذلك قد تكون الافتراضات طريقة ماهرة توهم المخاطب أن المتكلم ينطلق من افتراض صحيح. ويحضر هذا النوع من الافتراضات بقوة في استنتاج المتهمين، فإذا ما سأل المحقق المتهم مثلا: أين أخفيت أداة الجريمة؟ وأجاب المخاطب بتحديد مكان ما، فإنه أكد على نحو غير مباشر افتراض كونه مرتكب الجريمة، وبالتالي ألصقت به التهمة، "لأن الافتراض المسبق لمحتوى معين يعني قبول هذا الأخير كشرط لاحق لحوار"<sup>1</sup>.

قد يكون التظاهر بالإخبار عن شيء طريقة ماهرة أيضا لتمير افتراض مسبق غير صادق، كأن يقول قائل: "ملك فرنسا حكيم"، حيث إن حكم القضية في القول مبني على افتراض يزعم وجود ملك لفرنسا رغم أنه غير موجود في الأصل.

1 – Oswald Ducrot, Dire et ne pas dire, op.cit, p :91.

#### 4-الإشارات

لأشك أن التواصل الإنساني لا يقوم فقط على المعطيات اللسانية، لأن الوحدات المعجمية في معزل عن سياق التلفظ وظروفه تبقى دلالتها مسكوكة، بل في بعض الأحيان مبهمة. ومن ذلك ما يسمى العبارات الإشارية أو الإشارات اختصاراً، حيث يعتبر المعنى فيها ليس شيئاً من الإحالة في ذاتها، وإنما هو معنى تتحدد مرجعيته باستعماله من طرف متكلم، فإذا نظرنا مثلاً في معزل عن السياق إلى الضميرين، (واو الجماعة وضمير الغائب "هم")، وأيضا ظرف الزمان (البارحة) في قول من قبيل :

- احتفلوا البارحة بتصدرهم لنتائج الانتخابات.

فإننا لا نستطيع أن نحدد من يحيل عليهم الضمير بالضبط، كما لا يمكن أن نحدد زمن الاحتفال بالضبط ما لم نعرف زمن التلفظ. وهو ما يعني أن العبارة الإشارية لا تحيل على المعنى إلا داخل سياق تلفظي معروف سلفاً وبحسب استعمال المتكلم.

الإشارات حسب أوريكيوني **Orécchéoni . C** هي "تلك الوحدات اللسانية ذات الوظيفة الدلالية المرجعية ...، تتضمن اعتبارات لبعض العناصر التكوينية للمقام التواصلية، نذكر منها: الدور الذي يضطلع به فاعلا القول في إجراء فعل القول، المقام الفضائي الزمني للمتكلم وعند الاقتضاء المخاطب"<sup>1</sup>.

1 - كيريرا أوريكيوني، فعل القول من الذاتية في اللغة، ترجمة محمد نظيف، أفريقيا الشرق الدار البيضاء، دط 2007، ص: 54.

وهو ما يعني أن الدلالة المرجعية في الإشارات ليست شيئاً يسكن العبارات باعتبار وظيفتها التأشيرية في اللغة، وإنما تعود بالأساس (الدلالة المرجعية) إلى مستعمل اللغة ضمن سياق محدد، "فالمتكلم هو الذي يحيل باستعماله لتعبير مناسب، إنه يحمل العبارة وظيفة إشارية عند قيامه بعملية الإحالة"<sup>1</sup>.

وهو ما أكده ستراوسن حينما ذهب إلى أن الإحالة "ليست شيئاً تضطلع به عبارة ما، وإنما هي شيء يمكن أن يشير إليه شخص ما باستعماله عبارة معينة"<sup>2</sup>. ولذلك فالإشارات خارج خطاب ما ليست إلا وحدات فارغة ملتبسة، لا تدل على شيء محدد مادام المتكلم هو الذي يودع فيها المعنى المرجعي، ويجعلها تحيل على شيء أو شخص أو زمان أو مكان.

وهذا ما ذهب إليه بنفنست **E . Benveniste** وأريكيوني **K. Orecchioni** بعده في أن الذاتية خاصة من خصائص اللغة<sup>3</sup>، على اعتبار أن التلفظ تجسيد للغة لكنه يبقى فردياً متأثراً بالاستعمال الخاص.

#### 1-4 الإشارات الشخصية

وتتحدد في فئة الضمائر التي تحيل على الأشخاص، وهي وحدات إشارية لا تستمد محتواها المرجعي إلا من الفعل الخطابي في فرديته وراهنيته. ويمثل بنفنست لذلك بضمير "أنا"

1 – Gillian Brown and George Yule, Discourse Analysis, Op.cit, p: 28.

2 –Ibid, p:28 .

3 – كيريرا أوريكيوني ، فعل القول من الذاتية في اللغة، مرجع سابق، ص:44. وأيضاً:

– Emile benveniste, problèmes de linguistique générale 1, Editions Gallimard 1966, p :261

الذي لا يحيل على أي فرد في معزل عن الخطاب، فإحالته تسع جميع الذوات التي يمكن أن تتلفظ به، لكن بمجرد التلفظ بـ"أنا" في خطاب، تصير "أنا" مخصوصة بالذات المتكلمة في تفرداها عن باقي "الأنوات" التي يمكن أن تتلفظ بها الأفواه، عكس التلفظ "بشجرة" الذي يمكن أن تُشترك فيه الدلالة بين المتكلمين<sup>1</sup>.

إن الوعي بذاتية المتكلم في استعمال الضمير "أنا" لا يتحقق إلا عندما يتوجه إلى ذات أخرى مقابلة في فعل خطابي، حيث "أفترض وجود شخص آخر خارج ذاتي، لكنه يصبح صدى لي أقول له "أنت"، ويقول لي "أنت". فقطبية الضمائر الموجودة في اللغة كشرط أساس للتواصل الذي ننخرط فيه، ليست بالكامل إلا نتيجة تداولية"<sup>2</sup>.

أما ضمير الغائب فذو طبيعة مغايرة عن ضميري المتكلم والمخاطب، حيث لا يعتبر مشاركا مباشرا في تفاعل الذوات المتكلمة، ولذلك لا يعتبر ضمير شخص<sup>3</sup>. وقد توقف بنفست عند التمييز الذي تقيمه اللغة الفرنسية بين ضمير المتكلم (je) و ضمير المخاطب (tu)، وضمير الغائب (il)، معتبرا أن ضمير الغائب يختلف عن ضميري المتكلم والمخاطب، من حيث كونه لا يعكس الذاتية التي تميز اللغة، لأنه يحيل على شخص أو أشخاص باعتبارهم موضوعا<sup>4</sup>، عكس ضمير المتكلم الذي يعكس ذاتية المتكلم، حيث "الأنا" ليست موضوعا للتلفظ ولكنها متحكم فيه، وكذلك الحال مع ضمير المخاطب الذي لا يحيل على ذات

1- Emile benveniste, problèmes de linguistique générale1, op.cit, p:261.

2 - Ibid, p :261.

3 - George Yule, Pragmatics, op.cit, p: 11.

4 - Emile benveniste, problèmes de linguistique générale 1, op.cit, p :265.

المخاطب كموضوع، بل كذات مؤثرة في فعل التلفظ، بما أنها قد تصير ذاتا متكلمة فتتحول إلى "أنا".

وهو الأمر الذي أكده أيضا جون لاينز John Lyons في اللغة الإنجليزية، حيث يقول: "أما بالنسبة لضمير الشخص الثالث من الناحية الأخرى (he) و (she) و (it)، فهي شخصية غير صرفة، أي أنها ترمز إلى فوارق في المعنى، مرتبطة تقليديا بالمصطلحات مذكر ومؤنث ومحايد. وبما أن هذه المصطلحات تستند إلى صفات المقصود التي لها علاقة بمكانه أو الدور الذي يلعبه في العمل الكلامي فإنها حتما لا تشخيصية على نحو واضح"<sup>1</sup>.

#### 2-4 الإشارات الزمانية

هي الكلمات والعبارات الدالة على الزمن بالنظر إلى سياق التلفظ الذي يعتبر سندا أساسيا في تحديد الزمان المحال عليه، لأن الإحالة على الزمن إنما هي موضوعة حدث أو واقعة في زمان محدد بالنسبة " للحظة زمنية معينة (T) مأخوذة كمرجع"<sup>2</sup>، غير أن معرفة مرجع الإشارة الزمنية وحدها قد لا يسعف أحيانا في تحديد دلالة الإشارة الزمنية حينما تتجاوز الاستغراق الزماني المحدد لها في المواضع الاجتماعية، كما هو الشأن في عبارات من قبيل: "شباب اليوم"، حيث لا يتحدد "اليوم" في مثل هذه الصيغ بالمتعارف عليه على أنه مدة زمنية لا تتجاوز أربعاً وعشرين ساعة، وإنما يتجاوز ذلك ليشمل العصر، وتلك دلالة

1 - جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة ووزارة الثقافة والإعلام بغداد، الطبعة الأولى 1987، ص: 257.

2 - كيريرا أوركيوني، فعل القول من الذاتية في اللغة، مرجع سابق، ص: 68.

غير قائمة على معرفة زمن التلفظ، وإنما معرفة السياق بجميع عناصره.

ومجمل القول إن الإشارة الزمنية كما ذهب إلى ذلك بنفست لا ترتبط بزمن فيزيقي، ولا بالزمن التسجيلي، بل بالزمن اللساني المرتبط بممارسة الكلام، حيث لا تتموضع لحظات الزمن في اللغات حسب وضعها الخاص، وإنما لحظة التلفظ<sup>1</sup>.

#### 3-4 الإشارات المكانية

تمثلها بصورة خاصة تلك الوحدات المعجمية التي تحيل على المكان والتي لا تتحدد دلالتها من طرف المخاطب إلا إذا جعل نفسه افتراضا مكان المتكلم<sup>2</sup>، كما هو الحال في عبارات من قبيل "هنا" و"هناك"، إذ تقوم مرجعية هذه الوحدات الإشارية على معرفة المخاطب لموقع المتكلم أثناء التلفظ، وفي حالة عدم تمكنه من ذلك تصير دلالة الإشارة مبهمة وملتبسة.

إن ما يميز هذه الإشارات هو أنها تحمل دلالة على القرب أو البعد بالنظر إلى الاستعمال، فالمتكلم الذي يقول: "هنا" يعلن نفسه قريبا من مكان، وإذ يقول: "هناك" فإنه يحيل على مكان بعيد عنه. وقد يكون لذلك أيضا دلالة على المسافة النفسية (العاطفية) Psychological<sup>3</sup> distance، فقد يرغب المتكلم في جعل شيء قريب ماديا بعيدا نفسيا بقوله مثلا: "استغرب من ذلك السلوك"، حيث يشير اسم الإشارة إلى البعد العاطفي والنفور،

1- وتقصد أرمينيكو بالزمن الفيزيقي Le temps physique الزمن الكوني المستمر، أما الزمن التتابعي (أو زمن الوقائع) temps de la chronique فهو الزمن المقطع تتابعيا في اليومية والتاريخ، انظر:

Françoise Armengaud, La pragmatique, op.cit, p : 58-59.

2 - كيريرا أوريكيوني، فعل القول من الذاتية في اللغة، مرجع سابق، ص: 91.

3 - George Yule, Pragmatics, op.cit, p: 13.

وقد يكون العكس بأن يجعل شيئاً بعيداً مادياً أقرب إلى النفس، على نحو "أسكن هنا خلف المدينة"، حيث اسم الإشارة دلالة على القرب العاطفي رغم بعد المتكلم بعشرات الكيلومترات عن المكان الذي يحيل عليه.

من الباحثين من يلحق بهذه الأصناف الإشارية الثلاثة نوعين آخرين هما إشارات الخطاب والإشارات الاجتماعية، أما الأولى فهي إشارات لا تحيل على ذاتية المرجع إثر فعل التلفظ من متكلم مخصوص كما في الإشارات السابقة، وإنما تحيل على سياق خطابي جديد، ومثاله: "بموازاة مع ذلك"، "في هذا الإطار..." حيث اسم الإشارة لا يشير إلى عنصر مفرد وبشكل عيني، ولكنه يحيل على سياق خطابي آخر له خصوصياته، ولذلك تمثل الإشارة الخطابية مرجعاً جديداً<sup>1</sup>.

أما الإشارات الاجتماعية، فتحيل على طبيعة العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين من حيث هي علاقة رسمية أو غير رسمية، علاقة حميمة أو غير حميمة، ففي العلاقات الرسمية حيث يعي المتكلم أن مرتبته أدنى من مرتبة المخاطب في السلم الاجتماعي أو الإداري أو العلمي وما يشبه ذلك، فإن الأول، غالباً ما يستعمل صيغ التفخيم<sup>2</sup> honorifics، كتوظيف ضمير الجمع "أنتم" للمخاطب المفرد، وصفات التعظيم نحو "سيدي الرئيس"، "فخامة السيد" "فضيلة الأستاذ"...، وحيث تنتفي الحميمة، أو تُحجب لإعطاء الحوار بعداً رسمياً، فإن المتكلم قد يلجأ إلى صيغ من قبيل: "السيد، السيدة، الأنسة...".

<sup>1</sup> – Stephen C Levinson , Pragmatics, op.cit, p : 85.

<sup>2</sup> – Ibid, p : 90.

من جهة أخرى، فكلما كانت مكانة المتكلم متكافئة مع مكانة المخاطب، فإن الإشارات غالباً ما تنزع إلى تكريس الطابع الأفقي لعلاقة الطرفين، حيث تنتفي أو على الأقل تتقلص أبعاد التعظيم. وكلما كانت طبيعة العلاقة التي تربط المتكلم بالمخاطب حميمية، كلما قلت صيغ التفخيم، وفي حالة تعدد جوانب العلاقة بين ما هو رسمي وما هو حميمي مثلاً، فإن المجال أمام المتكلم يتسع في الإحالة على طبيعة العلاقة التي يريد من المخاطب أن يستحضرها.

## الفصل الثاني:

# الحجاج، أهم النظريات والمفاهيم والآليات

## المبحث الأول:

### في مفهوم الحجاج

يقترن مصطلح الحجة والحجاج في المعاجم العربية بدلالة الغلبة في التنازع، فقد ورد في لسان العرب أن "حاججته أحاجه حجاجا ومحاجة حتى حججته؛ أي غلبته بالحجج التي أدليت بها...، والتحاج: التخاصم، وجمع الحجة: حُجج وحجاج. وحاجه محاجة وحجاجا نازعه الحجة...، والحجة الدليل والبرهان"<sup>1</sup>. والحجة عند الأزهري هي "الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة"<sup>2</sup>.

يظهر من هذا التحديد المعجمي أن الحجاج ممارسة تقوم على عرض الحجج باعتبارها وسائل إثبات وغلبة، تعرض في إطار تنازع طرفين وخلافهما حول قضية.

وإذا تجاوزنا هذا التعريف المعجمي إلى تصورات بعض الباحثين الذين اهتموا بقضايا الحجاج، فإن تحديد مفهوم الحجاج بدقة يصير أصعب نظرا لتعدد مظاهر الحجاج ووسائله، فضلا عن تباين مرجعيات الباحثين في النظر إليه، وسنعرض لبعض التعريفات كمحاولة لتقريب المفهوم.

يحدد **طه عبد الرحمن** مفهوم الحجاج انطلاقا من كونه شيئا ملازما للخطاب، حيث يرى أن

<sup>1</sup> - أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري ، لسان العرب، مرجع سابق، المجلد الثاني، (مادة حجج) ص 228.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 228.

ما يحدد ماهية الخطاب ليس العلاقة التخاطبية وحدها، وإنما أيضا العلاقة الاستدلالية التي تقوم على الحجاج، وحيث إن تمظهر الحجاج خطابي، فإن "حد الحجاج أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"<sup>1</sup>. والذي يمكن أن يفهم من تعريف طه عبد الرحمن أن الحجاج ممارسة لغوية تقتضي بالضرورة وجود طرف مدع، وطرف آخر يمكنه أن يقبل الدعوى المعروضة ويمكنه أن يعترض عليها.

وفي علاقة الحجاج بغايته، يرى بيرلمان وتيتيكاه أن الحجاج يستهدف "جعل العقول تدعن لما يُعرض أمامها أو يزيد في درجة الإذعان"<sup>2</sup>، ولذلك فدراسة الحجاج بالنسبة للباحثين هي "دراسة التقنيات الخطابية التي تجعل الأذهان تقبل الأطروحات التي تُعرض عليها أو تعزز قبولها"<sup>3</sup>. وحسب هذا التعريف، فالحجاج تقنيات خطابية يتوجه بها إلى مخاطب من أجل تحفيزه على قبول ما يعرض أو تعزيز ذلك. وكون الحجاج تقنيات خطابية يعني أنه فعل إستراتيجي موجه.

ومن التعريفات التي أشار إليها بلانتين أن الحجاج "نشاط أو عملية لسانية بواسطتها يقوم المتلفظ بتقديم الملفوظ الحجة، بحيث تعمل البنية اللسانية على توجيه المخاطب نحو

<sup>1</sup> - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، مرجع سابق، ص: 226.

<sup>2</sup> - Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts Teteca, Traité de l'argumentation – la nouvelle rhétorique, préface de Michel Meyer, Editions de l'université de Bruxelles, 6<sup>e</sup> édition 2008, p :59.

<sup>3</sup> - Ibid, p :5.

مسارات محددة<sup>1</sup>. والملاحظ في هذا التعريف أنه ذو مرجعية لسانية، حيث لا يحصر الفاعلية العجاجية في المحتوى الإخباري للحجج، وإنما تكمن الفاعلية العجاجية أيضا فيما تضطلع به الاختيارات اللسانية، لأنها توجه الحجج نحو وجهة محددة .

إن هذه التعريفات على اختلاف طريقة تحديدها للحجاج، تشير بشكل ضمني أو صريح إلى أن الحجاج ممارسة خطابية تستهدف حمل المخاطب على ما يعتقد المتكلم. والذي يدفع المتكلم إلى الحجاج هو أنه يعرف أو يفترض أن مخاطبه يمكن أن يكون له اعتقاد آخر. لذلك فالحجاج يقتضي ضمنا الطرح ونقيضه.

ولأن الحجاج يرتبط بالخطاب الطبيعي، فإنه يختلف عن البرهان في اللغات الصناعية، فالاستدلال في البرهان ينطلق من مقدمات أو حجج يقينية ليصل إلى نتائج يقينية وقطعية، أما الحجاج، فمجاله المحتمل والظني وبالتالي فإن نتائجه ليست بالضرورة حتمية وقطعية.

<sup>1</sup> - أباسيدي عليوي، الحجاج والتفكير النقدي، دار نشر المعرفة، الرباط، دط، 2014، ص: 10، نقلا عن:

Plantin Chrisian, Essais sur l'argumentation. Introduction linguistique à l'étude de la parole argumentative, paris kimé 1990 ,p :148 .

## المبحث الثاني:

### الحجاج في البلاغة القديمة

#### 1- البلاغة بين السفسطائيين وأفلاطون

عبر تاريخها الممتد لابتست بلاغة الإقناع الخطابية ولم تنفك عنها، إذ اعتبرت القوة الفاعلة التي يؤثر بها القول الخطابي، وإذا كان من العسير إصدار حكم تاريخي حول المهاد الأول للتنظير في البلاغة، فإن انتعاشها مع السفسطائيين في القرن الخامس قبل الميلاد أمر لا خلاف فيه بين الباحثين، حيث "اعتبر السفسطائيون أن القول الخطابي يفوق المعارف البشرية الأخرى بما يمتلكه من قوة وفعالية، إذ هو أعلى سلطة لتحقيق الاعتقاد وبناء المعرفة ووصل الإنسان والمدينة بالخير والنافع"<sup>1</sup>.

إن البلاغة بالنسبة للسفسطائيين لا تقتزن بإثبات الحقيقة، بقدر ما ترتبط بالإنسان في تفاعله مع الآخرين وقدرته على إحداث التأثير فيهم بغض النظر عن جدوى وجهة نظر الخطيب وتجسيدها للحقيقة، لأن هذه الأخيرة ليست إلا موضوعا نسبيا تتحدد قيمته بما يضيفه عليه الإنسان، ولذلك "فالخطيب البليغ يستطيع أن ينصر الحق كما يستطيع أن ينصر الباطل بقوة حججه أو براعته بالأقيسة والقضايا، الظاهر منها والمضمر، مادام الإنسان هو مقياس كل شيء"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان الرباط، الطبعة الأولى 2013، ص: 29.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 30.

لقد أوغل السفسطائيون في كل السبل والأدوات الخطابية التي يمكن أن تمكن الخطيب من السيطرة على الآخر والتحكم فيه بغض النظر عن استهوائه أو تضليله أو إقناعه، انطلاقاً من تصور مفاده أن البلاغة ليست لإنتاج المعرفة وإظهار الحقيقة، وإنما لبناء الاعتقاد. وهذا ما جعل أفلاطون يكن عداءً للبلاغة مادامت وسيلة لحمل الآخر على الاعتقاد بحقيقة تقوم على الرأي وتتأثر بالرغبات، الأمر الذي يفسح المجال أمام كل أشكال التغليب والاحتيال.

لقد سعى أفلاطون إلى التصدي لدفاع السفسطائيين عن البلاغة من خلال اعتباره العقل وسيلة المعرفة وسبيل بلوغ الحقيقة التي تبدو في تصوره ثابتة ومشتركة، لأنها ليست قائمة على الإدراكات الحسية وإنما على العقل، وتعد محاورتا جورجياس وفايدروس صورتين عاكستين لموقف أفلاطون، حيث ينتقد فيهما البلاغة خصوصاً كما يتمثلها السفسطائيون لكونها تقوم على الظن والاحتمال معلياً من مكانة البلاغة الفلسفية (بسيكاغوجيا) التي تقوم على الحقيقة<sup>1</sup>.

## 2- البلاغة والحجاج في تصور أرسطو

إذا كان أفلاطون قد انتقد البلاغة غير الفلسفية لأنها لا تتأسس على إقناع برهاني قائم على الحقيقة واليقين، فإن تلميذه أرسطو لم ينتقص من أهمية البلاغة في القضايا الاحتمالية، لأن

<sup>1</sup> - رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ترجمة عمر أوكان، رؤية للنشر والتوزيع القاهرة، الطبعة الأولى 2011، ص ص: 27-28.

الاحتمال والظن من الأمور المتعارف عليها والمسلم بها بين الناس.

يعتبر أرسطو أن الجدل والخطابة يتقاطعان في توجههما إلى بناء الاعتقاد واستنادهما إلى منطلقات افتراضية مشتركة بين الناس، عكس البرهان الذي يتوجه إلى نحو بناء المعرفة وتجسيد الحقيقة. ولئن كانت الخطابة تشترك مع الجدل في تناولها لقضايا احتمالية (مجال البلاغة)، فإنهما حقلان متمايزان في تناول أرسطو، فالجدل يتعلق بالإحاطة بالأمور التي يحصل بها الإقناع عامة، أما الخطابة فهي القدرة على الإحاطة بالأمور المقنعة في الأجناس الخطابية الثلاثة: الاستشارية والقضائية والاحتفالية، أي أنها لصيقة على التوالي بالتجمعات الشعبية التشاورية، والمحاكم، والتجمعات العمومية الاحتفالية<sup>1</sup>.

وإذا كان أرسطو قد حدد الخطابة في ثلاثة أجناس فإنه ربط كل جنس بغاية ذات أولوية، يقول: "كل نوع من الأنواع الثلاثة غاية خاصة مختلفة، ولما كانت أنواع الخطابة الثلاثة، فهناك ثلاثة أنواع من الغايات، فغاية الخطيب المشاور هو النافع أو الضار، لأن من يحض يوصي بمسلك بوصفه الأحسن ومن ينهى، ينصح بتجنب مسلك لأنه الأسوأ، وكل الاعتبارات الأخرى مثل العدل والظلم والشرف والخسة مندرجة كلواحق في هذا. وغاية الخطيب في المنازعات القضائية هو العادل أو الظالم، وفي هذه الحالة أيضا تندرج سائر الاعتبارات كلواحق، وغاية من يمدح أو يذم هو الشريف والخسيس، وترد سائر الاعتبارات

<sup>1</sup> - محمد الوالي، "مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان"، عالم الفكر، العدد 02 المجلد 40 أكتوبر ديسمبر

إلى هذين<sup>1</sup>.

يتمثل أرسطو البلاغة الخطابية بأنها "الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أي موضوع كان"<sup>2</sup>، ويرتكز الإقناع حسب أرسطو على ثلاثة عناصر، "الأول يتوقف على أخلاق القائل، والثاني على تصيير السامع في حالة نفسية ما، والثالث على القول نفسه من حيث هو يثبت أو يبدو أنه يثبت"<sup>3</sup>.

وهكذا، فالحجاج في البلاغة الخطابية تبعاً لأرسطو يقوم على ثلاثة عناصر هي " اللوغوس (Logos)، أي القول بما هو فكر، والأخلاق (Ethos) أخلاق القائل، والانفعال (Pathos)، انفعال المقول له"<sup>4</sup>.

يتعلق حجاج "الإيتوس" بما يظهره المتكلم من صفات وأخلاق تحفز المخاطب على الوثوق بالمتكلم، "وهذا الضرب من الإقناع مثل سائر الضروب، ينبغي أن يحدث عن طريق ما يقوله المتكلم لا عن طريق ما تظنه الناس عن خلقه قبل أن يتكلم"<sup>5</sup>. أما حجج "الباتوس" فتتأسس على مراعاة نوازع المخاطب وميوله للتأثير فيه. بينما يتمثل "اللوغوس" في الحجج

1 - أرسطو، الخطابة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، الطبعة الثانية 1986، ص: 37-38.

2 - المرجع نفسه، ص: 29.

3 - المرجع نفسه، ص: 29.

4 - هشام الريفى، "الحجاج عند أرسطو"، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية تونس 1، كلية الآداب منوبة، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمادي صمود، سلسلة آداب المجلد 39، 1998، ص: 265.

5 - أرسطو، الخطابة، مرجع سابق، ص: 30.

الخطابية المتصلة بالقضية أو القضايا المثارة كموضوع.

وإذا نظرنا إلى هذا العناصر الثلاثة من زاوية منطقية، فإن "الإيتوس" و"الباتوس" يحفزان على الاعتقاد من خارج الحدود الموضوعية للقضية، فهما لا يدفعان إلى التفكير في جوهر القضية ذاتها، وليس مما له صلة مباشرة بالحكم على القضية في استقلالها عن ذوات معينة، وهو ما يفضي إلى أن الحجاج يتخذ طريقين؛ الأول إقناعي ذو طبيعة عقلية ويمثله "اللوغوس"، والثاني تأثيري ذو طبيعة نفسية عاطفية ويجسده "الإيتوس" و"الباتوس" معا.

ومن تأمل أرسطو لمجمل ما يُتوسَّل به الإقناع في الخطابة يرى أن الحجج إما غير صناعية أو صناعية؛ حيث الأولى ليست مما يبتكره الخطيب، وإنما هي موجودة قبلها وما على الخطيب إلا أن يختار منها ما يلائم ما يدافع عنه ويحسن توجيهها؛ أما الثانية، فنتوقف على قدرة الخطيب الابتكارية للحجج، فهي مما ينشئه باجتهاده<sup>1</sup>.

وتأخذ الحجج غير الصناعية فيما حدده أرسطو أشكالاً حددها إجمالاً في: الأحكام المسبقة، والشائعات، والاعترافات تحت التعذيب، والعقود (الوثائق)، وأداء اليمين، والشهادات<sup>2</sup>.

أما بالنسبة للحجج الصناعية فتأخذ حسب أرسطو صورتين، وهما الاستقراء والقياس، يقول: "إنني أسمى المضمرة قياساً خطابياً، وأسمى الشاهد استقراءً خطابياً، كل الناس يبرهنون على إثبات، إما بالشاهد وإما بالمضمرة، ولا يوجد غيرهما من أجل هذه الغاية"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، مرجع سابق، ص: 89.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 90.

يعتمد الاستقراء على المثال أو الشاهد، ويمكن أن يأخذ المثال صورة كلام أو واقعة من مرجعية واقعية أو خيالية، وهو في تصور أرسطو ينتج إقناعاً أكثر ليونة إذا ما تمت مقارنته بالقياس الإضماري الذي ينتج قوة إقناعية جامحة، بالرغم من أنه ليس قياساً بالمعنى البرهاني من حيث التلازم المنطقي بين المقدمات والنتائج.<sup>2</sup>

ويمكن أن تأخذ مقدمات القياس الإضماري صوراً مختلفة بالنظر إلى مصدرها، فقد تكون احتمالات مبنية على التخمين، وقد تكون علامات مؤكدة أو غير مؤكدة؛ حيث المؤكدة تستدعي لزوماً أكثر قوة بين العلامة والحكم، على نحو كون ولادة المرأة علامة مؤكدة على علاقة جنسية مع رجل، غير أن اللزوم بين الحكم والعلامة ليس بالمعنى المنطقي الصارم، لأن الحمل قد لا يكون بالضرورة نتاج اتصال جنسي، فقد يكون نتيجة طرق أخرى من قبيل التلقيح الطبي. أما العلامات غير المؤكدة، فتكون أقل استدعاءً للحكم، من قبيل كون شخص ساقط على الأرض وملطخ بالدم علامة غير تأكيدية على جريمة، لأن السقوط والدم قد يكون نتيجة تعرض الشخص لنزيف حاد أو حادثة.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - محمد الوالي، "مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان"، مرجع سابق، ص: 30. والقولة نفسها أوردتها بشكل مقتضب رولان بارت، أنظر: رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، مرجع سابق، ص: 90.

<sup>2</sup> - رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، مرجع سابق، ص: 93-97.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص: 102-106.

## المبحث الثالث:

### الحجاج في البلاغة الجديدة

#### 1- الحجاج في البلاغة الجديدة نظرة عامة

لقد عرفت البلاغة الإقناعية عبر تاريخها تقلبات كثيرة، فقد شهدت اهتماما واسعا عند اليونان، وسطع نجمها مع أرسطو الذي غطت تنظيراته تاريخا طويلا، وإلى حدود ما قبل النهضة الأوروبية ظلت البلاغة محافظة على مكانتها بين الحقول المعرفية، غير أن أفكار العقلانية الحديثة التي ترسبت مع انتشار الفكر الديكارتي سرعان ما استهدفت البلاغة الإقناعية بالنقد، بحكم أنها تتأى عن منطق برهاني يُحتكم فيه إلى العقل في الوصول إلى المعرفة الحقيقية، فالبلاغة من هذا المنظور تتغذى على الاحتمال والظن وتغذيه، وإن ذلك ليكشف عيبها إذا ما قورنت بالمنطق الصوري الرياضي.

ونتيجة هذا التضييق والنقد، عرفت البلاغة الإقناعية أفولا وانحسارا صارت معه مختزلة في جانبها الإمتاعى الأدبي الذي تجسده جمالية تصوير المعاني وحسن التعبير، وكفّت عن أن تكون فنا للإقناع ولم تبق البلاغة على قيد الحياة إلا في إطار الأدب خصوصا مع انتشار النزعة الرومانسية<sup>1</sup>.

وإثر الفراغ الذي خلفه المنطق الصوري والمتمثل في عجزه عن مقارنة القضايا التي تنفلت

<sup>1</sup> - محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، أفريقيا الشرق الدار البيضاء، دط 2013، هامش الصفحة

من التصلب البرهاني والاختزال الحسابي<sup>1</sup>، انبعثت البلاغة من جديد مع ظهور "مصنف في

الحجاج" لشايم بيرلمان وأولبريخت تيتيكا **Chaïm Perelman et Lucie**

**Olbrechts Teteca**، وهو كتاب يعيد للبلاغة نصفها الثاني المتعلق بالحجاج بعدما

كانت مختزلة في جانبها الإمتاعي الجمالي.

لقد حاول بيرلمان أن يعيد للبلاغة قيمتها الحجاجية وأن يخلصها من الصورة المعيبة التي

لحقتها مع العقلانية الديكارتية، وفي ذلك سعى إلى تناول الحجاج كفعالية إقناعية قريبة من

الصورة الشكلية التي تُصاغ بها القضايا في المنطق، يقول بيرلمان في هذا الإطار: "إن

نظرية الحجاج كما حددناها تجعلنا نفكر على التو من حيث موضوعها في البلاغة القديمة،

هذه البلاغة التي سأعالجها مع ذلك من خلال انشغالات عالم المنطق، وهذا سيضطرني

إلى اختزال (جوانب) من أبحاثي وتوسيع أخرى"<sup>2</sup>.

يتحدد الحجاج عند بيرلمان وتيتيكا في "دراسة التقنيات الخطابية التي تجعل الأذهان تقبل

الأطروحات التي تُعرض عليها، أو تزيد في تعزيز قبولها"<sup>3</sup>، والحجاج كما يتناوله الباحثان

لا ينحصر في فن القول الإقناعي الموجه إلى جمهور مخصوص يتموضع في مكان كما

هو الحال في تناول البلاغة القديمة التي كان مدارها الخطاب الشفوي، وإنما يستوعب

<sup>1</sup> – Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts Teteca, Traité de l'argumentation, op.cit, p :3.

<sup>2</sup> – محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ، مرجع سابق، ص: 30، يحيل على:

– CH . Perelman, Le Champ de l'argumentation, PU , de Bruxelles 1970 , p :13.

<sup>3</sup> – Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts Teteca, Traité de l'argumentation, op.cit, p : 5.

الحجاج وفق البلاغة الجديدة كل خطاب يتوجه إلى الإقناع سواء أكان شفويا أو مكتوبا<sup>1</sup>، ف"البلاغة الجديدة مقارنة بالبلاغة القديمة تتعلق بالخطابات المتجهة نحو جميع فئات المستمعين، سواء أكانوا مجتمعين في مكان عمومي، أو في اجتماع مخصوص، أو (اتجهت) لشخص واحد أو الإنسانية جمعاء، وستعالج أيضا الحجج التي يوجهها المرء لنفسه"<sup>2</sup>.

إن الحجاج في تصور بيرلمان وتيتيكا ممارسة عقلية لا يمكن اختزالها في الخطابة الشفوية، حيث سرعة تدفق الكلام لا تسمح للمخاطب بإعمال العقل والتفكير في معقولية الحجج وبنائها، وذلك ما قد يحيد بالحجاج عن الدفع إلى خيار حر وعاقل ليفسح المجال للتضليل، وفي ذلك يقول الباحثان: "إذا كانت البلاغة عند القدماء تقدم كأنها دراسة لتقنية يمكن استعمالها من الوصول السريع إلى الاستنتاجات لخلق وجهة نظر ما دون أن تكلف نفسها عناء مسبقا للتحقق الجاد، فنحن لا نريد أن نحصر دراسة الحجاج على جمهور البسطاء (أو العوام) un public d'ignorants، وهذا الجانب من البلاغة هو الذي يفسر معارضتها بشدة من قبل أفلاطون"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> – Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts Teteca, Traité de l'argumentation, op.cit, p :7-8.

<sup>2</sup>– CH. Perelman , L'empir rhétorique – Rhétorique et argumentation, librairie philosophique, J. VRin paris, 2 édition 2002 , p :19 .

<sup>3</sup> – Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts Teteca, Traité de l'argumentation, op.cit, p :9.

يقوم الحجاج عند بيرلمان وتيتيكا على خمسة ملامح أساسية<sup>1</sup>:

أ. يتوجه إلى مستمع<sup>2</sup>.

ب. يُعبر عنه بلغة طبيعية.

ج. مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية.

د. لا يفتقر تقدمه (تتاميه) إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.

هـ. ليست نتائجه (خلاصاته) ملزمة.

ويميز بيرلمان بين الحجاج الذي يستهدف مخاطبا مخصوصا L'auditoire particulier والحجاج الذي يتوجه إلى مخاطب كوني L'auditoire Universef، ويعتبر أن الحجاج الأول إقناعي persuasif يستثمر كل الوسائل المتاحة للإقناع بما في ذلك إثارة العواطف والخيال، أما الثاني فهو اقتناعي convaincant يستمد حجاجيته من العقل<sup>3</sup>، ومن اقتناع الذات أولا قبل أن يتوجه إلى الآخرين.

وقد أثار باتريك شارودو P.Charaudeau هذه المسألة، وانسجم في طرحه مع بيرلمان

<sup>1</sup> - أوليفي رويول، هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي، ترجمة محمد العمري، ضمن كتاب محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، أفريقيا الشرق الدار البيضاء، دط 2005، ص: 220.

<sup>2</sup> - دأب محمد العمري، على استعمال كلمة "مستمع" مقابلا لكلمة auditoire، ويقصد بها المقام التخاطبي بكل مكوناته، أنظر: البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، مرجع سابق، ص: 14 وأيضاً هامش ص: 220. وهو ما يعني أن الحجاج يتوجه إلى مخاطب مع استحضار كل معطيات السياق.

<sup>3</sup> - CH. Perelman, L'empir rhétorique, op.cit , p :36.

في أن مسألة الإقناع تحركها غاية إذعان الجمهور المخصوص ولو كان الأمر يقتضي التأثير عليه بالأحاسيس، عكس الاقتناع الذي يحركه التحليل الخالص المعتمد على الفكر والطامح إلى الحقيقة، غير أن الإشكال في نظر شارودو يبقى هو كيف تعمل هذه الثنائية إقناع/ اقتناع، هل مجتمعة أم مستقلة؟<sup>1</sup>.

وتبعاً لذلك، يرى بيرلمان أن الحجاج الموجه إلى مخاطب مخصص يقتضي أن يأخذ هذا المخاطب بعين الاعتبار من حيث أفكاره ومسلّماته وثقافته عموماً، ففعالية الحجاج تستمد تأثيرها بشكل أساسي حينما يأخذ المتكلم المخاطب كنقطة للانطلاق في الحجاج<sup>2</sup>.

## 2- المنطلقات الحجاجية.

يحدد بيرلمان وتيتيكا في "مصنف الحجاج" مجموعة من المقدمات التي تمثل نقط انطلاق الحجاج التي تحظى بالقبول لدى المخاطب، ومن أهم هذه المقدمات:

أ- **الوقائع Les faits**: وتجسد ما هو "مشترك بين أغلب الأفراد أو بين عموم الناس"<sup>3</sup>، وهذه الوقائع يمكن أن تكون فعلية وهي الأكثر فاعلية في المقدمات، ويمكن أن تكون متوقعة، وتكتسي الوقائع طبيعتها الحجاجية انطلاقاً من انتمائها إلى الواقع الذي يلامسه

<sup>1</sup> – Patrick Charaudeau, Le discours politique les masques du pouvoir, Librairie Vuibert paris 2005, p :62-63.

<sup>2</sup> – CH. Perelman, L'empir rhétorique, op.cit , p : 41.

<sup>3</sup> – Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts Teteca, Traité de l'argumentation, op.cit,p :89.

الجميع ولا يكاد يكون محل خلاف<sup>1</sup>.

ب-الحقائق **Les Vérités**: وترتبط بالنظريات العلمية والتصورات الفلسفية والمفاهيم

الدينية التي تحظى بإجماع عند الناس<sup>2</sup>.

ج-الافتراضات **Les présomptions**: هي تخمينات أو أحكام قبلية مبنية على

الاحتمال، وطبيعة استعمالها في الحجاج هي التي تحدد فعاليتها<sup>3</sup>، لأن القبول بهذا النمط

من المقدمات مقيد بمعيار "العادي Le normal"، وهذا المعيار متغير وغير ثابت. ولذلك

فالمقام ونوعية المخاطب هي الفيصل في فعالية التوقع أو عدم فعاليتها<sup>4</sup>.

د-القيم **Les Valeurs**: دورها كبير في تحفيز المخاطب على القيام بفعل أو تركه،

ويمكن للمتكلم أن يوظفها على الوجه الذي يخدم وجهته دون أن يلصق ذلك صبغة سلبية

بالقيم<sup>5</sup>.

هـ - الهرميات **Les Hiérarchies**: لما كانت القيم عند الناس درجات وألويات، فإن

ترتيب القيم يبقى أهم من القيم نفسها، لأن الذي يهم المخاطب ليس هو القيم في حد ذاتها

<sup>1</sup> – Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts Teteca, Traité de l'argumentation, op.cit, pp : 90-92.

<sup>2</sup> – Ibid, p :92.

<sup>3</sup> – Ibid,p : 93-94.

<sup>4</sup> – عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع تونس، الطبعة الأولى 2011، ص: 25.

<sup>5</sup> – Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts Teteca, Traité de l'argumentation, op.cit, pp :99-102.

وإنما طريقة ترتيبها<sup>1</sup>.

و-المواضع **Les Lieux**: هي "أحوال وصفات عامة وقوانين يُصار منها إلى استنباط المقدمات الجزئية في قياس قياس"<sup>2</sup>، فهي بمثابة مبادئ تسوغ قبول نتيجة ما عبر ربطها بحجة، والمواضع كما يتناولها "مصنف في الحجاج" شديدة الصلة بالنتظير الأرسطي، وهي أنواع:<sup>3</sup>

- مواضع الكم **Lieux de Quantité**؛ وفيها يتم دعم نتيجة ما لاعتبارات كمية.
- مواضع الكيف **Lieux de Qualité**؛ وهي مواضع تفرز أفضلية عنصر على عنصر انطلاقاً من نسيج وحدته مقابل الكل .
- مواضع أخرى؛ ومنها مواضع الترتيب **Lieux d'ordre**؛ وهي تستند إلى أفضلية السابق على اللاحق، ومواضع الوجود **Lieux d'existant**؛ وتحدد أفضلية شيء على شيء آخر من جهة حضوره مقابل غياب ما نقارنه به.

هذه المقدمات حسب **بيرلمان** و**تيتيكا** لا تستمد حجاجيتها من ذاتها، وإنما من المظهر الذي يعطيه إياها المتكلم، ونقطة الانطلاق في ذلك هي المعرفة بأحوال المخاطب ومعطيات

<sup>1</sup> - عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مرجع سابق، ص: 26.

<sup>2</sup> - أبو الوليد بن رشد، تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الجدل، تحقيق وتعليق محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط 1980، ص: 73.

<sup>3</sup> -- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مرجع سابق، ص: 27-28.

السياق، فمعرفة هؤلاء الذين يسعى الحجاج إلى إقناعهم يعتبر شرطا قريبا حسب بيرلمان<sup>1</sup>، إذ على ضوء معرفة المخاطب يتم اختيار المقدمات الأنسب، وترتيبها وحسن عرضها، وتبقى مسألة العرض هامة بحكم كونها تقتضي من المتكلم أن يوجه حجاجه وفق تأويل ينسجم ومقصده.

### 3- طرائق العرض الحجاجي

ترتبط طرائق العرض الحجاجي بالبناء اللغوي والأسلوبي والخطابي الذي تتحقق به الفاعلية الحجاجية، ومن ثمة فهي فضلا عن كونها طرائق خطابية توجه الحجاج نحو وجهة ما من خلال اضطلاعها بوظيفة توجيه التأويل، فهي تدعم الحجاج من جهة ارتباطها بشد انتباه الجمهور وكسب تعاطفه.

ومن طرائق العرض، التآني في إيراد الحجج والإلحاح عليها باعتماد التكرار الذي من شأنه أن يوجه المخاطب إلى الوجهة التي يبتغيها المتكلم، فضلا عن استقصاء دقائق الأمور ورفائقتها، وحسن انتقاء الألفاظ الملائمة للوجهة الحجاجية، إذ كلما كانت الألفاظ دالة على الأمور الملموسة والمحسوسة بدل المجردة، كلما كانت أكثر تدعيما للمسار الحجاجي<sup>2</sup>.

وتبقى "الموجهات التعبيرية" Les Modalités d'expression ذات أهمية في توجيه

<sup>1</sup> - - Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts Teteca, Traité de l'argumentation, op.cit,p :26.

<sup>2</sup> - عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مرجع سابق، ص ص:34-35-36.

المقدمات نحو النتيجة، وقد حصر بيرلمان وتيتيكا هذه الموجهات في أربعة عناصر:<sup>1</sup>

أ-موجه إثباتي Modalité assertive؛ وهو توجيه لا ينفك عنه أي حجاج.

ب-موجه إلزامي Modalité injonctive؛ وهو توجيه يجسده دفع المخاطب إلى القيام بفعل ما عن طريق الأمر.

ج-موجه استفهامي Modalité interrogative؛ وتكمن أهميته في قدرته على طرق أي موضوع وخلق اتفاق ضمني على وجود الموضوع، فهو يعمل أحيانا للبحث عن نقطة الاتفاق كنقطة أولية للحجاج.

د-موجه التمني Modalité optative؛ وهو موجه يعكس المفضل المرغوب فيه بناء على المبادئ الاجتماعية.

والى جانب ذلك تعتبر "القولب المسكوكة" Les Clichés ذات دور أساسي في الاتحاد مع الجمهور، فهي قولب لغوية محددة الصياغة سلفا ومتجذرة - من حيث ما تدل عليه- في ثقافة المجتمع، شأنها شأن الحكم والأمثال التي لا تقل أهمية في كسب تعاطف الجمهور عبر إثارة ما يشبه القاعدة أو المعيار، فضلا عما تلعبه الصور البلاغية من دور حجاجي<sup>2</sup>،

<sup>1</sup> - Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts Teteca, Traité de l'argumentation, op.cit,pp :214-216.

وأبضا: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مرجع سابق، ص:38.

<sup>2</sup> - عبد الله صولة، المرجع نفسه، ص: 39-40.

في إثارة المقارنة عن طريق التشبيه والاستعارة، وفائدتها في التلميح والسخرية والالتفاف حول قضية حجاجية واحدة بتقليب أوجه القول.

#### 4-تقنيات الحجاج

تقنيات الحجاج كما يعرضها بيرلمان وتيتيكا كثيرة بما يصعب الإحاطة بها في هذا المبحث، فقد خصص لها الباحثان في "مصنف في الحجاج" فصلا بأكمله بمقدار مائة صفحة، ولذلك سنقتصر على أهم هذه التقنيات مستثمرين المساهمة القيمة التي قدمها عبد الله صولة في كتابه الذي كثيرا ما أحلنا عليه.

-التناقض وعدم التوافق **Contradiction et incompatibilité**؛ ويتعلق التناقض بالكشف عن اجتماع قضيتين متعارضتين في خطاب واحد، حيث الأولى إثبات والثانية نفي، أما عدم التوافق فهو اختبار لأطروحتين غير متفقتين استنادا للواقع والمقام<sup>1</sup>.

-التحديد والتعريف في الحجاج **L'identité et le définition dans**

**l'argumentation**<sup>2</sup>؛ ويجسده التماثل التام بين المعرّف والمعرّف مثل "الرجل رجل" و"المرأة هي المرأة"، ولئن كان المعرّف ليس إلا إعادة للمعرّف فإن القصد هو الذي يمنح

<sup>1</sup> – Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts Teteca, Traité de l'argumentation, op.cit,pp :162-171-172.

<sup>2</sup> – Ibid, p :282 .

التعريف حاجيته بالنظر إلى المقام<sup>1</sup>.

- حجج التبادل **Arguments de réciprocité**؛ وتتعلق بمعالجة أوضاع وحالات من

خلال تناظر الحكم، ويمثل لها بيرلمان بمعيار "ضع نفسك مكاني"<sup>2</sup>.

- حجج التعديّة<sup>3</sup> **Arguments de transitivité**؛ هي "خاصية شكلية تتصف بها

ضروب من العلاقات التي تتيح لنا أن نمر من إثبات أن العلاقة الموجودة بين (أ) و(ب)

من ناحية، و(ب) و(ج) من ناحية أخرى، هي علاقة واحدة، إلى استنتاج أن العلاقة نفسها

موجودة بالتالي بين (أ) و(ج) ...، ومن الأمثلة على ذلك الحكمة التي تقول "عدو عدوي

صديقي"<sup>4</sup>.

- حجج إدماج الجزء في الكل **L'inclusion de la partie dans le tout**، وحجج

تقسيم الكل إلى أجزائه<sup>5</sup> **La division du tout en ses parties**؛ وتستند الأولى

إلى أن ما ينطبق على الكل ينطبق على الأجزاء المكونة له، في حين تتعلق الثانية بالحجاج

على وجود الكل من مجموع الأجزاء المكونة له، فاللاعبون هم من يشكل الفريق.

<sup>1</sup> - عبد الله صولة، عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مرجع سابق، ص: 44-45.

<sup>2</sup> - Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts Teteca, Traité de l'argumentation, op.cit,pp :297-299.

<sup>3</sup> - Ibid, p :305.

<sup>4</sup> - عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مرجع سابق، ص: 46-47.

<sup>5</sup> - Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts Teteca, Traité de l'argumentation, op.cit,pp :311-315.

-حجج المقارنة **Les arguments de comparaison**؛ وتتعلق باستحضار

خصائص الأشياء والموضوعات في ضوء ما يقابلها أو يماثلها أو يناقضها<sup>1</sup>.

-الربط السببي والحجاج **Le lien causal et l'argumentation**؛ ويمكن أن يكون

الربط بين النتيجة والسبب الكامن وراءها، أو افتراض النتيجة بوجود السبب الذي قد يولدها<sup>2</sup>.

-الشخص وأعماله **La personne et ses actes**<sup>3</sup>؛ الشخص وأعماله ثنائية متصلة

في مجال الحجاج، ذلك أن معرفة الشخص تقود إلى التنبؤ بأعماله، ومعرفة الأعمال تثير

افتراضات حول الشخص<sup>4</sup>، ولذلك فقد يلعب الشخص وأعماله دورا مهما في تقوية مسار

الحجاج، وقد يكون العكس، وفي كلتي الحالتين، فإن معرفة الشخص وأعماله تبقى موجها

في تحديد المقاصد.

-حجة السلطة **L'argument d'autorité**<sup>5</sup>؛ وتستمد فعاليتها من النفوذ الذي يحظى به

صاحب السلطة، سواء أكانت سلطة إدارية أو سياسية أو فكرية أو دينية، فالمكانة الاعتبارية

لصاحب السلطة هي ما يمنح الحجة فاعليتها، وقد تأخذ السلطة في الحجاج مظهرا غير

شخصي، "مثل الفيزياء والعقيدة أو الدين أو الكتاب المقدس، وقد يعتمد في الحجاج بالسلطة

<sup>1</sup> – Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts Teteca, Traité de l'argumentation, op.cit, p: 326.

<sup>2</sup> – Ibid , p: 354.

<sup>3</sup> – Ibid, p: 394.

<sup>4</sup> – عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مرجع سابق، ص: 53.

<sup>5</sup> – Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts Teteca, Traité de l'argumentation, op.cit,p : 410.

إلى ذكر أشخاص معينين بأسمائهم، على أن تكون سلطة هؤلاء جميعا معترفا بها من قبل جمهور السامعين في المجال الذي ذُكرت فيه<sup>1</sup>.

ومن تقنيات الحجاج أيضا الحجاج بالمثل<sup>2</sup> **L'argumentation par l'exemple**، والاستشهاد<sup>3</sup> **L'illustration**، حيث يؤتى بالمثل لتأسيس قاعدة حولها اتفاق عادة، وهو بذلك يحل بشكل أو بآخر محل مقدمات ضمنية ويتيح المرور إلى النتيجة، أما الاستشهاد فيؤتى به للتوضيح وتعزيز المعنى الحجاجي المراد، وفي الغالب يكون المثل متقدما على الاستشهاد، لأن وظيفة هذا الأخير هي تعزيز درجة التصديق بالقاعدة<sup>4</sup>.

وينضاف إلى ذلك حجة النموذج واللامنموذج<sup>5</sup> **Le modèle et l'antimodèle**؛ بحيث تلعب القدوة الحسنة والسيئة دورا في تعضيد مسار الحجاج سلبا أو إيجابا.

وتختلف حجة المثل عن حجة التمثيل<sup>6</sup> **L'analogie**؛ فالأولى كما ذكرنا تسعى إلى خلق اتفاق على شاكلة قاعدة، أما التمثيل فهو تقنية تسعى إلى استكناه أوجه التشابه بين عنصرين يمثل كل منهما نسقا علائقيا، فهو بحث عن علاقة وتأسيس لها، وليس المقصود

<sup>1</sup> - عبد الله صولة، عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مرجع سابق، ص: 53.

<sup>2</sup> - Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts Teteca, Traité de l'argumentation, op.cit, p : 471.

<sup>3</sup> - Ibid, p : 481.

<sup>4</sup> - عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مرجع سابق، ص: 55.

<sup>5</sup> - Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts Teteca, Traité de l'argumentation, op.cit,p : 488.

<sup>6</sup> - Ibid, p : 499.

بذلك أن العلاقة بين عنصرين علاقة تشابه، وإنما تشابه العلاقة<sup>1</sup>، أي أن العلاقة التي تجمع بين أجزاء النسق الأول تشبه العلاقة التي تجمع بين أجزاء النسق الثاني، كأن يتم التمثيل بين مَنْ يرعى قطيعاً من الغنم وَمَنْ يشرف على تدبير شؤون أفراد أسرته الذين هم تحت إمرته، للإحالة على المسؤولية في ضمان الحقوق والمراقبة والتوجيه للابتعاد عن الخطر، مقابل الانقياد والطاعة. فعلى الرغم من أن وجه التشابه يكون منتزعا عادة من مختلف متعدد، فإنه يؤدي وظيفة عجاجية عن طريق التحفيز على القياس لاستنتاج نتيجة فحواها المماثلة.

<sup>1</sup> - عبد الله صولة، في نظرية العجاج دراسات وتطبيقات، مرجع سابق، ص: 57.

## المبحث الرابع:

### نظرية الحجاج في التداولية المدمجة

#### 1-التداولية المدمجة والحجاج

إذا كان أعلام مدرسة أكسفورد قد أولوا الجانب الإنجازي في التواصل اللغوي الإنساني اهتماما كبيرا في أبحاثهم مؤكدين أن التكلم يعني إنجاز فعل ما بواسطة اللغة بغض النظر عن وظيفتها التواصلية، فإن بعض الباحثين في اللسانيات لم يكونوا في منأى عن متابعة تلك الاجتهادات الفذة التي كانت بالنسبة إليهم مصدر إلهام، قادتهم نحو تقديم إسهامات جديدة موازية للتوجه العام لفلاسفة اللغة، أو مطورة أو ناقدة، ونذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر أبحاث بنفست في جانب الذاتية في اللغة وديكرو وأنسكومبر في الحجاج.

تؤكد جل الدراسات التي اطلعنا عليها والتي حاولت بسط اجتهادات ديكرو وأنسكومبر في الحجاج أنها ذات نزعة تداولية بحكم نزوعها نحو تأكيد الجانب الإنجازي في اللغة ورفض رهن فعل التلطف بالإخبار عن الوقائع أو وصف حالة الأشياء في العالم. فرغم أن نظرية الحجاج في اللغة ذات أصول مرجعية لسانية، فإن طريقها لم ترتسم كما هي عليه الآن إلا من خلال نظرية الأفعال الكلامية مع أوستين وسيرل وامتداداتها مع غرايس وغيرهم<sup>1</sup>.

إن الحجاج باعتباره نشاطا تواصليا لغويا لا يعدو أن يكون ممارسة تداولية تتحدد فيها فاعلية

<sup>1</sup> - انظر على سبيل المثال لا الحصر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الطبعة الأولى 2006، ص: 15-16. وأيضا رشيد الرضي، "مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لأنسكومبر وديكرو"، مجلة عالم الفكر، العدد 2 المجلد 40 أكتوبر ديسمبر 2011، ص ص: 193-194.

الإقناع من خلال استعمال اللغة بين متخاطبين في سياق محدد، غير أن ذلك لا يعني أن حجاجية الملفوظ تتبع من المحتوى الإخباري الذي تنص عليه الكلمات والجمل، بل إن الأمر يتعلق حسب ديكرو بالقيمة الحجاجية الثانوية في اللغة ذاتها، حيث لا تتفصل عرى الفاعلية الحجاجية عن الطبيعة اللسانية للقول، يقول ديكرو في هذا الصدد: "ليست القيمة الحجاجية للقول منبئية فقط على الأخبار التي يحملها، بل إن ما يتألف منه القول من كلمات وعبارات أو صيغ يمكن أن تضيفي عليه بعدا حجاجيا، يدفع المخاطب إلى هذا الاتجاه أو ذاك"<sup>1</sup>

إن وجهة هذا القول ليست هي الإقصاء التام للفاعلية الحجاجية التي يمكن أن تضطلع بها الأخبار التي تنقلها اللغة، بقدر ماهي تأكيد على البعد الحجاجي الذي يسكن اللغة بغض النظر عن القيمة الحجاجية التي يمكن أن تضيفها الوقائع والأخبار على القول.

يعد إدماج التداولية في الدلالة أحد المنطلقات النظرية الهامة التي ارتكزت عليها اجتهادات ديكرو وأنسكومبر، إن لم نقل إنها النواة الصلبة التي أطرت إسهاماتهما في الحجاج، فإذا كانت الدراسات اللسانية قد دأبت على التمييز بين التركيب والدلالة والتداولية والفونولوجيا في تحديدها للمستويات اللسانية في نسق خطي تراتبي، فإن ديكرو يجعل التداولية مندمجة في الدلالة، معارضا الفصل بينهما بما يجعل خرج مستوى الدلالة دخلا لمستوى التداولية في التحليل اللساني. يقول في هذا الصدد: "والواقع أنني أرفض هذا التعارض، وزيادة على ذلك فإن نظرية الحجاج والسلميات الحجاجية تضطلع بشكل لتأكيد هذا الرفض من خلال توضيح

<sup>1</sup> – Oswald Ducrot, Les échelles argumentatives, les éditions de Minuit, paris 1980, p: 15.

أن المعنى في ملفوظ حتى في الحالة التي نمحه دلالة أكثر تقييدا أو أكثر نحوية، لا يمكن أن يوصف دون استحضار مقاصد التلفظ، وحسب هذه النظرية، فإنه من المستحيل عزل جانب في المعنى لا يكون مؤشرا من قبل بالوظيفة التلفظية، لأن فعل القول متضمن في القول ذاته"<sup>1</sup>.

لذلك فالتحليل الذي يجب أن تخضع له الأقوال حسب ديكرو يجب أن يأخذ بعين الاعتبار مكونين أساسيين هما المكون اللساني والمكون الخطابي، حيث يضطلع المكون الأول بتحديد دلالة القول من خلال ما توفره معطيات المعجم والتركييب، أما المكون الخطابي فيقوم بتحديد معنى القول المتحقق فعليا حسب ما توفره معطيات السياق"<sup>2</sup>.

وإذا كانت دلالة القول تتحدد من خلال المعطيات اللسانية في حين أن المعنى يقوم على تضافر المعطيات اللسانية والمعطيات غير اللسانية، فإن إدماج التداولية في الوصف الدلالي للجملة يسمح بتوقع المعنى في سياق محدد، "فتحديد قيمة الدلالة المعطاة للجملة (يكمن) في مدى قدرتنا على اختيار المعنى الملائم من بين كل المعاني المسندة لكل ملفوظ في مختلف السياقات، فتحديد معاني الملفوظات وكأنها مواقع هي التي تمكننا من تحديد دلالة الجملة"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> – Oswald Ducrot, Les échelles argumentatives, op.cit, p: 8-9.

<sup>2</sup> – شكري المبخوت، "نظرية الحجاج في اللغة"، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، مرجع سابق، ص: 357.

<sup>3</sup> – حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، مرجع سابق، ص: 133.

إن إدماج الدلالة في التداولية يفضي إلى اعتبار الحجاج موضوعا للدراسة الدلالية وليس مضافا إليها بالنظر إلى كونه قيمة مسجلة في بنية اللغة، وليس قيمة مضافة من المحتوى الخبري للقول أو المعطيات غير اللسانية، لأن "القول يقوم في ذاته على السمة العجاجية من خلال المحمولات التي تشكله"<sup>1</sup>، ولعل ما يسوغ ذلك أن الترابط العجاجي هو ما يوجه القول نحو وجهة ما دون أخرى، ويفرض ربطه بقول آخر<sup>2</sup>.

وتبعاً لذلك يميز ديكره بين الاستدلال Raisonnement والحجاج L'argumentation، فالأول يقتنر بقوانين المنطق لأن فاعلية الإقناع تتأسس على محتوى القضايا والربط المنطقي بينها، حيث كل قول يعبر عن قضية معينة حقيقة أو مفترضة حول العالم<sup>3</sup>، يقود إلى نتيجة حتمية، نحو: كل إنسان فان، زيد إنسان، زيد فان. أما الحجاج فيرتبط بالخطاب<sup>4</sup>، "لأن البنى العجاجية ليست ذات طبيعة منطقية، ولكنها لغوية بالأساس، داخلة في اللغة التي تحتوي في بنيتها على معلومات تتعلق بالحجاج، هذه المعلومات يمكن تشبيهها وظيفياً بتحديد مسبق للتسلسلات الخطابية"<sup>5</sup>، فإذا قلنا مثلاً: هذه السيارة ميكانيكها جيد، وثمانها رخيص، إذن يجب شراؤها، فإن الانتقال من المقدمة الأولى، ثم إلى الثانية لا يستلزم بشكل

<sup>1</sup> – Oswald Ducrot, Les échelles argumentatives, op.cit, p :16.

<sup>2</sup> – شكري المبخوت، "نظرية الحجاج في اللغة"، مرجع سابق، ص: 352.

<sup>3</sup> – Oswald Ducrot, Les échelles argumentatives, op.cit, p :10.

<sup>4</sup> – Ibid, p :10.

<sup>5</sup> – صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر دمشق، الطبعة الأولى 2008، ص:18.

منطقي حتمي النتيجة (شراء السيارة).

ولما كان الحجاج فاعلية ثاوية في اللغة ذاتها، فإن التكهن بنيويا بالترابطات الحجاجية واحتسابها دلاليا يصبح ممكنا في مستوى تحليل المكون اللغوي ذاته، دون الحاجة إلى اللجوء إلى المكون البلاغي (الحجاج باعتباره آليات وتقنيات خطابية)، إلا عند الاقتضاء إثراء للوصف الدلالي<sup>1</sup>.

وعلى هذا الأساس، فالحجاج وفق تصور هذه النظرية ليس مرتبنا بعلاقة منطقية تربط قضية أو قضايا تمثل مقدمات بقضية أخرى تمثل نتيجة، وإنما الأمر يتعلق بعلاقة دلالية بين عنصرين دلاليين على الأقل، يمثل أحدهما حجة والثاني نتيجة، وقد ترد الحجة ظاهرة أو مضمرة، وكذلك الأمر في النتيجة<sup>2</sup>.

## 2- السلم الحجاجي

ويتعلق بتراتبية عرض الحجج في إثبات قضية معينة<sup>3</sup>، لأن الأقوال/الحجج تتفاوت في مدى

<sup>1</sup> - شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، مرجع سابق، ص: 363.

<sup>2</sup> - يمكن أن يمثل الاستفهام حجة ضمنية لفائدة نتيجة ما، كما في: "هل تريد أن تقتل نفسك؟ أفلح عن التدخين"، فالاستفهام حجة، ولكن ليس في محتواه الصريح، وإنما في محتواه الضمني الذي يعبر عن يقين المتكلم في تسبب التدخين في الموت. وكذلك الأمر في النتيجة التي يمكن أن تستخلص من الاستفهام ومثال ذلك:

أ- هل أجبت عن الأسئلة كما يجب؟

ب- ألا تعرف أنني لم أحضر للامتحان؟

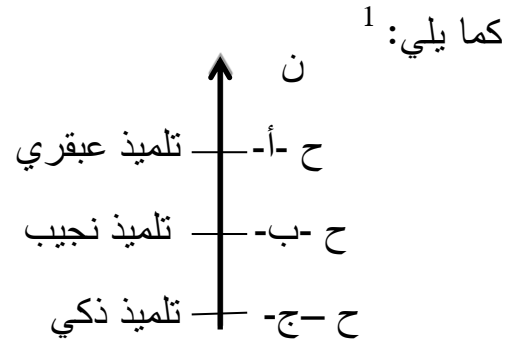
يبدو من الاستفهام الذي قدمه (ب) أنه يخفي نتيجة ضمنية مفادها (لم أحب كما ينبغي)، ولكنه لم يصرح بها معولا على فهم المخاطب لقصده.

<sup>3</sup> - - Oswald Ducrot, Les échelles argumentatives, op.cit, p :18.

دعماً للنتيجة، فإذا استحضرنَا الفروق الدلالية بين هذه الأقوال:

- تلميذ ذكي
- تلميذ نجيب
- تلميذ عبقرى

وافترضنا أستاذنا يحاول أن يقنع أب تلميذ بالسماح لابنه بمتابعة دراسته الجامعية في توجه معرفى كالرياضيات مثلاً، باستعمال كل هذه الحجج من طرف الأستاذ في حوار مع الأب، فإنه من البين أن الحجة الثالثة أقوى في دعم النتيجة من الحجتين الأولى والثانية، كما أن هذه الأخيرة أقوى من سابقتها في سلم الحجاج الذي يمكن أن نمثل له وفق تصور ديكرود



يتسم السلم على ضوء هذا بميزتين أساسيتين هما<sup>2</sup>:

- كل قول يرد في درجة من السلم الحجاجى، لابد أن يكون القول الذى يعلوه حجة

<sup>1</sup> - تشير (ن) إلى نتيجة، أما (ح) فحجة، وتمثل كل من (أ) و(ب) و(ج) حججاً.

<sup>2</sup> - أبو بكر العزاوى، اللغة والحجاج، مرجع سابق، ص: 21.

أقوى بالنسبة للنتيجة (ن).

- إذا كان القول (ج) يؤدي إلى النتيجة (ن) فهذا يستلزم أن (ب) و(أ) يؤديان إليها والعكس غير صحيح.

يخضع السلم الحجاجي إلى قوانين توصل إليها ديكرود من خلال وقوفه على ظاهرة النفي الوصفي<sup>1</sup>، وهي ثلاثة معايير محددة في ضبط سلمية الحجاج:

#### أ- قانون تبديل السلم

ومفاده أن "القول (أ) متى استعمل حجة لدعم نتيجة ما، فإن نفيه (أ~) سيصير حجة لدعم النتيجة النقيض"<sup>2</sup>.

#### ب- قانون القلب

إذا كنا في سلم حجاجي يتضمن على الأقل حجتين (أ) و(أ~) لدعم نتيجة معينة (ن)، وكانت (أ~) أقوى من (أ) في دعم النتيجة، فإن نفي (أ~) أقوى في دعم النتيجة النقيض (ن~)<sup>3</sup>، "لأن السلم المتضمن للأقوال المنفية يناقض السلم المتضمن للأقوال المثبتة"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - أي النفي المرتبط بحالة الأشياء في العالم، دون الوصف السجالي أو الجدلي الذي يتصل بنفي قول آخر. شكري المبخوت، "نظرية الحجاج في اللغة"، مرجع سابق، ص: 368.

<sup>2</sup> - Oswald Ducrot, Les échelles argumentatives, op.cit, p :27.

<sup>3</sup> - أبو بكر العزاوي، اللغة الحجاج، مرجع سابق، ص: 22.

<sup>4</sup> - Oswald Ducrot, Les échelles argumentatives, op.cit, p : 27.

## أ- قانون الخفض

انطلق ديكرو في بسط هذا القانون من إشكال مداره حول عدم انضباط النفي أحيانا في السلم الحجاجي بما يسمح بتعبير الحجة وتحديد مدى دعمها للنتيجة أو دعمها للنتيجة النقيض، حيث إن قولاً من قبيل: "الجو ليس بارداً"، هو في العادة حجة داعمة لنتيجة مفادها أن الجو معتدل، أو دافئ أو حار، وليست حجة داعمة لنتيجة مضادة مفادها أن الجو أكثر من بارد بالرغم من أن السلم الحجاجي يفتقر لما يمكن أن يدحض ذلك.

وتكمن المشكلة في مثل هذه الأقوال "في أن الخفض الذي ينتج عن النفي لا يتموقع في السلم الحجاجي، ولا يتموقع أيضاً في سلمية تدرجية موضوعية يمكن تعريفها بواسطة معايير فيزيائية (كمعدل درجة الحرارة الذي يمكن أن يتخذ عتبة للفصل بين البارد وغير البارد)، فلا تتدرج الأقوال الإثباتية من نمط "الجو بارد" والأقوال المنفية من نمط "الجو ليس بارداً" في نفس الفئة الحجاجية ولا في نفس السلم الحجاجي"<sup>1</sup>.

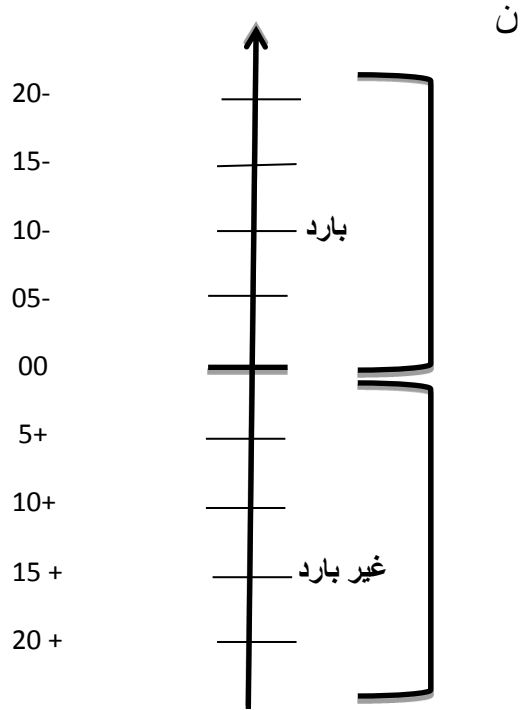
يعتبر ديكرو أن القانون الذي يحكم القول السابق وما يجري مجراه في التنصيص على أحكام تقديرية، إنما هو قانون الخفض، حيث إن القول (أ) إذا تحقق في سلمية تدرجية، فإن نفيه (أ~) سيتحقق في درجة أقل من تلك السلمية<sup>2</sup>، وهو ما يذهب إليه طه عبد الرحمن بقوله: "إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع

<sup>1</sup> - أبو بكر العزاوي، اللغة الحجاج، مرجع سابق، ص: 24. والكلام بين القوسين من عندنا.

<sup>2</sup> - Oswald Ducrot, Les échelles argumentatives, op.cit, p :32.

تحتها<sup>1</sup>.

فإذا كانت عتبة البرودة مثلا هي 00 درجة وما هو أقل منها، وكان معيار نفي البرودة يتحدد بما يفوق 00 درجة، فإن القول (أ) سيقع في درجة من سلمية البارد، بينما سيكون نفي القول (أ~) في درجة أخرى من سلمية غير البارد بموجب السلمية السائرة نحو الانخفاض، كما يوضح الشكل التالي:



غير أنه إذا تم تغيير اتجاه السلمية، فإنه " يمكن لقاعدة أو قانون الخفض أن يصبح قانون إعلاء متى وقع الارتقاء "<sup>1</sup>، وبذلك سيصير السلم أعلاه مقلوبا بحيث يصير غير البارد أقرب إلى النتيجة من البارد.

<sup>1</sup> - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، مرجع سابق، ص: 105-106.

### 3- الربط الحجاجي

يرتبط هذا المفهوم بالاتجاه الحجاجي *L'orientation argumentative*، ويقصد به إسناد توجه محدد لقول ما لدعم نتيجة محددة من خلال قرائن لغوية ذات وظيفة حجاجية، فإذا كان قول ما يمكن من إنشاء فعل حجاجي، فإن القيمة الحجاجية لهذا القول يتم تحديدها بواسطة الاتجاه الحجاجي، وهذا الأخير قد يكون صريحا أو مضمرا. فإذا كان القول أو الخطاب معلما (Marqué)، أي مشتملا على بعض الروابط والعوامل الحجاجية، فإن هذه الأدوات والروابط تكون متضمنة لمجموعة من الإشارات والتعليمات (Instructions) التي تتعلق بالطريقة التي يتم بها توجيه القول أو الخطاب؛ أما في حالة كون القول غير معلم، فإن التعليمات المحددة للاتجاه الحجاجي تستنتج إذاك من الألفاظ والمفردات، بالإضافة إلى السياق التداولي والخطابي العام<sup>2</sup>.

وتبعا لذلك، فوظيفة الروابط والعوامل الحجاجية هي توجيه القول نحو وجهة معينة، وإليها يرجع الأمر في توسيع أو تضيق الاحتمالات الحجاجية، لأنها تمثل بشكل صريح أو ضمني وسائل الربط بين النتيجة والحجة.

يتناول الباحثون موضوع الروابط والعوامل في اللغة بنوع من الاختلاف مفهوما واصطلاحيا؛ حيث فان ديك (1977) Van Dijk يميز مثلا بين الروابط الدلالية والتداولية، في حين

<sup>1</sup> - حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، مرجع سابق، ص: 138.

<sup>2</sup> - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مرجع سابق، ص: 25.

يجملها بلايك مور (1987) Blakemore في الروابط الخطابية، بينما يميز ديكر (1980) بين الروابط والعوامل حجاجية، وبالرغم من أن التمييز بين الروابط والعوامل لا يتسم بالصرامة الدقيقة التي تمنع التباسهما أحيانا<sup>1</sup> في القول، نظرا لتباين الأنظمة اللغوية، فإن ذلك لا يحول دون الإقرار باختلافهما على المستوى الوظيفي في النظرية الحجاجية لديكر. فالروابط تربط "بين وحدتين دلالتين أو أكثر في إطار إستراتيجية واحدة"<sup>2</sup>، أي أن الربط يمكن أن يؤلف بين قضيتين لوجود علاقة بينهما، كما في المثال التالي:

- زيد مريض لهذا لم يجتز الامتحان.

إذ يمثل هذا الملفوظ وحدتين دلالتين (أو قضيتين)، تجسد منهما (زيد مريض) حجة و (لم يجتز الامتحان) نتيجة، وهما وحدتان مترابطتان بواسطة الرابط "لهذا".

"أما العوامل الحجاجية، فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية، أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج لكونها تقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما"<sup>3</sup>، فإذا أخذنا ملفوظا من قبيل:

- الساعة تشير إلى الثامنة.

<sup>1</sup> - Jacques Moeschler et Anne Reboul , Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, op.cit, p : 179.

<sup>2</sup> - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مرجع سابق، ص: 29.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص: 27.

فإن إمكاناته الحجاجية متعددة، فقد يخدم النتيجة (أسرع)، وقد يخدم النتيجة المضادة (لا تسرع)، وفي حالة ما إذا أدخلنا على القول عاملا حجاجيا، فليكن مثلا هو القصر (لا...إلا..). فإن إمكاناته الحجاجية ستتقلص<sup>1</sup>، ولن يكون من الموسوع أن يدعم القول النتيجة (أسرع) إلا إذا كان الأمر تهكما أو سخرية، وبالتالي فالنتيجة المدعمة بعد القصر هي عدم الإسراع.

#### 4-المواضع

لا ينفك الحديث عن المواضع في معظم الدراسات الحجاجية على اختلاف إطاراتها النظرية عن اجتهادات أرسطو وتنظيراته في كتاب "الطوبيقا"، الذي خصه لرصد الفاعلية الإقناعية للمواضع باعتبارها مبادئ عامة تقوم عليها حجاجية القول في الخطابة والجدل، على خلاف الاستدلال الذي يقوم على الحجج البرهانية ويقود إلى نتيجة قطعية.

لقد استلهم ديكرو وأنسكومبر أهمية المواضع في الحجاج من أرسطو، غير أن الطرح الذي يتناولان به المواضع لا يأخذ منحى خطابيا قائما على محتوى الأقوال في تعبيرها عن القضايا كما هو الشأن في طرح البلاغة الجديدة، وإنما يتناول الباحثان المواضع من زاوية لسانية تنسجم مع الفرضية العامة لنظريتهما الحجاجية التي تدافع عن الخاصية الحجاجية الثاوية في بنية اللغة.

<sup>1</sup> - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مرجع سابق، ص: 29.

فالمواضع محايدة للبنية الداخلية للغة بحكم العلاقة التي تؤسسها بين الحجج والنتائج لحظة الحركية الخطابية، إذ تعتبر مبادئ تلعب دور ضامن الربط في التدرج العجاجي، ولتقريب الصورة يمكن أن نطلق من المثال التالي:

- الامتحانات على الأبواب، اجتهد أكثر.

فالانتقال من الحجة (الامتحانات على الأبواب) إلى النتيجة (اجتهد أكثر) محكوم بموضع يمنح التدرج العجاجي مشروعيته، ويمكن استحضار هذا الموضع على هذا النحو: (إذا اقتربت الامتحانات يتوجب على المرء أن يجتهد أكثر).

إن المواضع وفق تصور التداولية المدمجة بما أنها تضطلع بوظيفة التأليف بين الحجج والنتائج عبر إثارة مبادئ تشرع الانتقال، تجعل السيرورة العجاجية أقرب ما تكون إلى تلك المسلمات التي ينبني عليها النسق الصوري كما ذهب إلى ذلك أنسكومبر<sup>1</sup>.

وتتحدد المواضع وفق صفتين قيميتين هما "أكثر" و "أقل"، ويرمز لهما على التوالي ب (+) و (-)، وتأخذ البنى الدلالية للمواضع حسب تبادلية هاتين القيمتين أربعة أشكال:<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - رشيد الرضي، "مفهوم الموضع وتطبيقاته في العجاجيات اللسانية لأنسكومبر وديكرو"، مرجع سابق، ص: 198. وأيضا عز الدين الناجح، العوامل العجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع صفاقس تونس، الطبعة الأولى 2011، ص: 88.

<sup>2</sup> - رشيد الرضي، "مفهوم الموضع وتطبيقاته في العجاجيات اللسانية لأنسكومبر وديكرو"، مرجع سابق، ص: 207، مع التصرف في الأمثلة.

- (+ +) : الحر شديد، ستكون الرغبة في السباحة كبيرة.

- (+ -) : فرص الشغل قليلة، ستكون الرغبة في السباحة قليلة.

- (- -) : تجليات العدالة بين المواطنين قليلة، ستكون مناعة الدولة ضعيفة.

- (- +) : صعوبة الامتحان كانت كبيرة، ستكون فرص النجاح قليلة.

ويمكن أن يكون الملفوظ منفتحاً على هذه الإمكانيات الأربعة إذا لم يتضمن بشكل مباشر ما يفيد قيمة الحجة في إطار علاقتها بالموضع، ومن ثم يصبح انتخاب إحدى الإمكانيات الأربعة عبر تأويل قيمة الحجة، هو ما يوجه النتيجة نحو مسار معين، ويمكن توضيح ذلك من خلال الملفوظ التالي:

- ثمن هذه السيارة خمسون ألف درهم.

الملاحظ أن الملفوظ يتجه نحو الإقناع بنتيجتين متعارضتين، إذ يمكن تأويله على أنه يدفع إلى الشراء، كما يمكن أن يكون حجة تدعم نتيجة عدم الشراء، حيث القول يثير أربعة مواضع، كل اثنتين يدعمان نتيجة على النحو التالي:

- |            |   |  |
|------------|---|--|
| الشراء     | { | -الموضع 1: (+ +)؛ كلما كان ثمن الشيء مرتفعاً ازدادت الرغبة في شرائه. |
|            |   | -الموضع 2: (+ -)؛ كلما كان ثمن الشيء منخفضاً ازدادت الرغبة في شرائه. |
| عدم الشراء | { | -الموضع 3: (- -)؛ كلما كان ثمن الشيء منخفضاً ضعفت الرغبة في شرائه.   |
|            |   | -الموضع 3: (- +)؛ كلما كان ثمن الشيء مرتفعاً ضعفت الرغبة في شرائه.   |

ولا تقتصر الطبيعة الحجاجية للمواضع في نظرية ديكرود وأنسكومبر على ما يثيره محتوى القول من مبدأ موضعي، وإنما أيضا فيما يثيره اختيار الوحدات المعجمية في استقلالها، "وبعبارة أخرى إن كل كلمة يتم التلفظ بها تفتح المجال لإعمال موضع من المواضع، فهي لا تحيل إلى الموضوع، بل كما يقول أنسكومبر تحرك وتثير نظرة معينة حول الوضعية القائمة"<sup>1</sup>.

ولتوضيح الفكرة أكثر يمكن أن نأخذ على سبيل المثال وحدة معجمية من قبيل "تهور" أو "إرهاب". فبالرغم من أن الودعتين المعجميتين لم تدخلا في تأليف تركيبى ودلالي مع وحدات أخرى، فهما تثيران موضعين مفادهما على التوالي أن:

- "كل تهور قد ينتج عنه خطر".

- "كل إرهاب رفض للتعايش والاختلاف".

قد تثير الودعتان المعجميتان محتويات موضعية أخرى من قبيل: "كل تهور ينبغي زجره"، "كل إرهاب يجب وقفه ومحاربه"... إلخ، لكن سرعان ما تدخل الودعتان المعجميتان في علاقات تركيبية ودلالية مع وحدات معجمية أخرى، فإن الإمكانيات الموضعية تنقلص.

إن حجاجية اللغة وفق هذا التصور ليست طاقة تبدأ فعاليتها لحظة الانتهاء من التأليف بين الودعات المعجمية في ملفوظ، وإنما هي طاقة تسكن وحدات المعجم، "بحيث يمكن القول في

<sup>1</sup> - رشيد الرضي، "مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لأنسكومبر وديكرود"، مرجع سابق، ص: 209.

آخر المطاف إن الحقل المعجمي ما هو في أصله إلا حقل موضوعي"<sup>1</sup>. وهو ما يعني أن القيمة الدلالية للوحدات المعجمية لا تكمن فقط في الإحالة المرجعية، وإنما في المسار الحجاجي الذي تخدمه هذه الإحالة عن طريق ما تثيره من موضع أو مواضع.

ومن ثمة، فإن حجاجية الأقوال لا تتبع تحديدا من العوامل الحجاجية فقط كما افترض ديكر و أنسكومبر في المراحل الأولى من نظريتهما الحجاجية، وإنما من المواضع التي تستدعيها الأقوال بدءا من انتقاء الوحدات المعجمية إلى غاية تأليفها في أقوال ضمن السياق، وسيصير بالتالي اختيار قول ما في سياق تخاطبي ما اختيارا لموضع دون غيره، وفي حالة تعدد إمكانات الموضع، فإن العوامل تضطلع بوظيفة التأشير على إحدى تلك الإمكانيات تبعا لقصد المتكلم، أي أن مكن الشحن الحجاجي يتمثل تحديدا في المواضع، أما العامل فتكمن مهمته الأساس في انتخاب المسار الحجاجي.

<sup>1</sup> - رشيد الرضي، "مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لأنسكومبر وديكرو"، مرجع سابق، ص: 210.

## المبحث الخامس:

### الحجاج ونظرية المساءلة

#### 1- البلاغة والمساءلة

تقع جهود ميشال مايير Michel Meyer في الحجاج بين البلاغة والتداوليات والفلسفة، فقد استفاد الرجل من إسهامات بيرلمان وتنظيرات أرسطو قبله، كما انفتح على التداوليات والدراسات الفلسفية التي تناولت اللغة كظاهرة اجتماعية، وذلك ما قاده نحو تصور جديد في مقارنة التواصل اللغوي والحجاج على الخصوص. فإذا كانت اللغة ظاهرة اجتماعية ملازمة للاجتماع الإنساني، فإن "العمليات التواصلية التي تتم بين الناس (حسب مايير)، هي طريقة لا تهدف إلى إيصال شيء ما، أو تبليغ فكرة، أو تعبير عن رأي أو موقف، بقدر ما هي طريقة لتغيير الاختلاف الإشكالي الذي تختزنه الأقوال التواصلية، وطريقة لتقريب المسافات بين الآراء والمواقف، أو قل إنها طريقة للإجابة عن أسئلة منتظرة باعتبارها يطمح إليها الآخر، وطريقة لطرح أسئلة تقتضيها الظروف والمقامات التواصلية".<sup>1</sup>

بهذا المعنى فما يحرك البلاغة هو بواعث البحث عن إجابة للإشكالات التي تطرحها المواقف والوقائع، وحل الإشكالات التي يفرزها الاختلاف مع الآخر في إطار البحث عن المشترك والنافع في التجربة الإنسانية، فالبلاغة عند مايير طرح إشكالي قائم على التساؤل

<sup>1</sup> - عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، أفريقيا الشرق الدار البيضاء، دط 2006، ص: 197.

الذي يقتضي جواباً، أو أجوبة مفترضة، " إنها تفاوض على المسافة بين الأفراد حول سؤال"<sup>1</sup>.

تقوم المساءلة في تصور مايير على مبدأين اثنين<sup>2</sup>:

أ- المبدأ الافتراضي في تحليل الأقوال:

ومفاده أن الأقوال لا يمكن أن تخرج في أول المطاف وآخره عن كونها جواباً عن سؤال سابق، وسؤالاً عن جواب لاحق يتحددان بمقتضى السياق.

ب- مبدأ الاختلاف الإشكالي:

ويقوم على ضرورة وجود قضية مختلف حولها، ويجسد هذا الاختلاف الإشكالي الاستعمال المتفرد للغة بين المتخاطبين في إطار حل الإشكال المعلق.

## 2- الحجاج في نظرية المساءلة

إن الحجاج بغض النظر عن طبيعته الإقناعية، هو في الجوهر معالجة لمشكلة خلافية بين طرفين، فإذا يروم أحدهما إقناع الآخر بموقفه، فهو ينطلق قبل كل شيء من مساءلة، ومدار الحجاج أن يفضي إلى جواب عن تلك المساءلة، سواء أكان ضمنياً أو مصرحاً به، لأنه من المستحيل أن يوجد سؤال "يؤكد لنا أن (هذا) الاقتراح صحيح أو خاطئ دون أي بديل

<sup>1</sup> – Michel Meyer, Qu'est ce que l'argumentations ?, Cheminns philosophiques, Librairie philosophique, J. Vrin 2005, p : 11 .

<sup>2</sup> – عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مرجع سابق، ص: 196-197.

ممکن<sup>1</sup>.

وإذا كان الحجاج يتجه نحو مفاوضة المسافة بين المتخاطبين حول إشكال ما، فإن هذه المفاوضة ليست مشروطة بالضرورة بتدوين الاختلافات وتقليص المسافة، وإن كان هذا هو الأصل، وما ينبغي أن يكون، بل إن المفاوضة قد تتخذ منحى عكسيا، "لأن المرء قد يرغب بشكل جدي في الحفاظ على (هذه) المسافة أو زيادتها لظروف سياسية أو اجتماعية"<sup>2</sup>.

وإذ يعتبر مايبير الحجاج إشكالا استفهاميا، فلأن الجواب في حد ذاته قد يثير سؤالا آخر أو أسئلة أخرى، تتضافر المعطيات التداولية والحجاجية أساسا في تأويلها ضمن العمق التساؤلي.

بهذا المعنى فأفعال الكلام التي تحدث عنها أوستين وسيرل لا تخلو في تصور مايبير من الخاصية التساؤلية، فهي تعكس تساؤلا يفترض فعلا أو رد فعل مرتبطا بانعكاسية القول على المخاطب كنتيجة لجواب<sup>3</sup>، وفي الحالات التي يكون فيها الفعل الإنجازي غير مباشر، يتخذ التساؤل عن الضمني بعدا أعمق، لأن ذلك يقتضي "أن نستخرجه من سؤال ثان، يختلف

<sup>1</sup> – Michel Meyer, Qu'est ce que l'argumentations ?, op.cit , p: 10.

<sup>2</sup> – Ibid, p :24.

<sup>3</sup> – عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مرجع سابق، ص: 200. يحيل على:

– M. Meyer, Questions de rhétorique, langage raison et seduction, Ed Livre de Poch 1993, p : 79.

عن المعنى الذي يظهره المتكلم في قوله الأول"<sup>1</sup>.

ينطلق مايبير في دراسته للحجاج من تنظير أرسطو بالأساس، غير أن تصور مايبير ذو نزعة فلسفية تنظر إلى الحجاج باعتباره مساءلة وأخلاق، ولذلك نجد مايبير يختزل ثوابت الحجاج الثلاثة في التنظير الأرسطي؛ "الأيثوس" و"الباتوس" و"اللوغوس"، في عنصرين اثنين هما الأخلاق، والإشكال، وتقابل الأخلاق عند أرسطو "الإيتوس" يلحقه "الباتوس"، أما الإشكال فهو يمثل "اللوغوس"، ويتضمن السؤال والجواب"<sup>2</sup>.

يستمد الخطاب حجاجيته من جهة الأخلاق من حيث كون المتكلم يحظى بمصداقية وقبول عاطفي لدى المخاطب، كما أن معرفة المتكلم بأحوال المخاطب من باب توقع قبوله أو رفضه، لها دورها في نجاعة الإقناع، فضلا عن الوظيفة الحجاجية التي يضطلع بها السؤال في مفاوضة المسافة بين المتكلم ومخاطبه، عبر "إيجاد الوسائل لإثارة التفرد في الجواب والتشبيث باستجابة المخاطب، ومن ثمة قمع البديل من وجهة نظره الأصلية، أي السؤال الذي يجسد هذا البديل"<sup>3</sup>.

إن تصور مايبير للحجاج لا ينفصل عن مشروعته الفلسفي الرامي إلى إعادة الفلسفة إلى

<sup>1</sup> - عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مرجع سابق، ص: 199. إحالة حرفية على:

- M. Meyer, Questions de rhétorique, p : 80.

<sup>2</sup> - محمد علي القارصي، "البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال مايبير"، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، مرجع سابق، ص: 401.

<sup>3</sup> - Michel Meyer, Qu'est ce que l'argumentations ?, op.cit , p: 15 .

طبيعتها الاستشكالية ضمن البحث في القضايا بعد الأزمة التي عرفتة العقلانية الديكارتية في معالجة العديد من الإشكالات الإنسانية، وفي مقدمتها الخطاب واللغة، "وعلى هذا الأساس يعود مايبير إلى الفلسفة اليونانية لبحث فيها عن نشأة السؤال الذي اقترن بميلاد الفلسفة والنظر في أبعاده وخصوصياته"<sup>1</sup>، سعيا منه إلى ربط التفكير بالمساءلة في إطار سؤال المعرفة الذي يقتضيه البحث والاستكشاف.

وإذا كان الحجاج واللغة عموما من أبرز مظاهر التفكير، فإنها تُفَعَّل في تقدير مايبير عندما يتم التعبير عن أسئلة<sup>2</sup>، تهم العيش المشترك بما من شأنه أن يجعل التواصل اللغوي والحجاجي مفاوضة عقلية تكون بديلا عن العنف في تدويب الاختلافات الإشكالية بين الناس.

<sup>1</sup> - محمد علي القارصي، "البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال مايبير"، مرجع سابق، ص: 389.

<sup>2</sup> - Michel Meyer, Qu'est ce que l'argumentations ?, op.cit , p: 10 .

## المبحث السادس:

### الحجاج ومقتضيات الإقناع

إذا كان من غير الممكن الحديث عن الحجاج خارج كونه نشاطا تواصليا في المقام الأول، فإن التواصل كممارسة إنسانية واجتماعية تفرضها مقتضيات التعايش الاجتماعي، لا يمكن أن تتحدد كفعل مؤسس للعلاقات في إطار العيش المشترك إلا باعتباره الوسيلة الأرقى لتنويب الاختلافات في الآراء، لكن ذلك بعيدا عن أخلاقيات التواصل ومقتضيات الإقناع يجعل في كثير من الأحيان الممارسة التواصلية فعلا قسريا لممارسة التأثير الذي يفقد الآخر حرية التصرف على نحو اختياري.

إن الحجاج ممارسة عقلية وهي تقتضي أن تكون فوق ذلك ممارسة أخلاقية، وإلا فإن دفع الآخر إلى التصرف على نحو ما أو حمله على موقف، ما بغض النظر عن معقولية الحجج ومشروعيتها في تسويغ الادعاء قد يقود إل التطوع، لأن عدم التقيد بضوابط معينة يعني أن كل إستراتيجيات إرغام الآخر على الاقتناع مشروعة، بما في ذلك الكذب والتهديد والتغليب.

وبمعنى آخر، فكما لا يمكن تصور علاقات اجتماعية إلا ضمن الممارسة التواصلية، فإن هذه الأخيرة لا تعكس عقلانية الإنسان وتحضره إلا عندما تتبنى على الحجاج باعتباره ممارسة عقلية وأخلاقية تستهدف تحقيق الاقتناع الحر البعيد عن الإكراه أو التضليل، خاصة حينما يتعلق الأمر بقضايا احتمالية، فالتواصل بين طرفين حول قضية احتمالية يزعم فيها المتكلم صحة موقف ما يبقى ترجيحيا يغذيه الظن، وهو ما يقتضي من المخاطب أن يكون

حرا في الإذعان وقبول الموقف "فإذا كان المتكلم (نفسه) غير مقتنع بما يدافع عنه إلا على نحو متغير (أو ظني ترجيحي) فإنه لا يستطيع إلا أن يطلب الشيء ذاته من المخاطب"<sup>1</sup>.

وفق هذا التصور يرى فيليب بريتون أن الممارسة العجاجية تقتضي أن تتأسس على ثلاثة ضوابط أساسية<sup>2</sup>:

- الحجاج باعتباره فعلا تواصليا يقوم على رسالة ومشاركين.
- الحجاج لا يتوجه إلى فرض الإقناع، وهو ما يعني القطع مع وسائل التطوع القسري.
- الحجاج يعني اقتراح الرأي على الآخرين وتقديم الحجج التي تجعلهم يقنعون.

إن النظر إلى الممارسات اللغوية التواصلية القائمة على اختلاف الآراء في ضوء هذه المحددات يظهر أن الكثير منها أبعد ما يكون عن الحجاج باعتباره نشاطا يحفز على الرأي دون أن يفرضه، وإذا كنا نتحلى بقليل من الجرأة والموضوعية في النقد الذاتي، فليس علينا إلا أن نتأمل ممارساتنا التواصلية اليومية مع الآخرين سواء في البيت أو في العمل، لنكتشف أن جانبا منها لا يقف على الحجاج بالمعنى الذي يفيد اقتراح الرأي على الآخر وتحفيزه على قبوله بحجج تسوغ الرأي ذاته، وإنما يتعلق بفرض الرأي إما بتوسل السلطة كما هو

<sup>1</sup> - Philippe Breton, L'argumentation dans la communication , op.cit, p :31.

<sup>2</sup> - Ibid, pp: 16 - 17.

الأمر في توجيه اختيارات الأبناء من طرف الآباء وحمل المرؤوسين على الإذعان لرأي الرئيس في العمل بموجب التراتبية الإدارية، أو بتوسل الإغراء، أو حتى التضليل كوسيلة لتحفيز الآخرين على قبول الرأي أو التحفيز على فعل كما يشيع ذلك في الإشهار والبيع أحيانا.

إن حمل الآخر على الإذعان أو الاستجابة لفعل في مثل هذه الممارسات لا يتمظهر في معظم الأحيان كممارسة اتفاقية مولدة عن إجماع تذواتي على حجاج يخاطب العقل دون أن يقيد الإرادة، وإنما في شكل ممارسة تأثيرية تحكمية، لأن الاتفاق "لا يمكن أن يكون مفروضا من فوق أو مقبولا نتيجة ضغط أحد المشاركين في الآخر"<sup>1</sup>.

وإذا كانت البلاغة القديمة مع أرسطو جعلت من الحجاج فعالية تأثيرية تتحقق بحجج العقل (اللوغوس) وحجج العاطفة والوجدان كما يجسدها الإيتوس والباتوس، ومن ثمة جعلت من التدبير الإستراتيجي للأهواء أساسا ضمن التدبير الشمولي للفاعلية الحجاجية، فإن السائد في بعض التوجهات الحجاجية النقدية وتحديدًا مع **فان إميرن FRANS H. VAN EEMEREN**، وروب غروتندروست **ROB GROOTENDORST** أن الحجاج الذي يوجه إرادة المخاطب بإثارة الأهواء ترهيبًا أو إغراء "يعد بديلا غير شرعي لما ينبغي أن

<sup>1</sup> - محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة نموذج هابرماس، أفريقيا الشرق الدار البيضاء، الطبعة الثانية 1998، ص: 186-195.

يكون عليه الحجاج"<sup>1</sup>.

وبين هذين الموقفين موقف يسير في اتجاه تأكيد أن استدعاء العواطف في الحجاج ليس في ذاته ما يعيب الحجاج، وإنما في مدى ملاءمة استنفار الأهواء لنوعية الحوار الذي استخدمت فيه وصلته بالقضية المتنازع حولها، وحدود التأثير النفسي الذي يخلقه، فمتى تم استدعاء العواطف فيما لا علاقة له بصحة الإدعاء، أو تعدى استدعاؤها حدوده المعقولة، كلما جاز اعتبار ذلك استهواء وعنفا.

ومن الباحثين أصحاب هذا التصور **دوغلاس والتون Douglas Walton**، حيث يرى أن استنفار الشعور بالخوف لغاية نبيلة من قبيل تحفيز الناس من طرف الحكومة أو أي منظمة على تجنب السرعة أثناء القيادة أو تفادي القيادة في حالة سكر باستدعاء العواطف الوخيمة في حالة وقوع حادثة، يعتبر مقبولا ما لم يكن مسرفا من حيث الآثار النفسية التي يخلقها<sup>2</sup>.

وإذ كان استنفار العواطف مستساغا ومعقولا في مثل الحالات التي يستهدف فيها المتكلم توجيه المخاطب إلى القيام بفعل يصب في مصلحته كما هو الأمر في توجيه الآباء للأبناء، فإن توجيه المتكلم المخاطب إلى موقف أو سلوك حول قضية تتنازع فيها مصالح الطرفين بتهييج العواطف قد يفقد الممارسة التواصلية طبيعتها الحجاجية، ويحولها إلى ممارسة تواصلية ذات طبيعة إستراتيجية تضمّر رهان السيطرة على الآخر وشل قدراته النقدية.

<sup>1</sup> - حاتم عبيد، "منزلة العواطف في نظرية الحجاج"، عالم الفكر، العدد 2 المجلد 40 أكتوبر ديسمبر 2011، ص: 248.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 252.

ولعل أكثر ما يتجلى فيه ذلك " خطابات الساسة والمرافعات القضائية والعلاقات العامة، وفي الخطابات التي يراد بها التلاعب بالعقول والتأثير في الرأي العام لمصلحة قضية شخصية"<sup>1</sup>. إن الأمر يتعلق بما يوازي في تصور هابرماس "النشاط التواصلي الإستراتيجي" الموجه نحو التحكم في إرادة الآخر بأي وسيلة بغض النظر عن معقوليتها، لذلك يتمثل رهانه في النجاح، أي النجاح في التأثير، عكس النشاط التواصلي الموجه نحو التفاهم والذي يتوسل حجاجا معقولا يعكس فكرة مفادها: أنني لا أريد أن أفرض عليك ما أعتقده، وإنما أريد أن أشركك في معقولية ما يسوغ ما أعتقده"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - حاتم عبيد، "منزلة العواطف في نظرية الحجاج"، مرجع سابق، ص: 251.  
<sup>2</sup> - في إطار تناول هابرماس لأخلاقيات الفعل التواصلي الموجه نحو التفاهم والتي يحددها في المعقولية والحقيقة والدقة والصدق، يرى أن الحجاج هو ما ينبغي أن يغذي تحقيق التفاهم، بعيدا عن كل أشكال التحكم بما في ذلك الإكراه بالتهديد والإغواء والتي تميز النشاط التواصلي الإستراتيجي، انظر:  
- محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة نموذج هابرماس، مرجع سابق، ص: 181-208.

## خاتمة الباب الأول

بالرغم من أن الموضوع الأساس للتداوليات هو اللغة، فإنها لم تنشأ في حضان اللسانيات التي تعتبر أكثر الحقول القريبة منها، وإذا كانت إسهامات كل من موريس وبورس في إطار السميائيات قد غدت التداوليات، فإن نشأتها الفعلية ارتبطت بالفلسفة التحليلية وتحديدا مع اتجاه فلسفة اللغة من خلال نظرية الأفعال الكلامية لأوستين التي طورها تلميذه سيرل، وكذا اجتهادات غرايس في الاستلزام التخاطبي، وإسهامات ستراوسن في الافتراضات التداولية، فضلا عن اجتهادات بنفست المتعلقة بالذاتية في التلفظ.

تمثل دراسة التفاعل اللغوي اهتماما مشتركا بين حقول معرفية كثيرة، من بينها التداوليات، وهذا ما يجعلها تتداخل مع حقول مهتمة بالموضوع ذاته خاصة علم التواصل والبلاغة وعلم النفس المعرفي كما عززت ذلك نظرية الملاءمة لسبيربر **D. Sperber** وويلسون **D. Wilson** ، كما أن التداوليات حقل شاسع تغديه إطارات نظرية متعددة وذات توجهات متباينة أحيانا، وهذا ما يصعب مهمة الباحث في الاعتماد بشكل شامل على كل النظريات والتوجهات التداولية في تحليل الخطاب، لذلك لم نخض في نظرية الملاءمة حتى لا نوجه تحليل الخطاب السياسي في الشق التطبيقي وجهة نفسية معرفية.

يعتبر الحجاج من أهم المباحث البلاغية، لكنه يقع أيضا في دائرة اهتمامات التداولية، فهو بحكم كونه فعالية خطابية تحكمها اعتبارات القصد في استعمال اللغة، يعني أنه ممارسة

تحكمها اعتبارات تداولية. وحيث إن الحجاج خطابي، يتوسل اللغة لإحداث تأثير في المخاطب، فإنه بذلك يوازي الفعل الكلامي بالتصور الأوستيني بحكم استهدافه لتأثير ما.

تتناول البلاغة الحجاج باعتباره تقنيات خطابية، بينما تتناوله نظرية ديكر و أنسكومبر ذات المرجعية اللسانية التداولية، على أنه فعالية ثاوية في بنية اللغة نفسها، وهما توجهان وإن كانا يختلفان من حيث المرجعية المعرفية والتوجه النظري، فإنهما لا يتعارضان، بل إنهما يبسطان جانبين متكاملين يرتكز عليهما الحجاج.

لهذا نعتقد أن التحليل الحجاجي للخطاب لا يمكن أن يكون متكاملًا باعتماد مقارنة أحادية، لأن الحجج والتقنيات الحجاجية التي توطرها، والترتيب الذي تأخذه الحجج، فضلا عن الأدوات اللغوية التي توجهها، ليست عناصر وآليات معزولة عن بعضها البعض في تدفق الخطاب، وإنما بنية حجاجية تقتضي مختلف أدوات التحليل.

لقد تبين مع توجه مايير الفلسفي أن الحجاج مفاوضة حول المسافة بين المتخاطبين بشأن إشكال ما، وتوضح من تصورات عدد من الباحثين المهتمين بالحجاج أمثال هابرماس وبريطون وإميرن وغروتندروست، أن الحجاج ممارسة عقلية وأخلاقية، فهو بحكم كونه يقع ضمن دائرة المحتمل، فإنه ينبغي أن يستهدف الإقناع بعيدا عن كل أشكال الضغط الذي يفرض الإقناع، بما في ذلك الاستهواء والتحايل والتغليط، التي تعتبر أشكالا من العنف لإلزام المخاطب بالإذعان.

## الباب الثاني:

### تحليل الخطاب السياسي

### والمرتكزات الإستراتيجية

### للتأثير والتطوع الجماهيري في

### خطاب السلطة

## تمهيد

نسعى في هذا الباب إلى تقديم أهم المرتكزات والأسس الخلفية التي تمثل دعامة لاستهداف تحقيق استجابة معينة من طرف الفاعل السياسي الذي يخاطب حشودا كبيرة من الجماهير من خلفية كونه مجسدا لسلطة مؤسسية، مثلما هو شأن رؤساء الدول والملوك ورؤساء الحكومات، كما نسعى إلى تسليط الضوء على بعض إستراتيجيات التطبيع التي يستثمرها الفاعل السياسي لحمل الجماهير على الإذعان بشكل استهوائي أو تضليلي، وهي إستراتيجيات نتناولها كمظاهر للتطبيع في الخطاب السياسي الجماهيري الصادر عن السلطة، وليس كخصائص مميزة لهذا النوع من الخطاب السياسي، لأنه يمكن أن نجد الخطاب السياسي الجماهيري الساعي للسلطة -كما تمثله خطابات الحملات الانتخابية- يتوسل هو الآخر هذه الإستراتيجيات أو معظمها، بل وأيضا الخطاب الإشهاري، وبنوع من العموم يمكن أن نجدها في كل خطاب يروم وجوب إذعان المخاطب، حتى لو اقتضى الأمر توسل إستراتيجيات لا تتسجم مع ضوابط الحجاج باعتباره ممارسة عقلية وأخلاقية تحفز المخاطب على التفكير العقلي الذي يقود إلى اقناعه بشكل واع وحر، بعيدا عن أشكال التحايل والتضليل والإغواء والترهيب التي تعد منافذ للتطبيع بدل الإقناع.

لكن وقبل ذلك، سنقف في الفصل الأول من الباب على أهم الخصائص والوظائف المميزة للخطاب السياسي بشكل عام، وأهم المقاربات التي تُعتمد في تحليله ضمن حقل تحليل الخطاب الذي ينهل من حقول معرفية مختلفة.

## الفصل الأول:

# الخطاب وتحليل الخطاب السياسي

## المبحث الأول:

### الخطاب وتحليل الخطاب

#### 1- في مفهوم الخطاب

يعود الأصل اللاتيني لكلمة الخطاب "Discours" إلى "Discursus"، وفعلها "Discurere"، وتحيل عند أفلاطون على الجدل Dialectique والعقل أو النظام<sup>1</sup> Logos. وتشير المادة المعجمية لـ (خطب) في المعجم العربي إلى عدة دلالات لغوية، مدارها عموماً: الإجابة عن شيء ما والنطق به، ومراجعة الكلام، كما تشير إلى الكلام المنثور والمسجع، وقد قيل في قوله تعالى "وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَّ الْخِطَابَ"<sup>2</sup>، إن المقصود هو الحكم بالبينة أو اليمين، أو الفصل بين الحق والباطل أو الفقه في القضاء<sup>3</sup>.

ولا تبتعد بعض هذه التحديدات المعجمية عن التحديد الاصطلاحي لكلمة "خطاب" التي يراد بها "توجيه الكلام نحو الغير للإفهام...، وقد يعبر عنه بما يقع به التخاطب. قال في

<sup>1</sup> - الزاوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، دط 2000، ص: 40. يحيل على:  
- Manfred Frank, sur le concept de discours chez Foucault, in Michel Foucault philosophe, Edition seuil, paris 1988, p :125.

<sup>2</sup> - القرآن الكريم برواية ورش عن نافع، سورة ص، الآية 19.

<sup>3</sup> - ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، المجلد الأول (مادة خطب)، ص: 361. وأيضاً مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الجيل المؤسسة العربية للطباعة والنشر بيروت لبنان، الطبعة الأولى دت، المجلد الأول (مادة الخطب)، ص: 65.

الأحكام: الخطاب اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو منتهى لفهمه<sup>1</sup>.

وإذا كان التنظير اللساني الأوفر تحديدا للخطاب بحكم ارتباط هذا الأخير بالدرجة الأولى باللغة، فإن تباين المرجعيات اللسانية واختلاف فرضيات البحث وأدواته، ألبس الخطاب دلالات مختلفة، فالخطاب من منظور هاريس **Z. Hariss** يمثل وحدة لسانية مكونة من جمل متعاقبة، وهو بذلك يقابل الجملة باعتباره ملفوظا طويلا يتألف من مجموعة من الجمل المغلقة على ذاتها، والتي يمكن معاينتها بالمنهجية التوزيعية<sup>2</sup>.

من جهة أخرى يقابل "الخطاب" اللسان بمفهوم دو سوسير، فإذا كان اللسان مجموعة من القواعد التي تؤلف نظاما يشترك فيه أفراد الجماعة اللغوية في استعماله، فإن الكلام هو الاستعمال الفعلي للسان، أي التحقق الفردي لتلك القواعد<sup>3</sup>.

ومن الباحثين من يقابل بين النص والخطاب، حيث يعتبر هذا الأخير أوسع مجالا من النص، بحكم أنه يتضمن ملابسات الخطاب وظروفه التي تسمح بالتأويل، كالسلوكات والإيماءات المصاحبة والزمان والمكان، وفي ذلك يُنظر إلى النص باعتباره وحدة دلالية، في حين أن الخطاب هو موقف يتضمن سلسلة من الوقائع الخطابية التي يعرض فيها

<sup>1</sup> - محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى 1996، الجزء الأول، ص: 749.

<sup>2</sup> - عبد الواسع الحميري، الخطاب والنص المفهوم العلاقة السلطة، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2008، ص: 91.

<sup>3</sup> - باتريك شارودو ودومينيك مانغينو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر المهيري وحمادي صمود، المركز الوطني القومي للترجمة تونس، منشورات دار سيناترا، دط 2008، ص: 181.

المتخاطبون نصوصا بوصفها أفعالا خطابية<sup>1</sup>.

ويمكن أن نلفي صورة أخرى لتحديد الخطاب باعتباره مقابلا للملفوظ بمفهوم **بنفست**، فالخطاب فضلا عن كونه وحدة لغوية يشكل وحدة اتصالية ترتبط بظروف الإنتاج، أي يُنظر إليه باعتباره حدثا تواصليا، أما الملفوظ فهو وحدة لسانية متجاوزة لحدود الجملة وينظر إليه باعتباره نتيجة لفعل التلطف<sup>2</sup>.

ومن هذه التحديدات يمكن أن نسجل أن الخطاب باعتباره حدثا تواصليا منبنا على استعمال اللغة فيما يتجاوز الجملة، يعتبر خارج دائرة اللسانيات الصورية وتحديدات البنيوية والتوليدية، لأنه مرتبط من منظور الأولى بالكلام، ومن منظور الثانية بالإنجاز، وعنصر الكلام في اللسانيات البنيوية كما هو شأن الإنجاز في اللسانيات التوليدية، عنصران متغيران ومرتبطان بالتحقق الفردي للغة، ولذلك فهما يخرجان عن اهتمام البحث اللساني الذي يركز على دراسة اللسان من حيث كونه نظاما كليا للغة، والقدرة باعتبارها ملكة كونية لإنتاج ما لا حصر له من الجمل انطلاقا من عدد محدود من القواعد.

أما مصطلح النص، فيطلق في الغالب على "الإنتاج اللغوي الذي يتعدى الجملة باعتباره سلسلة من الجمل يطبعها مبدآن، مبدأ الوحدة، ومبدأ الاتساق (أو التناسق)"<sup>3</sup>، لتؤلف وحدة

<sup>1</sup> - محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي القاهرة مصر، دط 2014، ص: 10.

<sup>2</sup> - باتريك شارودو ودومينيك مانغينو، معجم تحليل الخطاب، مرجع سابق، ص: 181.

<sup>3</sup> - أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، دار الأمان الرباط، الطبعة الأولى 2010، ص: 22.

دلالية مركبة من عدة وحدات دلالية صغرى، بغض النظر عن ظروف الإنتاج التي قد تتوفر وقد لا تتوفر.

يعتبر تعريف **بنفست** للخطاب ذا صبغة تداولية، وهو في الحقيقة أقرب إلى ما اتجه إليه **جيوڤري ليتش G . Leech** و**مايكل شورت M. Short** حينما أشارا إلى أن "الخطاب تواصل لغوي يُنظر إليه باعتباره عملية تجري بين متكلم ومستمع، أو تفاعل شخصي يحدد شكله غرضه الاجتماعي"<sup>1</sup>، ويبقى هذا المفهوم في تقديرنا الأقرب إلى ملامسة الخطاب كما هو في حقل تحليله، أو ما يُطلق عليه لسانيات الخطاب، التي تستند إلى مجموعة من العلوم من بينها التداوليات.

ولعل ما أورده **مانغينو D . Maingueneau** و**شارودو P. Charaudeau** في هذا الإطار حول خصائص الخطاب، يبقى الأكثر تداولاً وشيوعاً بين الباحثين في هذا المجال، ويمكن أن نجمل تلك الخصائص فيما يلي<sup>2</sup>:

- الخطاب يفترض تركيباً أشمل من الجملة؛ وهذا لا يعني أن الخطاب ينبغي أن يفوق بالضرورة الجملة حجماً، لأن هنالك خطابات على شكل جمل، ومن الخطابات التي

<sup>1</sup> - سارة ميلز، الخطاب، ترجمة عبد الوهاب علوب، المركز القومي للترجمة القاهرة (العدد 2581)، الطبعة الأولى 2010، ص: 22. نقلاً عن :

-J . Hawthorn, A concise glossary of contemporary literary theory, Edward Arnold, london 1992, p : 189.

<sup>2</sup> - باتريك شارودو ودومينيك مانغينو، معجم تحليل الخطاب، مرجع سابق، ص ص: 183-182-184.

على هذه الشاكلة المثل، وتعابير الحظر نحو "لا للتدخين".

- الخطاب موجه؛ فهو يُبنى وفق غاية، ويوجه نحو وجهة ما، ويتطور في الزمان، وتتجلى ميزته التوجيهية في بعض العبارات من قبيل "سأعود إلى هذا"، "كان علي أن أقول..."، حيث كلما حاد الخطاب عن وجهته إلا وتم صرفه من أحد المتخاطبين إلى الوجهة الأصلية.

- الخطاب شكل من أشكال الفعل استنادا إلى نظرية الأفعال الكلامية؛ فكل ملفوظ إنجاز لفعل ما، والخطاب في الغالب يتشكل من ملفوظات، لذلك فهو عبارة عن عدة أفعال كلامية يحكمها فعل إنجازي كلي يخضع للخلفية الاجتماعية.

- الخطاب تفاعلي؛ ويقضي ذلك وجود متكلم ومخاطب واقعي أو افتراضي يؤطرهما التفاعل والتواصل، سواء أكان شفويا أو غير شفوي، لأن سائر أشكال التواصل الأخرى قد تدخل بشكل أو بآخر في التواصل اللغوي بحكم أننا لا نفكر خارج اللغة.

- الخطاب محكوم بسياق؛ إذ لا يمكن تصور خطاب خارج سياقه الإنتاجي.

- الخطاب متكفل به؛ إذ لا يمكن تصور خطاب إلا باعتباره يمثل متكلمًا يضطلع بتحديد معنى بعض عناصر التأشير الشخصي أو الزماني أو المكاني بالنسبة إليه، فالمتكلم حينما يقول: "أنت" و"الآن" و"هنا"، فهو من يتكفل بتحديد معاني هذه الإشارات بالنسبة إليه، وهذا ما يعكس ذاتية المتكلم في الخطاب.

- الخطاب محكوم بمعايير؛ فهو مثل السلوك الاجتماعي محكوم بقوانين أو أعراف، فمعيار الاستفهام مثلا يقتضي أن المتكلم يطلب معرفة شيء يجهله، ومعرفته يمكن أن تفيده، كما أنه يعتقد أن المخاطب يمكن أن يمدّه بهذه المعرفة، فكل ملفوظ لا بد أن يجد مشروعية وجوده في الخطاب بناء على قوانين الخطاب.
- الخطاب واقع بين خطابات؛ فالخطاب لا يأخذ معناه إلا في تفاعله واحتكاكه مع خطابات أخرى بالتعليق عليها أو محاكاتها أو الاستشهاد بها... إلخ.

## 2- تحليل الخطاب

يعتبر حقل تحليل الخطاب حديث النشأة مقارنة مع اللسانيات، فهو لم يظهر إلا مع بداية النصف الأول من القرن العشرين، وكانت بدايته الأولى في حضان اللسانيات مع هاريس الذي تمثّل تحليل الخطاب في "توسيع الطرق التوزيعية التقليدية لتشمل ما فوق الجملة من وحدات"<sup>1</sup>. وتعزز البحث في الخطاب كموضوع لساني مع أبحاث بنفنست التي تجاوزت البحث في اللسان كما حدده دو سوسير إلى البحث في التلفظ كفعل فردي لاستعمال اللغة، يعكس ذاتية المتلفظ من خلال بعض المؤشرات كالضمان وإشارات الزمان والمكان، وهو ما اقتضى الانفتاح على زمان التلفظ ومكانه والمشاركين فيه. وبذلك يكون بنفنست قد ربط اللسانيات بما كان خارجا عنها ممثلا في المؤشرات المقامية، أي الخطاب بشروط إنتاجه.

<sup>1</sup> - باتريك شارودو ودومينيك مانغينو، معجم تحليل الخطاب، مرجع سابق، ص: 44.

لقد كانت الأبحاث اللسانية الصورية لا تتعدى مستوى الجملة كأقصى وحدة لسانية في التحليل، ومع انتشار أبحاث أوستين وسيرل واجتهادات غرايس، فضلا عن الأفق الذي فتحت أبحاث بنفست في التلفظ، انفتحت اللسانيات على دراسة اللغة في علاقتها بملايسات القول وظروفه، وما كان لذلك إلا أن يخرجها من التوقع في حدود الجملة إلى الانفتاح أكثر على مستويات أوسع في التحليل، وهو ما يمثله تحليل الخطاب الذي يأخذ بعين الاعتبار كل مقتضيات وظروف الفعل الخطابى، لأن الخطاب لا ينبني على اللغة وحدها، بل وأيضا على المعالم السياقية التي توجه المعنى وفق ما يقصده المتكلم.

موازاة مع ذلك، شكل تحليل الخطاب نقطة جذب بالنسبة لعلماء الاجتماع أمثال غوفمان **E. Goffman** الذي خص أبحاثه للتحليل التخاطبى كمظهر للتعامل الاجتماعى، وغامبرز **J. Gumperz** الذي استهدف تحليل الخطاب من زاوية إثنولوجية من خلال الوقوف على التنويعات اللسانية المختلفة في اللسان الواحد أو الألسن المتعددة، ومن ثمة دراسة دور هذه التنويعات في التفاعل الخطابى وتأويل الأقوال<sup>1</sup>.

فضلا عن ذلك، كان للتوجه الذي اتخذته مدرسة بالو ألتو **Palo Alto** أثر في إثراء الأبحاث المهمة بالتواصل وتحليل الخطاب، خصوصا من خلال تأكيد رواد هذه المدرسة على أهمية التواصل في التأثير على الآخرين، بل وأيضا في العلاج النفسى، ففي نظرهم "لا يوجد فرد مريض نفسيا، بل ثمة أنساق من التفاعلات تسبب تأويلات مؤلمة للواقع - فيمكن

<sup>1</sup> - فليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، مرجع سابق، ص: 66-72.

أن تكون لنا إذن إدراكات ذهنية لنفس الواقع- وبناء عليه، فإن دور العلاجات النفسية يتمثل في جعل المرضى يعدلون رؤيتهم للأشياء"<sup>1</sup>.

إن تعدد دراسة الخطاب وتباين المرجعيات المعرفية للدراسات التي تناولته، يجعل من تحليل الخطاب مجالاً واسعاً يصعب تحديده وضبط أدواته والوقوف على منهج قار في التحليل، فهو يمثل أرضية مشتركة لعدد من العلوم كاللسانيات وعلم النفس والتواصل وعلم الاجتماع وغيرها. ولأن الخطاب ظاهرة لغوية، فإن على اللسانيات التي نذرت نفسها للبحث في اللغة أن تحدد علاقتها بتحليل الخطاب، إما من جهة اعتباره حقلاً مستقلاً بذاته، وهذا أمر قد لا تستسيغه اللسانيات لأن ذلك قد يعكس عجزها عن مقارنة أحد أهم تمظهرات اللغة، وإما باعتباره من جهة ثانية جزءاً لا يتجزأ من اللسانيات، وهذا أمر ممكن لكنه يضع اللسانيات الصورية التي لا تتجاوز الجملة في التحليل أمام تحديين على الأقل.

-يتمثل التحدي الأول في أنه يجب على اللسانيات أن تنظر إلى الخطاب على أنه وحدة لسانية أكبر من الجملة، وإذا اتخذ الأمر هذا المنحى، فإن على اللسانيات أن توضح كيفية اشتغال القواعد التركيبية والدلالية المتحركة في هذه الوحدة على غرار الجملة، التي تستند إلى قواعد التركيب في التأليف بين الوحدات المعجمية، وتضمن في الآن نفسه مدخلا للتأويل الدلالي، أي أن القواعد التركيبية والدلالية التي تحكم الخطاب (إن وُجدت) "يتعين أن تمكننا من الحكم على سلامة تكوين الخطاب، وأن نستخرج من سلسلة الأقوال تأويلاً

<sup>1</sup> - فليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، مرجع سابق، ص: 87.

(خطابيا) لا يختزل في مجموع تأويلات هذه الأقوال<sup>1</sup>. وإذا نجحت اللسانيات في الكشف عن الوحدات الصغرى في الخطاب، سواء أكانت ملفوظات أو جمل، وعملت على توضيح كيفية التأليف بينها بناء على التركيب والدلالة، فإن تحليل الخطاب قد يصير حينئذ جزءا من اللسانيات<sup>2</sup>.

-ويتمثل التحدي الثاني في أن التأويل الدلالي للأقوال قد لا يخضع لاعتبارات الموضوع، أي موضع القول في علاقته بما يسبقه وبما يليه، كما هو حال الوحدات المعجمية في الجملة. وقد يكون المخرج من ذلك أن تخضع دلالة القول للدلالة الكلية في الخطاب<sup>3</sup>، قياسا على خضوع الوحدات المعجمية للدلالة الكلية للجملة، غير أن الإشكال الذي يبقى مطروحا هو أن دلالة الخطاب نفسها لا تختزل في مجموع الأقوال التي تكوّن الخطاب، بل تنفتح على السياق بكل معطياته وخلفياته الاجتماعية والنفسية والثقافية والاعتقادية.

وأمام هذين التحديين يظهر خيار ثالث، وهو الأكثر شيوعا بين الباحثين، ويتعلق بالنظر إلى تحليل الخطاب على أنه توجه لساني لكنه مختلف عن لسانيات الجملة من حيث أدواته ومرتكزاته في التحليل، وهو ما يعرف بـ"لسانيات الخطاب"<sup>4</sup> كما تمثلها التداوليات.

1 - آن رويول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، مرجع سابق، ص: 208.

2 - المرجع نفسه، ص: 209.

3 - المرجع نفسه، ص: 205.

4 - سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع بيروت/ الدار البيضاء، الطبعة الثالثة 1997، ص: 20.

تتمثل التداوليات تحليل الخطاب على أنه دراسة للعملية الخطابية كتفاعل اجتماعي وتواصل مبنى على خيارات محددة في استعمال اللغة، ومبادئ محددة في التأويل الدلالي التداولي للمفوضات داخل سياق معين تحدده عدة اعتبارات، فهو تحليل يهتم بالعملية التواصلية في كل أبعادها النفسية والاجتماعية والإيديولوجية من خلال الوقوف على الاستعمال القصدي للغة، ورصد جوانبها الإنجازية والاستدلالية<sup>1</sup>، سواء في الاستعمال الحرفي أو الضمني الذي يقتضي استلزما تخاطبيا.

إن التحليل كإجراء تداولي لا يعتمد إطارا نظريا متجانس الأدوات، بل إنه تحليل مركب منفتح على علم النفس، وعلم الاجتماع، ويستمد ثراه من النظريات التداولية التي تغذيه خصوصا نظرية الأفعال الكلامية لأوستين وسيرل، وقواعد التخاطب عند غرايس ونظرية الملاءمة لسبيربر وويلسون ، فضلا عن مختلف التنظيرات في مجال الحجاج.

وإذا كان التحليل التداولي يأخذ أبعادا مركبة تتقاطع فيها عدة نظريات، فإن ذلك ينبع أساسا من تعدد أبعاد تحليل الخطاب، لذلك فالمقاربة الأحادية الإطار المعرفي ستظل قاصرة في الوقوف على أهم الجوانب الخطابية، لأن استحضر الحدود النظرية بشكل صارم سيوجه التحليل إلى جانب دون أخرى أو بالأحرى على حساب الأخرى.

إن التحليل التداولي كفعل مركب بقدر ما ينطوي على مجازفة علمية قد تجرف بالمحلل نحو

<sup>1</sup> - حافظ اسماعيلي علوي، تقديم كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، مرجع سابق، ص: 3.

ضفاف لم يكن يتوقعها، بقدر ما يمكن أن يخلص بالدراسة إلى نتائج فذة وشاملة تراعي جميع الجوانب التي يفتح عليه الخطاب، غير أن تطبيق هذا النوع من التحليل بما يضمن له الانسجام ويبعد عنه التناقض يبقى أمرا صعبا خصوصا مع تعدد الاجتهادات وتباينها في كثير من الأحيان.

ولأن الانسجام والتكامل كانا من بين الهواجس الأساسية لهذا البحث منذ التفكير في موضوعه، فقد حاولنا أن لا نقحم التداولية المعرفية لا في الإطار النظري ولا في التحليل، حتى لا نوجه البحث وجهة نفسية معرفية تبعدنا عن نزعة التخصص.

## المبحث الثاني:

### تحليل الخطاب السياسي

#### 1- الخطاب السياسي، المفهوم والوظائف

##### 1-1- مفهوم السياسة

يرى "محمد عابد الجابري" أن معنى "La Politique"، عند اليونان هو "La Police"، وتعني المدينة، والمقصود بالأولى تسيير المدينة، وقد توفق العرب الأقدمون -في نظره- إذ قابلوا في ترجمتهم للكتب اليونانية بين "La Politique" وبين التدبير، أما الترجمات العربية الحديثة للكتب الأجنبية، فهي لا تكاد تخرج عن مقابلة المصطلح الأجنبي بمصطلح "السياسة"، المشتق من "ساس، يسوس"، بمعنى الترويض<sup>1</sup>.

وإذا تجاوزنا ميدان الترجمة، فإن مصطلح السياسة يأخذ استعمالات شتى، ويوصف به الإنسان والشيء والفعل. ومن ثمة، فهو يأخذ معاني مختلفة تبعا لاستعماله، وقد خلص جان ماري دانكان **J.M.Denquin** في كتابه "**Science Politique**" إلى ثلاثة استعمالات أساس لكلمة سياسة، وهي:

❖ سياسة بمعنى إدارة: ويتحقق هذا المعنى حينما تُضاف الكلمة إلى اسم موضوع

كسياسة النقل، وسياسة التعليم...، وتعني هنا مجموعة من الأهداف المحددة

<sup>1</sup> - محمد عابد الجابري، "الإصلاح السياسي"، المجلة المغربية لعلم السياسة، ع 1 نونبر 2010، ص ص : 7- 8 .

والوسائل المستخدمة في هذا الميدان مع الأخذ بالحسبان الإمكانيات التي يعرضها والإكراهات التي يفرضها<sup>1</sup>.

❖ سياسة بمعنى إستراتيجيات: وغالبا ما يتعلق هذا الاستعمال بشخص أو مجموعة من الأشخاص، حيث نقول: "سياسة حزب" و"سياسة حكومة"، أما جوهر هذا الاستعمال فيمكن في الإرادة الذاتية التي تتمتع بها هذه المجموعة من الأشخاص، ذلك أنهم يسيطرون الأهداف التي يرمون إليها، فينتقون أنسب الطرق والوسائل التي يمكن أن توصلهم إلى الهدف، فالنقابة مثلا قد ترغب في توسيع نفوذها لدى العاملين، فترفع من مطالبها وتدعو إلى إضرابات كثيرة عن العمل<sup>2</sup>.

❖ السياسة بمعنى شامل، فهي ليست سياسة هذا أو ذاك، وإنما السياسة بشكل مطلق، وتستعمل بهذا الشكل للدلالة على معنى قرحي على سبيل التحقير والتبخيس، فحينما نقول "هذا من قبيل السياسة"، فلا شك أن العبارة لا تحمل قيما موجبة تدل على الخير<sup>3</sup>.

إن مصطلح "السياسة" فعل تتقاسمه أبعاد معرفية متعددة، ويأخذ أشكالا وتجليات متباينة في الزمان والمكان وبين الأشخاص، وبهذا فهو مفهوم صعب الحصر، غير أن النواة الدلالية فيه تبقى هي تكريس السلطة، فالسياسة فعل اجتماعي يعبر عن علاقة قوة بين طرفين

<sup>1</sup> - جان ماري دانكان، علم السياسة، ترجمة محمد عرب صاصيلا، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت، دط، 1997، ص: 26.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 28.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص: 29.

يمارس أحدهما على الآخر نوعا من السلطة"<sup>1</sup>.

ودفعا لمزيد من الالتباس، فليس المقصود بمصطلح "السياسة" - الذي قرينا مفهومه - ما يطلق عليه "علم السياسة"، ذلك أن هذا الأخير يشير إلى علم ظهر حديثا مع تقدم العلوم، وهو علم يبحث في السياسة كممارسة، أي في ماهية السلطة وفي تجلياتها وآثارها منطلقا من الدولة كتعبير عن القوة الجماعية للمجتمع المنظم، كما يبحث في سلوك القائمين بالعمل السياسي وفي تجليات ممارستهم للسياسة، ومن أبرز هذه التجليات ما يُعرف بالخطاب السياسي.

## 1-2- مفهوم الخطاب السياسي

من التعريفات التي تقرب مفهوم الخطاب السياسي أنه يتمحور حول "كل ما يتضمن حكما على تنظيم المجتمع"<sup>2</sup>، ورغم أن هذا التحديد يعكس السمة المميزة للخطاب السياسي من حيث الموضوع بما قد يميزه عن خطابات أخرى كالخطاب التربوي أو الإشهاري، إلا أنه يبقى واسعا وملتبسا، فهو لا يحصر الخطاب السياسي في الخطاب الصادر عن أشخاص أو مؤسسات أو كتل سياسية تمارس السياسية بشكل رسمي ومهني، وإنما يستوعب أيضا كل خطاب يتناول الشأن العام بما في ذلك نقاشات الناس العاديين وآرائهم حول مختلف القضايا

<sup>1</sup> - عبد الرحيم العماري، نسق التواصل السياسي بالمغرب المعاصر، منشورات زاوية الفن للثقافة، مطبعة دار القرويين بالدار البيضاء، الطبعة الأولى 2005، ص: 40

<sup>2</sup> - Ruth Amossy et Roselyne Koren, "Argumentation et discours politique", Mots. Les langages du politique, N° 94 novembre 2010, p : 14.

المتعلقة بتدبير شؤون المجتمع.

وبشكل أكثر تحديدا يعرف كريستيان لوبار **Christian Le Bart** الخطاب السياسي بأنه الخطاب "الذي يتخذه السياسيون في ممارسة مهامهم"<sup>1</sup>، ويسود هذا التعريف بين كثير من الباحثين الآخرين كما ترى روث إموسي **Ruth Amossy** نظرا لكونه مركزا إذا ما قارناه بالتعريف الأول الفضايف نوعا ما<sup>2</sup>.

وإن شئنا أن نتناول تعريف لوبار بنوع من التفصيل فإن الخطاب السياسي هو ما ينتجه تحديدا الفاعلون السياسيون سواء متمكنين من مقاليد السلطة أو ساعين إليها، حيث يمثل الخطاب السياسي مظهرا من مظاهر ممارسة السياسة، وهو تصور لا يختلف عن السائد في العلوم السياسية، حيث يُنظر إلى الخطاب السياسي في المقام الأول على أنه شكل من أشكال العمل السياسي وكجزء من العملية السياسية<sup>3</sup>.

وإذا كانت السمة المميزة للخطاب السياسي أنه شكل من أشكال العمل السياسي فإن رهانه في المقام الأول، كما يؤكد ذلك رودولف غيغليون **Rodolphe Ghiglione** هو "التأثير

<sup>1</sup> – Christian Le Bart, , Le discours politique op cit, p:7.

<sup>2</sup>– Ruth Amossy et Roselyne Koren, "Argumentation et discours politique", op cit, p : 14 .

<sup>3</sup> – Teun A. van Dijk, "What is Political Discourse Analysis?", In Political Linguistics, Edited by Jan Blommaert and Chris Bulcaen, Belgian Journal of Linguistics, Volume 11 Issue 1, Jan 1997, p: 20.

في الآخر من أجل دفعه للفعل وحثه على التفكير ودفعه إلى الاعتقاد"<sup>1</sup>.

وإذا كان من غير الممكن حصر موضوعات الخطاب السياسي نظرا لامتداد السياسة إلى كل أشكال وتجليات تدبير الشأن المجتمعي، مع ما ينطوي عليه ذلك من الرغبة في الوصول إلى السلطة أو الحفاظ عليها، فإن ما يميز الخطاب السياسي حسب فان ديك هو أنه خطاب إنعكاسي " reflexive "؛ أي أن الظرفية السياسية هي ما يستدعي الفاعل السياسي لتناول مواضيع محددة دون غيرها، ففي الحملات الانتخابية مثلا يكون السياسيون مدعويين للحديث عن أنفسهم كمرشحين يستحقون كسب الثقة، وعن التدبير السياسي السيئ لخصومهم، وسياسات الرؤساء السابقين وما يقتضيه الوضع من تغييرات"<sup>2</sup>.

ويمكن إجمالاً تقريب مفهوم الخطاب السياسي بالقول، بأنه ممارسة خطابية تقوم بها النخبة المتمكنة من السلطة أو الساعية إليها حول موضوعات ذات صلة بتدبير شؤون المجتمع يفرضها سياق معين، من أجل خلق رأي مشترك حول قضية أو قضايا معينة، وفق إستراتيجيات محددة في خضم الصراع والتنافس الدائر حول السلطة.

<sup>1</sup> - سعيد أراق، "الخطاب السياسي المفعلات الخطابية وكرطوغرافيا المواقع"، ضمن كتاب قراءات في الخطاب السياسي، إعداد محمد خطابي ولحسن بوتكلاي (مختبر اللغة والمجتمع والخطاب)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن زهر أكادير، الطبعة الأولى، 2016، ص: 169.

<sup>2</sup> - Teun A. van Dijk, "What is Political Discourse Analysis?", op cit, p : 25.

### 1-3- وظائف الخطاب السياسي

هل يمكن في ظل تنوع أشكال الخطاب السياسي سواء من حيث الإنتاج أو طبيعة التواصل الحديث عن وظائف محددة؟

الحقيقة أن تنوع أشكال الخطاب وتباين أهدافها وطبيعتها في التواصل يفضي بالبديهة إلى أن لكل شكل من أشكال الخطاب السياسي وظائف معينة ترتبط بالخصائص المحددة، بيد أن هذا لا ينفي أن مختلف أنماط الخطاب السياسي تتقاسم مجموعة من الخصائص المشتركة التي تسمح بالحديث عن جنس خطابي يتميز عن الخطاب الإشهاري والخطاب الأدبي إلخ، ويستوعب من الخارج مختلف الأشكال الخطابية في الممارسة السياسية.

على هذا الأساس حدد ألكسندر دورنا **Alexandre Dorna** وظائف الخطاب السياسي من منظور شمولي<sup>1</sup>:

#### - وظيفة البناء (أو الهيكلية): **Fonction structurante**

إذا كان أحد أوجه السياسة هو تدبير شؤون المجتمع عن طريق سلطة شرعية أو يُفترض

<sup>1</sup> - أشار دورنا إلى الوظائف الأربعة الأولى في مقال صادر سنة 1995، لكنه في مقال آخر صادر سنة 2007 يفتن إلى اضطلاع الخطاب السياسي بوظائف أخرى كالوظيفة الإقناعية، والدعائية، والتعريفية، والاحتمالية. أنظر المقالين على التوالي:

- Alexandre Dorna, "Les effets langagiers du discours politique", Hermès, La Revue 2/1995 (n° 16), pp :131-146.

- Alexandre Dorna, "Pistes pour une étude contextuelle du discours politique populiste", Bulletin de psychologie /62007 (Numéro 492), p:593-600.

أنها كذلك، فإن الخطاب السياسي هو بمثابة "الإسمنت للنظام السياسي، فهو شرط ضروري لوجود السياسة، وبدون خطاب لا توجد سياسة"<sup>1</sup>، فالسياسة كنظام تفكير وتدبير يروم إعطاء التنظيم الاجتماعي شكلا ما تحتاج بالضرورة إلى النشاط الخطابي الذي يلعب دور الوسيط بين الفاعلين السياسيين والمجتمع، وفي هذا يسهم الخطاب السياسي في صناعة وبناء الفكر السياسي.

### - وظيفة التوجيه: Fonction décisionnelle

إن جوهر الممارسة السياسية هو بالأساس اتخاذ قرارات إزاء التحديات التي تفرض نفسها في المجتمع، فالسلطة التي فوضها المواطنون تدبير شؤونهم ورعاية مصالحهم مطالبة في كل حين باتخاذ قرارات كفيلة بذلك، واتخاذ قرار دون الآخر يقضي من السلطة إشاعة القرار وأحيانا إقناع المواطنين بأهميته عن طريق الخطاب السياسي<sup>2</sup>.

### - وظيفة بيداغوجية: Fonction pédagogique

هذه الوظيفة هي نتيجة للوظيفتين السابقتين، فالخطاب السياسي كفعل تواصلية تتحكم فيه السلطة السياسية يضطلع بوظيفة معرفية تكوينية تؤسس لروح المجتمع السياسي عن طريق

<sup>1</sup> – Alexandre Dorna, "Les effets langagiers du discours politique", op cit, pp:132– 133.

<sup>2</sup> – Ibid, p:133.

تحديد مواصفات الفرد بالنظر إلى ما يقتضيه العيش المشترك<sup>1</sup>. فالمعرفة والمعلومات التي يقدمها الخطاب ليست عفوية، وإنما يتوارى خلفها فعل تعليمي يوجه أفراد المجتمع إلى نمط عيش معين قد يكون أرضية ضامنة لاستمرارية النظام السياسي، مثلما قد يكون أرضية ممهدة للتغيير.

### - وظيفة علاجية: Fonction Thérapeutique

في الكتل السياسية كالأحزاب يلعب الخطاب السياسي دورا محوريا في إعادة الشعور الجماعي بالتوازن إزاء كل شرح، فمن خلال الخطاب تتم معالجة العلاقات بين مختلف الفاعلين، إنه يسهم إلى حد بعيد في تحقيق التماسك الرمزي للكتلة الإيديولوجية بما في ذلك الأفراد المتعاطفين. وبشكل عام، فالخطاب السياسي وسيلة السلطة في معالجة التشنجات مع المجتمع، فهو بمثابة ترياق يقاوم "الجزع من خلال تحيين (أو تجديد) renouvellement اليقين المفترض"<sup>2</sup>.

### - وظيفة بلاغية إقناعية: Fonction rhétorico-persuative

إن الطبيعة الاحتمالية لجدوى المقترحات التي يقدمها السياسي تقتضي في إطار تدبير الخلاف إقناع الآخرين بما يسوغ أن هذا القرار أجدى من قرار آخر، والفاعل السياسي في

<sup>1</sup> – Alexandre Dorna, "Pistes pour une étude contextuelle du discours politique populiste", op.cit, p:596.

<sup>2</sup>– Alexandre Dorna, "Les effets langagiers du discours politique", op.cit, p:133.

ترشحه لمنصب أو سعيه للحفاظ عليه ينبغي له أن يقنع الناخبين بما يجعلهم ينضمون لصفه.

### - وظيفة الدعاية (التلاعب)<sup>1</sup>: Fonction de propagande

يقتضي البحث عن الشرعية أو تعزيزها في كل ممارسة سياسية أن يكون مدعما بنشر أفكار تتسجم مع الغاية، والخطاب السياسي باعتباره نافذة للتواصل مع الآخر، هو سبيل الفاعل السياسي إلى تعديل الرأي العام ومهاجمة الخصوم<sup>2</sup>، بل وحتى جس نبض المجتمع بنشر الإشاعات لمعرفة ردود الأفعال الممكنة، ومن ثم اتخاذ القرار المناسب.

### - وظيفة تعريفية (هوياتية): Fonction identificatoire

يمثل الخطاب السياسي عادة بطاقة هوية تعكس إيديولوجية معينة تمثل خلفية مشتركة بالنسبة لجماعة ما أو حتى حضارة<sup>3</sup>، ويظهر ذلك بشكل جلي في المشهد الحزبي، حيث اختيار الكلمات واستعمالها لا تحكمه فحسب قيود دلالية سياقية، وإنما أيضا اعتبارات إيديولوجية، ومع أن الخطابات التي تمثل الدولة ومؤسساتها تتأى عادة عن تمثيل إيديولوجية معينة في ظل تعدد مرجعيات وتباين الإيديولوجيات، فإن انتماءها (الدولة) أو على الأقل

<sup>1</sup> - يستعصي إيجاد مقابل عربي يعكس كل المعاني التي يتضمنها المصطلح الأجنبي "propagande"، فهو يتضمن أيضا معنى التلاعب والتضليل والتعبئة بمعناها السلبي عن طريق إشاعة الأخبار والمعلومات.

<sup>2</sup> - Alexandre Dorna, "Pistes pour une étude contextuelle du discours politique populiste", op.cit, p:596.

<sup>3</sup> - Ibid, p :596.

تأثرها بتيار معين قد يعلن عن نفسه من خلال الوجهة التي تأخذها المقترحات والآراء وكذا الشحنة الدلالية للكلمات.

## - وظيفة استشرافية: Fonction prospective

الخطاب السياسي بالإضافة إلى الذي ذكرناه هو بناء لافتراضات، فانطلاقاً من رؤية احتمالية معينة للمستقبل تقدر القرارات التي ينبغي اتخاذها في الحاضر<sup>1</sup>.

## 2- تحليل الخطاب السياسي في الدراسات الغربية والدراسات العربية

### 2-1- تحليل الخطاب السياسي في الدراسات الغربية

تمثل دراسة الخطاب السياسي نقطة التقاء لعديد من العلوم كالفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي والعلوم السياسية.... الخ، ولئن كانت فلسفة السياسة والعلوم السياسية أكثر الحقول المعرفية التي تلتبس بتحليل الخطاب بحكم الاهتمام المشترك بدراسة الخطاب السياسي، فإنهما تختلفان عما يُطلق عليه في الدراسات الأكاديمية "تحليل الخطاب السياسي"، فالأولى وهي تهتم بالتساؤل حول أسس التفكير السياسي وحول أفضل نظام للحكم يمكن أن يضمن لأفراد المجتمع العيش في حياة عادلة وأخلاقية<sup>2</sup>، يمكن أن يمتد إلى الخطاب السياسي باعتباره نمطاً للتفكير يثوي خلفه نظاماً للحكم. أما علم السياسة، فيتناول

<sup>1</sup> – Alexandre Dorna, "Pistes pour une étude contextuelle du discours politique populiste", op.cit, p:596.

<sup>2</sup> – Patrick Charaudeau, le discours politique, les masques du pouvoir, op.cit, pp: 24–25.

الخطاب السياسي "باعتباره شكلا من أشكال العمل السياسي وكجزء من العملية السياسية"<sup>1</sup> أي أنه مندمج في التدبير الكلي للممارسة السياسية باعتبارها سيرورة تأثير اجتماعي.

تحليل الخطاب السياسي خلافا لذلك، لا يهتم بأسس التفكير السياسي ولا بأشكال تدبير الممارسة السياسية، بل يتناول الخطاب من حيث صياغته وأدائه ومعقوليته في التفاعل مع الوقائع، فضلا عن الاهتمام بفعالية الخطاب و"كيف ينجز وظائفه التي ترتبط غالبا بالحصول على السلطة وإضفاء الشرعية عليها والاحتفاظ بها، ويتضمن تحليل الخطاب السياسي تحليل بنائه اللغوي والسيميوطيقي وأدائه وتوزيعه وتلقيه وتأثيره، والاستجابة له"<sup>2</sup>.

تقترن بدايات تحليل الخطاب السياسي كما يرى شارودو بفرنسا انطلاقا من المادية التاريخية (Matérialisme Historique)، ونظرية الإيديولوجيات (Théorie des idéologies)، كما تناولها ألتوسير **Althusser**، ثم بعد ذلك اعتمادا على العمل النقدي الذي قدمه ميشيل فوكو **M. Foucault**<sup>3</sup>، غير أن الاهتمام الواسع الذي شهدته تحليل الخطاب السياسي في مختلف البلدان الغربية وخصوصا في الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا وإنجلترا، ساهم الى حد بعيد في تطويره وإثراء مناهجه، بدءا من التحليل المعجمي الذي يعتمد منهج المعالجة الإحصائية للمتن، لتحديد الأبعاد الدلالية ومواقف المتكلمين، مروراً

<sup>1</sup> – Teun A. van Dijk, "What is Political Discourse Analysis?", op.cit, p:20.

<sup>2</sup> – عماد عبد اللطيف، "تحليل الخطاب السياسي في العالم العربي، التاريخ والمناهج والآفاق"، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، العدد السادس 2015، ص:111.

<sup>3</sup> – Patrick Charaudeau, le discours politique, les masques du pouvoir, op.cit, p:28.

بالتحليل التداولي الذي يهتم بالسلوك الخطابى للفاعلين في الحياة السياسية، ومن ثمة بمواقفهم الإيديولوجية، ثم التحليل الحجاجي الذي يهتم بالبعد الاستدلالي في المواقف، وصولاً الى التحليل النقدي الذي طوره **فان ديك** على غرار ما قدمته المدرسة الماركسية الجديدة من **أدورنو Adorno** إلى **هابرماس Habermas**، ومدرسة شيكاغو، والسوسيولسانيات الإنجليزية مع **بيرستين Berstein** و**هاليداي Halliday**، ومدرسة تحليل الخطاب الفرنسية تحت تأثير **فوكو** و**بيشو Pêcheux**، وكذا فكر **كرامشي Gramsci** في إيطاليا<sup>1</sup>.

والحقيقة أنه باستثناء مقارنة التحليل المعجمي، تظل باقي المقاربات متداخلة ومتشابكة لدرجة يصعب فيها الالتزام بحدود مقارنة معينة دون اقتحام حدود أخرى بشكل أو بآخر، فالتحليل التداولي والتحليل الحجاجي شديداً التعلق والارتباط، فلئن كان الحجاج من اهتمامات البلاغة، فإنه يقع أيضاً في صلب اهتمامات التداوليات.

أما التحليل النقدي للخطاب فهو وإن كان يتجه تحديداً الى دراسة العلاقة بين الخطاب السياسي والسلطة، أو مظهرات السلطة في الخطاب السياسي، فإنه يستعير أدوات حقول معرفية كثيرة في دراسة اللغة والخطاب، ومنها التحليل التداولي والتحليل البلاغي. وحيث إن التحليل النقدي للخطاب يشتغل في حيز أكبر يتجاوز الخطاب السياسي إلى مختلف تجليات السلطة في المجتمع سواء في السياسة أو في التعليم.... الخ، فإنه قد يغلب الأدوات النظرية لمقاربة معينة تبعا لأهداف الدراسة وطبيعة الموضوع وأرضية البحث واهتمامات الباحث

<sup>1</sup> – Patrick Charaudeau, le discours politique, les masques du pouvoir, op.cit, pp :28-29.

ومؤهلاته، وغيرها من العوامل المتغيرة في سياق البحث.<sup>1</sup>

هناك من ناحية أخرى مقاربات ذات توجهات مختلفة في تحليل الخطاب السياسي، البعض منها ينهل من نظريات علم التواصل، وهو ما تجسده الدراسات التي تناولت التواصل السياسي، وبعضها يمتح من اللسانيات الاجتماعية التي تدرس الخطابات من حيث التنويعات اللسانية في علاقتها بالتنوع الاجتماعي تبعا لاجتهادات غمبرز في إثنوغرافيا التواصل، ومنها ما يهتم بتفاعل أطراف الخطاب كتجسيد لأدوار اجتماعية، وهو تحليل يستلهم بالأساس نظرية "الأدوار الاجتماعية" لـغوفمان، فضلا عن تحليل الخطاب السياسي باستثمار أدوات المنهج التاريخي، حيث التحليل يتوجه للتأريخ للأحداث والأفكار والقيم التي همت زمتا تاريخيا محددًا .

## 2-2- تحليل الخطاب السياسي في الدراسات العربية

تتعدد مناهج تحليل الخطاب السياسي وتتداخل في الدراسات العربية كما هو الأمر في الدراسات الغربية، وذلك أمر طبيعي بحكم عدم تزايد الاهتمام بتحليل الخطاب السياسي في الوطن العربي إلا بعد أن تطورت دراسته في الغرب واستقطبت اهتمام الباحثين العرب. ولذلك فليس من الغريب أن نجد تنوعا في المقاربات العربية التي تناولت الخطاب السياسي بالتحليل، وإن كانت أقل تنوعا ووفرة مقارنة بما هو عليه الحال في الدراسات الغربية.

<sup>1</sup> - توين فان دايك، الخطاب والسلطة، ترجمة غيداء العلي ومراجعة وتقديم عماد عبد اللطيف، المركز القومي للترجمة القاهرة، العدد 2419، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى سنة 2014، ص ص: 31-32.

في مقال بعنوان "تحليل الخطاب السياسي في العالم العربي التاريخ والمناهج والآفاق" استعرض **عماد عبد اللطيف** سبع مقاربات استثمرت في تحليل الخطاب السياسي في الوطن العربي بالنظر إلى تباين مرجعياتها المعرفية، وتتمثل هذه المقاربات في: المقاربة البلاغية والمقاربة التواصلية ومقاربة اللسانيات الاجتماعية ومقاربة التحليل النقدي ومقاربة المعجميات السياسية والمقاربة التداولية والمقاربة التاريخية<sup>1</sup>.

وفي ذلك أكد الباحث أنه على الرغم من أهمية المقاربة التداولية للخطاب السياسي، فإن القليل من الأبحاث هو ما أنجز في هذا الشأن<sup>2</sup>، والواقع أننا حينما نقارن النشاط المكثف للباحثين الغربيين في تحليل الخطاب السياسي عموماً مع المحصلة العربية ندرك النقص الحاصل في هذا المجال كما ونوعاً.

<sup>1</sup> - عماد عبد اللطيف، "تحليل الخطاب السياسي في العالم العربي"، مرجع سابق، ص: 119-123.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 122.

## الفصل الثاني:

### الخطاب السياسي الصادر عن

### السلطة:

### مرتكزات التأثير وإستراتيجيات

### التطوع الجماهيري

## المبحث الأول :

### المرتكزات العامة للتأثير وتطويع الجماهير في الخطاب السياسي الصادر عن السلطة

#### 1- الخطاب السياسي بين سلطة الخطاب وخطاب السلطة

##### 1-1-الخطاب السياسي كمظهر للسلطة

يقترن مفهوم السلطة في التداول الاجتماعي بمعنى المسؤولية الأهلية لاتخاذ القرار، كما يفيد أيضا التحكم والسيطرة، وهو ما يكاد يطابق الدلالات التي يقترن بها المصطلح "سلطة" Pouvoir في مجال الفلسفة حيث يفيد القوة والسيطرة<sup>1</sup>، ولا يختلف الأمر في مجال الدراسات المهمة بتحليل الخطاب، حيث عادة ما يستعمل الدارسون مصطلح السيطرة أو التحكم أو الهيمنة كمرادف للسلطة، يقول **فان ديك**: "إن السلطة تعرف وفقا لقدرتها على السيطرة"<sup>2</sup>، حيث مدارها "التحكم في أفعال الآخرين وتصرفاتهم"<sup>3</sup>.

وعلى هذا الأساس، فمفهوم السلطة يمكن أن يأخذ تجليات شتى في المجتمع، ولنقل بشكل أوضح إن السلطة ظاهرة اجتماعية مبنوثة في كل مظاهر التجمع الإنساني بدءا من أبسط هذه التجمعات كالبيت والمدرسة والقبيلة والإدارة إلى أوسعها كالدولة، بحكم أن هذه

1 - أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، عويدات للنشر والطباعة بيروت لبنان، دط 2008، المجلد الثاني، ص: 1011.

2 - توين فان ديك، الخطاب والسلطة، مرجع سابق، ص: 145.

3 - المرجع نفسه، ص: 44.

التجمعات قائمة وإن بصور مختلفة، على تحكّم القائد في الجماعة وتحمله لمسؤولية القيادة مقابل خضوع أفراد الجماعة.

وإذا كان ما يهمننا في هذه النقطة من البحث هو السلطة التي يقوم عليها الخطاب السياسي ويستمد منها مشروعية السيطرة ليتحول إلى فعل لممارسة التحكّم والتوجيه عن طريق احتواء المخاطب وحثه على الطاعة تجنباً لكل أشكال الفوضى الممكنة<sup>1</sup>، فإنه يجب التفريق بين الخطاب السياسي باعتباره وجهاً للسلطة التي يصدر منها بقوة القانون والأعراف، وبين سلطة الخطاب السياسي في حد ذاته باعتباره حدثاً توصلياً يهيمن فيه المتكلم على فعل الإرسال، فتصير معه اللغة وسيلة للسيطرة. وتعبير آخر، يجب التفريق بين خطاب السلطة السياسية وسلطة الخطاب السياسي، لأنّ العنصر الثاني جزء من الأول، حيث ينتمي توظيف اللغة والخطاب والتفاعل اللفظي والتواصل إلى المستوى الجزئي للتحليل في حين تنتمي السلطة إلى المستوى الكلي<sup>2</sup>.

وعلى ضوء ذلك، فإن مرمى النقاش الذي نستهدفه هاهنا، إنما هو الخطاب السياسي باعتباره خطاباً للسلطة، على أن نرجئ الحديث عن سلطة الخطاب السياسي إلى المبحث الموالي.

<sup>1</sup> - عبد العزيز العيادي، مشيل فوكو المعرفة والسلطة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت، الطبعة الأولى 1994، ص: 47.

<sup>2</sup> - توين فان ديك، الخطاب والسلطة، مرجع سابق، ص: 194.

لقد ذهب فوكو إلى أن السلطة عبارة عن علاقة قوى وأن كل علاقة قوى هي بالضرورة علاقة سلطة<sup>1</sup>، وهو ما يعني أن السلطة لا تنحصر في ثنائية دولة/ شعب، وإنما تشمل كل مظاهر الحياة الاجتماعية، وإذا أمكن أن نسقط هذا التعريف على مجال السياسة، فإنه يمكننا أن نقول إن السلطة السياسية عبارة عن علاقة مبنية على عدم التوازن بين طرف قوي يستمد سيطرته من مؤسسة أو تنظيم أو ثروة ومكانة اجتماعية، أو يستند إلى شرعية، وطرف آخر في الجهة المقابلة أدنى قوة ليس له إلا الخضوع والطاعة.

إن السلطة في جوهرها فعل قوة، وحين يقترن بالسياسة يغدو مرتبطاً في المقام الأول بالدولة بمختلف تنظيماتها السياسية التي تمارس النفوذ تبعاً لسلطتها، حيث تتحكم في شؤون المجتمع وتحتويه على نحو يجعل أفرادهم يشعرون بمشروعية ما يُمارس في حقهم ما دام يدخل في دائرة القيادة.

وحين نقول إن السلطة السياسية فعل قوة، فلا نعني أنه إكراه بمعناه المادي العنيف، رغم أن هنالك حالات يتخذ فيها فعل القوة هذا المظهر على نحو مستساغ، بل نعني قدرة السلطة السياسية على صرف اهتمامات الناس وتحديد أولوياتهم.

ورغم أن ماكس ويبر Max Weber ذهب إلى أن "العنف هو الوسيلة الطبيعية لممارسة

<sup>1</sup> - عيسى عودة برهومة، "تمثيلات اللغة في الخطاب السياسي"، مجلة عالم الفكر، المجلد 36، العدد 1 يوليو سبتمبر 2007، ص: 130.

السلطة"<sup>1</sup>، فإنه يعتبر الإكراه الذي تمارسه السلطة إكراها شرعيا، لأنه يستمد شرعيته من رضى وقبول من تمارس عليهم السلطة نظير ما تقدمه أو ستقدمه من خدمات<sup>2</sup>.

ولذلك، فمهما تكن "السلطة السياسية أشد انجذابا من غيرها إلى تغليب طابع القيادة على طابع الخدمة، وإلى توكيد مصلحة القائد قبل مصلحة المنقاد"<sup>3</sup>، فالسلطة عادة ما تكون مقرونة بالخدمة، وإلا فإن فعل القوة سيصير قهرا، فإذا كان يجب على أفراد الشعب الخضوع لسلطة الدولة وطاعتها، فإن ذلك يستوجب خدمتها له بالسهر على أمنه وتأمين حقوق الأفراد.

## 1-2- الخطاب السياسي وسلطة اللغة

لابد في المقام الأول التمييز بين اللغة باعتبارها نظاما لسانيا يتحدد بقواعده التي لا يمكن للمتكلم خرقها في تأدية الخطاب، حيث يمارس كل لسان على متكلمه قوة يخضع بموجبها إلى احترام قواعد البناء الصرفي والتأليف التركيبي للوحدات المعجمية، وبين اللغة باعتبارها قوة تتماهى مع الفعل التأثيري الذي تمارسه في الخطاب الذي يسعى إلى حمل المخاطب على اعتقاد ما أو دفعه للقيام بفعل ما.

<sup>1</sup> - عبد العزيز العيادي، مشيل فوكو المعرفة والسلطة، مرجع سابق، ص: 44.

<sup>2</sup> - رعد عبد الجليل، "مفهوم السلطة السياسية مساهمة في دراسة النظرية السياسية"، مجلة دراسات دولية، مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية، جامعة بغداد، العدد 37، سنة 2008، ص: 123. وانظر أيضا: عبد العزيز العيادي، مشيل فوكو المعرفة والسلطة، مرجع سابق، ص: 44.

<sup>3</sup> - ناصيف نصار، منطق السلطة مدخل إلى فلسفة الأمر، دار أمواج للنشر والتوزيع بيروت، الطبعة الثانية 2001، ص: 116.

وتبعاً لذلك، فليس مسعانا هو مناقشة النظام الداخلي للسان لأن ذلك يبتعد عن مسار البحث، وإنما سنتخذ وجهتنا مناقشة الجانب الثاني بحكم تعلقه بالاستعمال الاجتماعي للغة وقدرتها على التأثير.

تتعلق هذه الوجهة من اعتبار اللغة سلطة خطابية، إذ "يكفي أن نتكلم أو نعبر وأن نستعمل كلمات حتى نكتشف في هذا الفعل قوة"<sup>1</sup> تتبع من معاني الوحدات المعجمية نفسها، قبل أن تسير طيعة منقادة حيث يوجهها الفعل الخطابي، ليزيد من قوتها أو يكبح جماحها بما يتماشى مع المقام.

لقد مثلت الخطابة منذ عهد اليونان مطمحا لكل من تستهويهم السلطة، بل صارت مع السفسطائيين صنعة لا يؤتى إتقانها دون تعلم وتدريب على التحكم في اللغة وحسن اختيار الحجج وترتيبها<sup>2</sup>.

وإذا كان أفلاطون قد شن حرباً شعواء على الخطابة بالنظر إلى أنها فعل تطويع يقوم على التضليل والاستهواء مادامت لا تتأسس على إقناع برهاني مبني على قضايا يقينية، فإن

<sup>1</sup> - الزاوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، مرجع سابق، ص: 142.

<sup>2</sup> - يقول رولان بارت وهو بصدد تأصيله للخطابة عند السفسطائيين قبل الميلاد بحوالي 485 سنة: "هذه الفصاحة المتضمنة في أن معا للديمقراطية والديماغوجية وللقضائي والسياسي (ما سُمي بعد ذلك بالمشوري) سرعان ما أصبحت موضوعاً للتدريس، وكان أول أساتذة هذه المادة الجديدة أمباد قليس الأغرجنتي Empedocle d'agrigente وكواركس Corax تلميذه في سيراكوزة (وأول من أخذ أجره مقابل دروس) وتيسياس Tisias، وانتقل هذا التدريس بالسرعة ذاتها إلى أتينا...". أنظر : رولان بارت، البلاغة القديمة، ترجمة وتقديم عبد الكبير الشرقاوي، نشر الفنك للغة العربية، مطبعة النجاح الجديدة، دط 1994، ص: 38.

أرسطو اعتبر الخطابة بأجناسها الثلاثة؛ الإستشارية والقضائية والاحتفالية مجالا خطابيا لا محيد عنه في المجتمع، حيث "العدل والظلم يلزمان الخطابة القضائية، والجميل والقبيح يلزمان الخطابة الاحتفالية، والخير والشر يلزمان الخطابة الاستشارية في مجلس الحاضرة"<sup>1</sup>.

وتبعاً لذلك حاول أرسطو أن يخلص الخطابة من الصورة المعيبة والمشوهة التي اتخذتها مع السفسطائيين من خلال اهتمامه بضروب التغليب والتبكيث في مختلف أوجه القول الخطابي، وهو ما قاده إلى تحديد المرتكزات النظرية التي ينبغي أن تقوم عليه الخطابة في بعدها الأخلاقي حتى تؤدي وظيفتها النبيلة في المجتمع.

ومهما يكن ما قدمه أرسطو من إسهامات عبقرية تروم تطهير الخطابة من خبثها، فإن اقتران السياسة بالخطابة لطالما لطح صورة هذه الأخيرة، فجعلها تنوء بحمل غير أخلاقي كثيرا ما جعلها تزيغ عن السكة الصحيحة.

إن اللغة في حد ذاتها سلطة، وفي صلب معجمها تسكن معاني الإغراء والتحذير والوعيد، وحينما تتخذ شكلا في الخطاب تزداد قوتها وتكتسب مفعولا سحريا يجعلها "سلاحا من أخطر أنواع الأسلحة النفسية للسيطرة على الأفكار والأشياء، وما أمر الدعاية بالخطب والإعلانات بالأمر الهين، وفي الانتخابات النيابية والمحاكم غالبا ما يكون الجانب الظافر أقدر الجانبين

<sup>1</sup> - محمد الولي، "مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان"، مرجع سابق: 27.

على استخدام سلاح اللغة<sup>1</sup>.

ولذلك، فليس من الغرابة أن نجد الخطاب البليغ يستطيع "أن ينصر الحق، كما يستطيع أن ينصر الباطل بقوة حججه أو براعته بالأقيسة والقضايا الظاهر منها والمضمر"<sup>2</sup>، والأساليب البلاغية التي تجعل المخاطب أسير قوة الخطاب وسلطته.

إن سلطة الخطاب السياسي لا تمتح من السلطة المفوضة للسياسي في تدبير شؤون الشعب فحسب، وإنما هي أيضا سلطة خطابية بلاغية "ولنا أن نتذكر خطبة الحجاج في الكوفة، وكيف خرج الناس بعدها -على الرغم من اختلاف مذاهبهم وتنفر توجهاتهم السياسية- مقهورين خائفين، يشك الواحد منهم في ظله أن يكون رقيقا على ضميره، فهل كان الحجاج سديدا في رأيه مصيبا في قوله، أم كان الحجاج متسلطا من خلال اللغة والبلاغة؟ تلك مسألة يدركها العربي الذي يعرف كيف تتصرف لغته، متى تعد ومتى تتوعد"<sup>3</sup>.

لقد فطن البلاغيون القدماء إلى سلطة الخطاب في قوة بلاغته، يقول أبو حيان التوحيدي في سياق مناظرته لابن عبيد حول جدوى البلاغة مقارنة بالحساب: "فبئسما سولت لك نفسك على البلاغة، هي الجد، وهي الجامعة لثمرات العقل، لأنها تحقق الحق، وتبطل الباطل على

1 - عيسى عودة برهومة، "تمثلات اللغة في الخطاب السياسي"، مرجع سابق، ص: 132.

2 - محمد مندور، الأدب وفنونه، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الخامسة 2006، ص: 154.

3 - حبيب مونسي، "الوجه الآخر للبلاغة العربية، مراجعة في الأسس والمنطلقات مع مصطفى ناصف"، مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب جامعة مولود معمري تيزيوزو، العدد الثامن الخاص بملتقى البلاغة وتحليل الخطاب أيام 11 و 12 و 13 أبريل 2011، ص: 119.

ما يجب أن يكون الأمر عليه، ثم تحقيق الباطل وإبطال الحق لأغراض تأتلف، وأمور لا تخلو أحوال هذه الدنيا منها من خير وشر وإباء وإذعان وعدل وعدول وكفر وإيمان"<sup>1</sup>.

وقد أورد صاحب الصناعتين ما يؤكد سلطة البلاغة وهو يعلق على قول ابن المقفع: "البلاغة كشف عما غمض من الحق، وتصوير الحق في صورة الباطل"، يقول أبو هلال العسكري: "والذي قاله (الضمير يعود على ابن المقفع) أمر صحيح لا يخفى موضع الصواب فيه على أحد من أهل التمييز والتحصيل، وذلك أن الأمر الظاهر الصحيح الثابت المكشوف ينادي على نفسه بالصحة، ولا يحوج إلى التكلف لصحته حتى يوجد المعنى فيه خطيباً. وإنما الشأن في تحسين ما ليس بحسن، وتصحيح ما ليس بصحيح بضرب من الاحتيال والتحيل...، وما أكثر ما يحتاج الكاتب إلى هذا الجنس عند اعتذار من هزيمة، وحاجته إلى تغيير رسم، أو رفع منزلة دنيء له فيه هوى، أو حط منزلة شريف استحق ذلك منه، إلى غير ذلك من عوارض أموره"<sup>2</sup>.

إن قول أبي هلال يكشف الوجه الخفي لسلطان الخطاب المتمثل في سحر البلاغة التي يمكن أن تدلس القيم وتزورها للتصدي للمخالف المناهض عن طريق مراودته والتحايل عليه، غير أن الملفت للنظر هو أن أبا هلال يردف بعد قوله ذاك أن: "أعلى رتب البلاغة أن

<sup>1</sup> - أبو حيان التوحيدي، الامتاع والمؤانسة، صححه وضبط شرح غريبه أحمد أمين وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ج1، ص: 101، والكتاب نفسه اعتنى به وراجعته هيثم خليفة الطعيمي، المكتبة العصرية بيروت، دط 2011، ج1، ص: 85.

<sup>2</sup> - أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد الجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى 1952، ص: 53.

يُحتج للمذموم حتى يخرج في معرض المحمود، وللمحمود حتى يصير في صورة المذموم<sup>1</sup>، وتلك إشارة في تقديرنا لمشروعية التحايل البلاغي، والمثير للدهشة حقا، هو اعتبار ذلك أعلى درجات البلاغة، مما يفتح الباب على مصراعيه أمام كل محتال ليمارس التضليل والكذب تحت قناع بلاغة الخطاب.

لقد انتقد **مصطفى ناصف** هذا الوجه من البلاغة في كتابه "اللغة بين البلاغة والأسلوبية"، غير أن الكتب التي تسير في المسار الذي ذهب فيه **مصطفى ناصف** تبقى قليلة حتى لا نقول نادرة، بحكم أن التوجه العام الذي اتخذته الأبحاث في البلاغة العربية منذ نشأتها استحوذ عليه البعد الامتاعي والجمالي بالدرجة الأولى، حتى وإن كنا لا نستطيع أن نقلل من مكانة البلاغة الإقناعية في جهود بعض الرواد أمثال **الجاحظ** و**إسحاق بن وهب** و**السكاكي**.

ولا يملك القارئ لبعض كتب البلاغة القديمة في ضوء تاريخ تعاقب الحكم في الدولة الإسلامية بعد وفاة **عمر بن الخطاب**، إلا أن يدرك "كيف تكون اللغة طيبة ذلولا في أيدي بعض الناس، بحيث يصرفونها إلى ما يريدونه، وحيث يتاح للرجل السياسي النجاح، لا لأنه يعبأ بمصالح الأمة كما يقال، بل لأنه أوتي ملكات منها ملكات اللغة والبلاغة"<sup>2</sup>.

إن مجال القيم من عدل وخير وحق مجال نسبي، وفي هذا المجال النسبي لا يبدو الحق حقا إلا ما يراه كل إنسان تبعا لمصالحه، ولذلك فقد يكون من العبث اعتبار بلاغة اللغة في

<sup>1</sup> - أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، مرجع سابق، ص: 53.

<sup>2</sup> - مصطفى ناصف، اللغة بين البلاغة والأسلوبية، النادي الأدبي الثقافي جدة، دط 1989، ص: 15.

مجال السياسة سبيلا لإحقاق الحق أو إبطال الباطل، لأن غاية الخطاب في المقام الأول والأخير هي جعل المخاطب يسير وفق ما يريده المتكلم، وإلا كيف نفهم الصراعات السياسية بين الأحزاب والتنافس بين الفاعلين السياسيين على السلطة، ألا يدعي كل طرف أنه على حق وأنه يصبو للخير؟ وإذا كان الجواب بالإثبات، فهل الحق والخير وغيرهما من القيم النبيلة يمكن أن تكون متعددة في الجوهر؟ وإذا أمكن التسليم بإمكانية إحقاق هذه القيم من طرف الفاعلين السياسيين بتجليات مختلفة، ألا يمكن أن نتحدث عن درجات متفاوتة في تجسيد هذه القيم التي يدافع عنها الخطاب السياسي عادة؟ وإذن فالحق في بلاغة الخطاب هو حق من تصور ذاتي، فهو حق خطابي قد لا يماثل بالضرورة ما هو عليه الحال في الواقع.

لقد صار بَدَهِيًّا مع تقدم أبحاث الفلسفة الغربية أن القيم الفاضلة أكبر من أي تجسيد، ولذلك لا يمكن لشخص أن يدعي أن ما يفعله أو يراه صحيح لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وحيث إن الأمر كذلك، فسلطة الخطاب تجد مرتعها في النزعة الانفلاتية لتجسيد هذه القيم، ومن ثم فالتأثير في الناس يحظى به أكثر مَنْ تَخْدُمُهُ بلاغته، ولنا أن نستحضر ما قاله مالك بن دينار عن الحجاج لندرك قوة الخطاب وسلطته، حين قال: "ربما سمعتُ الحجاج يخطب ويذكر ما صنع به أهل العراق و ما صنع بهم، فيقع في نفسي أنهم

يظلمونه، وأنه صادق لبيانه وحسن تخلصه<sup>1</sup>.

## 2- أبعاد التخطيط الإستراتيجي في الخطاب السياسي الجماهيري

### 2-1- مفهوم الإستراتيجية

يختلط مفهوم الإستراتيجية مع عدة مفاهيم أخرى نذكر منها: الخطة، الأسلوب، المنهجية... إلخ. والإستراتيجية كلمة إغريقية قديمة "Strategos"<sup>2</sup>، مشتقة من كلمتين هما "Agien"، وتعني الجيش و"Stratos" وتعني القيادة، أي قيادة الجيش، ويقابل المصطلح الدخيل على العربية مصطلح "Startegie" في الفرنسية، ويعني به "فن تدريب وإعداد الجيش في مسرح العمليات إلى أن يدخل في مواجهة مع العدو"<sup>3</sup>.

ويعتبر هذا المفهوم من المفاهيم التي غادرت حقلها العسكري الذي نشأت فيه إلى حقول معرفية أخرى، وهو الأمر الذي أكسبه معنى عاما، "يفيد كل عمل يتم القيام به بصفة منسقة لبلوغ هدف ما، لذا يتحدث الناس عن إستراتيجية انتخابية، وإستراتيجية سياسية وتعليمية..."<sup>4</sup>.

ومهما كان الاختلاف بين الميادين في استعمال "الإستراتيجية"، فإن المفهوم عموما يحيل على تخطيط يتم إعداده للوصول لهدف ما، وبذلك يمكن تحديد العمل الإستراتيجي من

<sup>1</sup> - مصطفى ناصف، اللغة بين البلاغة والأسلوبية، مرجع سابق، ص: 13- 14.

<sup>2</sup> - محمود حمود، تدريس الأدب، إستراتيجية القراءة والإقراء، منشورات ديداكتيكا، مطبعة النجاح الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1993، ص: 11.

<sup>3</sup> - Alain rey, Le Robert Micro ; Dictionnaire d'apprentissage du français, Le Robert ,Edition 1998, p:1268.

<sup>4</sup> - باتريك شارودو ودومينيك مانغينو، معجم تحليل الخطاب، مرجع سابق، ص: 532.

خلال خاصيتين؛ الأولى أنه فعل ذهني مجرد ، والثانية أنه فعل مادي يروم تحقيق هدف ما.

وعلى غرار العديد من مجالات الحياة الاجتماعية يعتبر التواصل الإنساني مجالا قائما على الفعل الإستراتيجي ، خاصة في مجالات الإشهار والتواصل السياسي، ويمكن تقريب الطبيعة الإستراتيجية في فعل التواصل من خلال ثلاثة محددات<sup>1</sup>:

أ- أنها (الإستراتيجية) فعل راجع إلى ذات فردية أو جماعية تتوسل طريقة معينة في العمليات اللغوية.

ب-أنها فعل ليس له معنى إلا داخل إطار من الإكراهات سواء أكانت قواعد أو معايير أو أعراف.

ج- أنها فعل يقصد غاية من وضعية غير يقينية في تحقيق تلك الغاية.

إن هذه المحددات وإن كانت تطبعها الشمولية في تقريب البعد الإستراتيجي في مجال التواصل، حيث يمكن أن نلمسها في ممارسات تواصلية مختلفة كالإشهار والإعلام والسياسة، فإنها على الأقل يمكن أن تجعلنا نميز بين التواصل كممارسة عفوية لا تتأسس على التخطيط لبلوغ هدف كما هو الشأن في الكثير من حالات التواصل العفوي بين الناس، وبين التواصل باعتباره فعلا واعيا وموجها ينطلق من خلفية اجتماعية في تحديد مضامينه

<sup>1</sup> - باتريك شارودو ودومينيك مانغينو، معجم تحليل الخطاب، مرجع سابق، ص: 533.

وانتقاء طرقه التعبيرية وعدته الحجاجية وتقنياته التأثيرية في أفق تحقيق رهان الإقناع والتأثير الذي يبقى متوقعا بشكل غير يقيني أثناء التخطيط.

وسنحاول في العنوان الموالي أن نخص النظر في الأبعاد الإستراتيجية التخطيطية لفاعل التواصل في الخطاب السياسي الموجه إلى الجمهور.

## 2-2- أبعاد التخطيط الإستراتيجي في الخطاب السياسي الجماهيري

يعد تحديد أرسطو لمراحل الخطابة مدخلا مهما في توضيح الصورة عن الأبعاد الإستراتيجية في الخطاب السياسي الموجه إلى جمهور حاضر فعليا أمام المتكلم السياسي، فرغم أن تحديد أرسطو كان شاملا يستوعب الأجناس الخطابية الثلاثة (المشورية والقضائية والاحتفالية) التي عدها أنواعا للخطابة، فقد ظل الأكثر تأثيرا وتداولاً في حقل السياسة سواء من حيث الإنتاج الخطبي أو التحليل<sup>1</sup>.

وعلى الرغم من أهمية تحديد أرسطو يرى أحد الباحثين في تحليل الخطاب السياسي أن تحديد أرسطو لا يستوعب كإطار نظري كافة الخطابات السياسية في الوقت الحاضر، خصوصا تلك الخطابات السياسية الصادرة عن القادة الكبار في الدولة كالمملوك والرؤساء، والتي تستهدف كافة أفراد الشعب في حدث مشهدي تم تصويره من قبل لبيث في أوقات محددة وظروف اجتماعية محددة، حيث التخطيط لمثل هذه الخطابات لم يعد منحصرا في

<sup>1</sup> - عماد عبد اللطيف، "مبادئ البلاغة كيف نطوع البلاغة الكلاسيكية لدراسة الخطابة المعاصرة؟"، ضمن كتاب، بلاغة الخطاب السياسي، إعداد وتنسيق محمد مشبال، منشورات ضفاف بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2016، ص: 64.

الإنتاج النصي كما هو الأمر في التنظير الأرسطي، وإنما امتد ليشمل السياق والأداء بفضل ما وفره التقدم التكنولوجي من تقنيات الإخراج الصوتي، فضلا عن متابعة تداول الخطاب في وسائط متعددة.

وعلى هذا الأساس، فإننا سنعمد مدخلا موسعا يستثمر اجتهادات أرسطو في التخطيط النصي للخطاب، لكنه يتجاوزه تماشيا مع ما صار ينطوي عليه الحدث الخطابي الراهن من إجراءات أكثر تعقيدا خصوصا حينما تمثل رأس الهرم في السلطة.

يقوم التخطيط الإستراتيجي للتحكم في السلطة بواسطة الخطاب حسب فان ديك على التحكم في ثلاثة عناصر أساسية هي؛ السياق والخطاب والعقلية (أو الجماهير)<sup>1</sup>، وهي عناصر تتاولها فان ديك من منظور كلي في تدبير السلطة التي يعتبر الخطاب السياسي واحدا من تجلياته، كما هو شأن الإعلام والمدرسة وغير ذلك كثير.

وحيث إن الخطاب السياسي هو ما يعنينا من هذا، فإننا سنتناول كيفية التخطيط لرهانات الإقناع والتأثير في الخطاب السياسي الموجه إلى الجمهور عبر التحكم في هذه العناصر الثلاثة، وإن كانت تجليات التحكم والتخطيط تبقى متفاوتة ومختلفة تبعا لنطاق السلطة والنفوذ.

<sup>1</sup> - توين فان ديك، الخطاب والسلطة، مرجع سابق، ص ص: 45 - 48.

## 2-2-1- التحكم في البناء الخطابي

تحدد البلاغة الكلاسيكية في إنتاج الخطاب خمس مراحل أساسية هي: الإيجاد (أو الابتكار)، والترتيب، والعبارة (أو الأسلوب)، والتذكر، والإلقاء. حيث "الابتكار هو إيجاد حجج مقنعة أو مستحسنة تجعل القضية مقنعة، والترتيب هو تنظيم الحجج وتوزيعها (في الخطابة) وتحديد الموضوع الدقيق لكل حجة، أما الأسلوب فهو تكييف الكلمات والجمل مع الحجج المختارة، وإستراتيجيات التذكر هي الاحتفاظ الصارم بالحجج والكلمات والترتيب في الذاكرة، والإلقاء هو الإخراج الأنيق للصوت والتعبيرات والإشارات"<sup>1</sup>. ولنتناول هذه المراحل بقليل من التفصيل.

### - الإيجاد

في التنظير الأرسطي هي مرحلة تتعلق بإيجاد الحجج المناسبة لتحقيق الإقناع، ومدار الحجج ثلاثة أضرب، أولها يتعلق بشخصية المتكلم وأخلاقه ويطلق عليه "الإيتوس"، وثانيها يستهدف تصيير المخاطب في حالة نفسية ما انطلقاً من ميولاته وأحواله ويطلق عليه "الباتوس"، أما الضرب الثالث فهو "اللوغوس"، ويتعلق بالخطاب نفسه، من حيث هو حجاج يخاطب الفكر بغض النظر عن أحوال المتكلم والمخاطب<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - عماد عبد اللطيف، "مبادئ البلاغة كيف نطوع البلاغة الكلاسيكية لدراسة الخطابة المعاصرة؟"، مرجع سابق، ص:65.

<sup>2</sup> - محمد الولي، "مدخل إلى الحجاج، أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان"، مرجع سابق: 27.

إن التخطيط للفاعلية الحجاجية تبعاً لذلك يقتضي شخصاً قادراً على الظهور في صورة القائد الذي يسحر الناس بأخلاقه وصفاته، القادر على إثارة عواطف الناس انطلاقاً من معرفة أحوالهم وحاجياتهم وتوجساتهم في ظل الظروف الاجتماعية، فضلاً عن تمكنه من ضروب القياس وأدوات البلاغة لتحقيق الإقناع، ولما تتوفر هذه الاعتبارات في كل المتكلمين السياسيين. ولتلافي أي تأثير مضاد للخطاب الذي يمثل السلطة، تحوّل الابتكار من عملية تلزم المتكلم بالتفكير في السبل الممكنة للإقناع والتأثير بما يعكس في الغالب تصوره للقضايا وبراعته الحجاجية، إلى عملية تشاركية في الكثير من الأحوال، "ففي إطار الخطابة القديمة، كان الابتكار عملاً يقوم به الخطيب نفسه في الغالب، وفي أحيان قليلة كان يستعين بشخص محترف للقيام بهذا العمل، لكن هذا الاختيار كان محدوداً للغاية لأزمة طويلة. على خلاف ذلك فإن مرحلة الابتكار في الخطابة السياسية المعاصرة أصبحت تنطوي على عمليات وإجراءات شديدة التعقيد، وعادة ما يشترك فريق عمل مختص في إنجاز العمل الذي كان يقوم به الخطيب منفرداً فيما مضى"<sup>1</sup>.

#### - الترتيب

في البلاغة القديمة لا يمكن الحديث عن ترتيب معين لأجزاء الخطبة متفق بشأنه، ويظل ترتيب هياكل النص وموضوعاته وفق ثلاث محطات هي المقدمة والسرود والخاتمة، أحد أهم

<sup>1</sup> - عماد عبد اللطيف، "مبادئ البلاغة كيف نطوع البلاغة الكلاسيكية لدراسة الخطابة المعاصرة؟"، مرجع سابق، ص:66.

الأشكال التي يأخذها الترتيب عادة<sup>1</sup>.

وإذا كان الاختلاف بين البلاغيين في تحديد الترتيب الهيكلي لعناصر الخطاب، فإن ذلك يفسر حقا الطبيعة الصناعية للترتيب في بناء الخطاب، عكس الترتيب الطبيعي الذي نجده عادة في أعمال المؤرخين، لذلك لا يمكن الحديث عن ترتيب معياري في نص الخطاب السياسي.

### - الأسلوب

"هو فن التعبير اللساني"<sup>2</sup> بدءا من اختيار الكلمات المناسبة مرورا بتركيبها في الجمل، وصولا إلى خلق التلاحم النصي بين الفقرات.

هي عملية ليست بالسهلة في الخطاب السياسي وهو يتطلع إلى تجسيد الفعل السياسي كمسؤولية وخدمة للشعب مع ما ينطوي عليه ذلك من دهاء في اختيار الأسلوب المناسب لإخفاء الرغبة في السلطة أو تحقيق المصلحة الذاتية. لذلك فقد لا يكتفي الخطاب السياسي الراهن بما هو متداول من التعابير في المجتمع، بل إنه ينهل من مختلف الأنحاء الثقافية والدينية والموروث الشعبي، وحين لا يجد في الكلمات المفردة ضالته الرمزية فإنه يستطيع أن يخلق تركيبات جديدة على نحو ما نسمع من تعابير؛ ك"القنبلة النظيفة" و"الحرب

<sup>1</sup> - هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة وتقديم وتعليق محمد العمري، أفريقيا الشرق الدار البيضاء، دط 1999، ص:45.

<sup>2</sup> - هنريش بليت، المرجع نفسه، ص: 48.

الناعمة"... إلخ.

## - التذكر

يقوم التذكر في جانب منه على ترتيب أجزاء النص الخطابي، فكلما كان الترتيب محكما كلما كان مدخلا لسرعة استحضار النص. بالنسبة للخطاب السياسي قديما كان التذكر يقوم على قدرة المتكلم على الحفظ والتخزين، مما يتيح له تلقائية تحريك رأسه وعينييه صوب الجمهور و"المتابعة الفورية لتأثير كلامه في الجمهور، ومن ثم يستطيع تغيير نبرة صوته أو (تحيين) ترتيب كلامه، أو إضافة مزيد من وسائل البرهنة والإقناع، إذا شعر أن الجمهور لا يتجاوب مع ما يقوله على نحو جيد"<sup>1</sup>.

أما في الخطاب السياسي الراهن، فقد صار الاستدعاء من الذاكرة أقل تداولاً من ذي قبل، إذ لم يعد يُعتمد في أكثر الأحوال في الخطاب السياسي المسجد للسلطة والموجه إلى كل أطراف الشعب، لأن الكلمات تكون بالغة الحساسية، ويمكن أن يكون للانزلاق عن التخطيط النصي تداعيات عكسية غير مرغوب فيها، بل إن الخروج عن النص بكثرة الاستطرادات يمكن أن يشوش على فعل التأثير والإقناع، ولذلك يتم الالتزام في الغالب بالقراءة. وفعل القراءة عادة ما يأخذ مظهرين؛ الأول هو القراءة من الورق وهو الغالب والمتداول بكثرة، أما الثاني فهو القراءة من جهاز "التيليبرومبتر" **Teleprompters**، الذي يمكن المتكلم

<sup>1</sup> - عماد عبد اللطيف، بلاغة الحرية معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2012، ص:150.

السياسي من القراءة مع الظهور في الوقت نفسه في مظهر المتحدث المرتجل، بفضل بث الجهاز لصورة النص المكتوب على لوحة زجاجية توضع في مستوى العين ولا يراها الجمهور<sup>1</sup>، لأنها تكون منصوبة في معظم الأحيان مع الكاميرات القريبة جدا التي تنقل الخطاب إلى الجمهور عبر الشاشات.

إن القراءة من أجهزة "التيليبرومبتر" يوهم الجمهور بالكفاءة التواصلية للمتكلم السياسي، ولذلك عرف استعمال هذه الأجهزة في الولايات المتحدة الأمريكية موجة غضب بحكم أنها وسائل تخدع الجمهور بالكفاءة الخطابية للفاعل السياسي<sup>2</sup>.

#### - الإلقاء

هي مرحلة الإخراج الصوتي والتحقق الفعلي للخطاب، وطبعا فالمتكلم ينبغي له أن يلتزم في هذه المرحلة بقواعد الإلقاء المعبر من خلال التحكم في مخارج الأصوات وكل ما يتعلق بالنبر والتنغيم، انسجاما مع المضامين التواصلية.

لقد كانت كفاءة الصوت وما يرافق ذلك من تعبيرات لفظية في حركة الجسد والرؤية والوقفة، هي الأساس المحدد لجودة الإلقاء في الخطابة القديمة، غير أن التحديات التي يمكن أن يواجهها الخطيب من عوامل التشويش الطبيعية أو الصناعية كثيرا ما كانت تقف حاجزا أمام

<sup>1</sup> - عماد عبد اللطيف، "مبادئ البلاغة كيف نطوع البلاغة الكلاسيكية لدراسة الخطابة المعاصرة؟"، مرجع سابق، ص: 74-75.

<sup>2</sup> - عماد عبد اللطيف، المرجع نفسه، ص: 75.

ما يمكن أن يضيفه الإلقاء من شحنة إقناعية وتأثيرية في الجمهور الحاضر فعليا أمام المتكلم، خاصة حينما تتجمع حشود كبيرة من الجماهير في فضاء مفتوح<sup>1</sup>.

لكن، مع تقدم وسائل الاتصال وأجهزة البث الصوتي، لم يعد المتكلم السياسي يعتمد بدرجة كبيرة على كفاءته الصوتية، لأنه صار بالإمكان ضبط درجة قوة إسماع الصوت بواسطة المكبرات الصوتية، بل والتحكم فيه أيضا عبر أزرار التصفية والتفخيم<sup>2</sup> والترقيق وتردد الصوت حتى في الفضاءات المفتوحة التي تضم حشود بالآلاف من الجماهير.

## 2-2-2- التحكم في السياق

### - المنفذ

يعتبر المنفذ بمثابة الأصبع الذي يضغط الزناد لتخرج الرصاصة من البندقية، ومفاد هذا التشبيه أن الخطاب السياسي مهما كان مبنيا بإحكام، فإن أمر تنفيذه يعتبر محددًا حاسمًا في تحقيق الإقناع أو التأثير المنتظر، فليست كل الأصابع يمكن أن تضغط الزناد بالكفاءة والسرعة اللازمة، مثلما أن السياسيين لا يمكن أن يحققوا القدر نفسه من التأثير.

إن الأمر لا يتعلق بالفصاحة اللغوية والتمكن من مهارات التواصل اللغوي وغير اللغوي فحسب، فذلك يمكن أن يدرّب عليه المتكلم السياسي، ويأخذ وقته في التحضير أمام المرآة أو الملفنين، بل إن اختيار الشخص المنفذ في الخطاب السياسي الجماهيري يتحدد أيضا

<sup>1</sup> - عماد عبد اللطيف، "مبادئ البلاغة كيف نطوع البلاغة الكلاسيكية لدراسة الخطابة المعاصرة؟"، مرجع سابق، ص: 77.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 78.

بمقتضى كاريزمية الشخص وأخلاقه، ولذلك فليس من الغريب في انتخابات تشكيل الحكومة أن نسمع أن بعض المرشحين في دوائر انتخابية معينة سيلقون خطابات بعيدة عن مدن ترشحهم، فيقطعون مسافات طويلة، ويستقطبون حشودا من الجماهير ربما تنتظر لساعات سماع كلمة الفاعل السياسي باعتباره زعيما.

إن صفة الكاريزمية مسألة أساسية في التخطيط الإستراتيجي لتنفيذ الخطاب، غير أنه حري بنا التفريق بين الكاريزمية المكتسبة، والكاريزمية الشخصية أو الذاتية، فالأولى تستند بالأساس إلى السلطة<sup>1</sup>؛ حيث يلقي المنفذ خطابه باعتباره مجسدا لسلطة شرعية كما هو شأن رؤساء الحكومات والدول والملوك، أما الثانية فذاتية مرتبطة بصفات الشخص ذاته.

وعلى هذا الأساس، فحينما يتعلق الأمر بالخطاب السياسي الجماهيري المستند إلى سلطة، فعملية التنفيذ عادة ما يقوم بها الشخص الممثل لتلك السلطة، وفي الحالات المتعددة القليلة يتم اختيار المنفذ المناسب بناء على التدرج في السلطة كمعيار أول، أو المواصفات الذاتية كمعيار أدنى، أما حينما يتعلق الأمر بالخطابات الجماهيرية الباحثة عن السلطة فالكاريزمية الذاتية تصبح معيارا حاسما في التحديد.

## - الجمهور

من المؤكد أن الفعل الخطابي لا يتحقق إلا بوجود جمهور عيني أو مفترض، وسواء أكان

<sup>1</sup> - Patrick Charaudeau, " Le charisme comme condition du leadership politique ", Revue Française des Sciences de l'Information et de la Communication, n°7, 2015 ,p : 4.

حضوره في المشهد الخطابي أو مجردا في الحالات التي يبيث فيها الخطاب السياسي عبر وسائط مختلفة، فإنه (الجمهور) يبقى طرفا ينزل بثقله في بناء الخطاب وتحديد مضامينه التواصلية وآلياته في الإقناع والتأثير، فالجمهور هو مرمى الفعل الخطابي، واستحضاره أثناء التخطيط يقتضي تحديده ومعرفة كل ما يرتبط بنوازه وهواجسه.

في أي مجتمع قد تكون فئة الجمهور متجانسة تجمعهم قواسم مشتركة كالتوجه الديني أو السياسي، وقد يكون الجمهور أحيانا شتاتا غير متجانس يضم أفرادا تتباين توجهاتهم وقيمهم وأنماط العيش الخاصة بهم<sup>1</sup>. وهذه الفكرة من الأهمية بمكان في توضيح تبادلية التحكم بين الجمهور والمتكلم السياسي؛ فإذا كان حضور الجمهور يحصل من اللحظة التي يتم فيها التفكير في الخطاب، ومن ثم يؤثر الجمهور في الإنتاج النصي، فإن الخطاب السياسي بالمقابل حينما يختار طريقة معينة في التواصل وإستراتيجيات محددة في الحجاج، فإن ذلك يعكس بشكل ضمني طريقة تمثل الفاعل السياسي للجماهير المخاطبة.

يمكن أن نجد في الخطابات السياسية التي يلقيها الأمناء العامون في الأحزاب على حشد كبير من الجمهور المنخرط في الحزب وجها آخر من التخطيط للتحكم في العقلية ما يعكس بحق التحكم في صناعة العقلية والفكر كما تحدث عنه فان ديك وباتريك شارودو، فالخطاب السياسي يصبح في هذه الحالة انتقائيا للجمهور في أفق صناعة الفكر السياسي كنظام

<sup>1</sup> - سيكولوجيا الجماهير، غوستاف لوبون، ترجمة وتقديم هاشم صالح، دار الساقي بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1991، ص:158.

ومرجعية حزبية<sup>1</sup>.

## - تحديد السياق الزماني والمكاني

### أ- السياق الزمني

تدخل مسألة اختيار اليوم المناسب والوقت ضمن التخطيط الإستراتيجي للخطاب، وليس أدل على ذلك من أن بعض القادة السياسيين غالباً ما يختارون مخاطبة شعوبهم "بعد طقوس احتفالية طويلة، أو إثر ساعات عمل منهكة؛ فحين تُتهك الأجساد وترتخي الأعضاء وتتباطأ الحركة، تضعف قدرة الشخص على التفكير النقدي التقنيدي، ويميل إلى تلقي أكثر سلبية لما يسمعه. وهذه غاية ما يتمناه السياسيون من جمهورهم على مر العصور؛ فالمستمع أو المشاهد الذي يؤمن على ما يقوله السياسي أياً يكن، هو المستمع أو المشاهد النموذجي في حقل السياسة، حيث الغاية هي الاستحواذ على السلطة وممارستها أكثر من أي شيء آخر"<sup>2</sup>.

إن مسألة اختيار الزمن الحاسم له تأثيره في إخضاع الجماهير، وما ربط بعض الحكام خطاباتهم بالمناسبات الوطنية بالصدفة، فالزمن في حد ذاته يصبح شحنة تأثيرية، تستمد رمزيتها من تضحية الأجداد في خدمة الوطن، وفي ذلك تتسلل قيم التحام الشعب بالقيادة من أجل مصلحة الوطن.

<sup>1</sup> - Patrick Charaudeau, le discours politique les masques du pouvoir, op.cit, p :30.

<sup>2</sup> - عماد عبد اللطيف، بلاغة الحرية معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة، مرجع سابق، ص: 104.

إن تقدير تناسب الزمن محددٌ هام في التأثير الذي يسعى إليه المتكلم من سلطة سياسية حتى في حالات وجود اضطراب اجتماعي أو سياسي أو أممي، فالمتكلم يتحين الزمن الملائم لتوجيه خطابه، بحيث لا يكون متسرعا ولا متأخرا، لأن الخطاب السياسي أشبه ما يكون بالدواء؛ فكما أن من الدواء ما يُشفى أو يسكن الألم إذا أخذ في وقته، ومنه ما لا طائل منه إذا اكتسحت العلة الجسم، فإن من الخطاب ما يهدئ عبر خلق الأوهام لريح حيز من الوقت، ومنه ما يشل كل التفاعلات العدائية، ومنه ما يوجب الأوضاع<sup>1</sup>.

### ب- السياق المكاني

للمكان رمزيته في الخطاب السياسي الجماهيري، فهو يعتبر مظهرا من مظاهر السلطة؛ فحينما يلقي رئيس أو ملك خطابه من القصر فتبثه شاشات الإعلام، فالمكان يضفي على الخطاب السلطة التي تشكل خلفية بالنسبة للمتكلم، أما حينما تلقي هذه الذات خطابها من مكان ذي طابع استشاري كالبرلمان أو مجلس الشعب، فالمكان يضفي على الخطاب طابع التشاركية في تدبير شؤون الشعب والبلد.

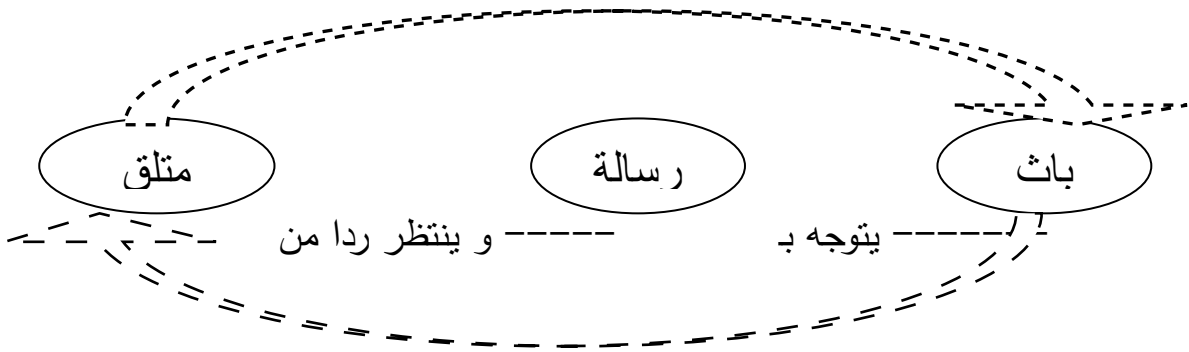
### 3- طبيعة التواصل في الخطاب السياسي الجماهيري

يتحدد الموضوع الذي نروم مناقشته تحت هذا العنوان في السؤال التالي: إلى أي حد يمكن الحديث عن التواصل في الخطاب السياسي ذي الطابع الجماهيري العمودي؟ وبصيغة

<sup>1</sup> - محمد أسيداه، "السوفسطائية وسلطان القول نحو أصول لسانيات سوء النية"، مجلة عالم الفكر، المجلد 33 العدد 4 أبريل يونيو 2005، ص: 97.

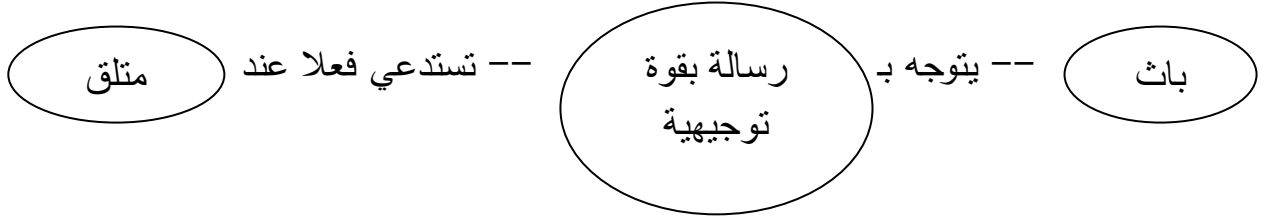
أخرى: ما الطابع الذي يتخذه التواصل في خطاب موجّه إلى الجمهور ؟ وقبل الإجابة عن هذا السؤال، نرى أنه من الأجدر بنا التمييز بين "التواصل" وبين ما يُطلق عليه في الميادين المتعلقة بالتّوجيه وتكثيف السلوك "التواصل الفعّال".

لاشك أن الحديث عن التواصل، يقتضي بالضرورة الحديث عن تفاعل بين طرفين اثنين على الأقل يتبادلان دوري الفاعل والمنفعل من خلال تداول فعلي البث والتلقي، إذ لا يمكن الحديث عن نشاط تواصلي إلا بافتراض المشاركة في إتيان الفعل من جانبيين اثنين، وهو ما يفضي إلى أن التواصل سيرورة دائرية تنبني على تبادل الأدوار بين المرسل والمرسل إليه، فالمرسل يتوجّه برسالة وينتظر ردا من المرسل إليه، وحين يستقبلها هذا الأخير يتحوّل بدوره إلى مرسل وهكذا دواليك. ويمكن أن نلخص هذا في الخطاطة البسيطة التالية:



وإذا انتقلنا إلى ما يُسمى بالتواصل الفعّال، فإن الباث لا ينتظر ردا من المتلقي، بل إن هدفه الأساس هو التأثير فيه والدفع به إلى تبني موقف تجاه قضية أو موقف ما. إن الأمر هنا لا يتعلق بالتواصل بالمعنى الحقيقي للكلمة، بل بشكل من أشكال الهيمنة المطلقة للمرسل الذي يعرف أو يُفترض أنه يعرف كل شيء عن المرسل إليه، فوضع المتلقي في هذه الحالة وضع

سلبية، والرد لا يأتي على شكل تبادل، بل على شكل "قاعدة الفعل"، ونمثل لهذا بالخطاطة التالية: (1)



وإذا تبين الفرق بين هذين الشكلين في طبيعة التواصل، فإن من السهل جدا القول بأن الخطاب السياسي الصادر عن السلطة، يتخذ شكل الخطاطة الثانية، حيث المرسل يحاول توجيه سلوك المرسل إليه والتأثير فيه، لأن المرسل في الخطاب السياسي هو المستحوذ على فعل التواصل، أما المرسل إليه فلا حق له في الرد، بل يجدر به أن يتخذ سلوكا معيناً أو موقفاً محدداً من رسالة المرسل.

#### 4- استحضار الانقياد اللاواعي للجماهير

الإنسان بطبعه كائن اجتماعي، وانخراط الفرد في الجماعة بقدر ما قد يفقده بعض الخصائص بقدر ما يضيف عليه خصائص جديدة تقتضيها روح الجماعة، وهذه الروح الجماعية لها تأثيرها فيما يتعلق بتلقي الخطاب، حيث الفرد يفقد استقلاليته في الاستجابة واتخاذ القرار، فتحول مجموعة من الأفراد إلى جمهور يجعلهم كما يقول غوستاف لوبان **Gustave Le Bon**: "يحسون ويفكرون ويتحركون بطريقة مختلفة تماما عن الطريقة التي

<sup>1</sup> - سعيد بنكراد، الصورة الإشهارية آليات الإقناع والدلالة، المركز الثقافي العربي بالدار البيضاء، الطبعة الأولى 2009، ص ص: 112-113.

كان سيحس بها ويفكر ويتحرك كل فرد منهم لو كان معزولاً، وبعض الأفكار والعواطف لا تتبثق أو لا تتحول إلى فعل إلا لدى الأفراد المنطوين في صفوف الجمهور"<sup>1</sup>.

إن صفة الجمهور لا تقتضي كما يوضح لوبان الحضور المتزامن لعدد من الأفراد في حيز مكاني واحد، فالأفراد يمكن أن يكتسبوا هذه الصفة حتى لو لم يكونوا في حالة تجمع عيني مرئي، كما هو الأمر حينما يتوجه الخطاب إلى الشعب،<sup>2</sup> إذ يكفي أن يكون توجه الخطاب إليهم على أساس ما هو مشترك ليتصفوا بالجمهور.

وما ذكره لوبان بشأن تولد تفكير الفرد وشعوره من انتمائه للجماعة يؤكد دارلي بيم **Daryl Bem 1970** الذي يقول: إن " التأثير الكبير على الناس هو الناس"<sup>3</sup>، حيث يصبح ضغط الانتماء إلى الجماعة قوة تأثيرية في حد ذاته.

إن الناس عادة يرفضون أن يكونوا نشازاً واستثناء ضمن الجماعة، وهذه الطبيعة الفطرية تكبح جماح العقلانية الفردية، فيصبح التأثير كالعوى التي تنتقل دون رقابة، وحيث إن التفكير العقلاني النقدي يكون في معظم الأحيان خاصية القلة من الجماهير فإن الأكثرية تهيمن على الأقلية.

وعلى هذا الأساس، فالتأثير الذي يمكن أن يحققه الخطاب السياسي لا ينبع فقط من الفعل الخطابي، وإنما أيضاً من الميل الغريزي للذات الفردية في الاندماج الجماعي، وهذا الاعتبار

<sup>1</sup> - غوستاف لوبان، سيكولوجيا الجماهير، مرجع سابق، ص:56.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص:54.

<sup>3</sup> - Garth S. Jowett and Victoria O'Donnell, Propaganda and Persuasion, SAGE Publications, Inc Thousand Oaks California, third edition 1999, p:33.

حاضر في الوعي السياسي والوعي الإشعاري كما يذهب إلى ذلك سيرج تشاخوتين Serge Tchakhotine<sup>1</sup>.

ويبرز هذا الوعي في أن القادة الذين يمثلون السلطة عادة ما يختارون مناسبات تقترب بحدوث وطني ملهم للشعور الجمعي من أجل إعلان قرارات أو إذابة المشاعر العدوانية تجاه السلطة.

وتبعاً لهذا المحدد السيكولوجي، فكون الفرد مخاطباً ضمن حشد من أمثاله يصبح أكثر عرضة للتلاعب والتهييج العاطفي، نتيجة عدم الشعور بالمسؤولية الفردية والانقياد اللاواعي خلف الحشد، خاصة إذا تعلق الأمر بحشود جماهيرية متواضعة من حيث المستوى الثقافي وحدود الوعي، "فحينئذ تغدو فريسة واضحة لأي زعيم سياسي قادر على اللعب والعبث بمشاعرها وعواطفها وتصوراتها ورهاناتها، فتندفع بدون عقل ووعي إلى التصديق والإيمان دون تمحيص وتشخيص وتفكير أو تدبر"<sup>2</sup>.

يؤكد فان ديك أنه ليس من الضروري أن يكون في كافة أفراد الجمهور خصائص مثالية تسهل قابليتهم للتلاعب، فقد يكون كافياً أن مجموعة كبيرة أو الأغلبية لديها هذه الخصائص. وإذا كان المنشقون والمعارضون يشكلون بالنسبة للمتكلم السياسي مصدر قلق وخرج في معظم الحالات، فإنه لطالما كان هؤلاء قلة لا تمثل التوجه السائد، ولا تهيمن على وسائل

<sup>1</sup> – Serge Tchakhotine, Le Viol des foules par la propagande politique, Editions Gallimard 1952, p :131.

<sup>2</sup> – عثمان الزياتي الخطاب السياسي في المغرب بين منزلقات البلاغة وزلات اللسان، مرجع سابق، ص:199.

الاتصال أو مؤسسات النخب والمنظمات، ولذلك يبقى تأثيرها محدوداً<sup>1</sup>.

ويمكن أن نلمس أحد تمظهرات اللاوعي الجمعي الذي يحكم سيكولوجيا الجمهور في بلاغة الجمهور نفسه في تفاعله بالتصفيق مع المتكلم السياسي، فليس كل من يصفق من الجمهور يفعل ذلك استحساناً لكلام السياسي وتأييداً له عن وعي، وإنما لأن تحفيز الجمهور المصفق يجعله ينخرط في التصفيق، كفعل عفوي تحفز عليه الرغبة في الانخراط ضمن الجماعة.

---

<sup>1</sup> – Teun A. van Dijk, "Discourse and manipulation, Discourse & Society", vol 17/ 2006, SAGE Publications, p :375.

## المبحث الثاني:

### إستراتيجيات تطبيع الجماهير في الخطاب السياسي الصادر عن السلطة، محددات عامة.

#### 1- مفهوم التطبيع

إذا كان الحجاج ممارسة عقلية وأخلاقية تستهدف الإقناع بعيدا عن كل أشكال الضغط التي تقيد حرية من يتوجه إليه الحجاج في قبول الموقف وبعيدا عن كل أشكال التضليل والتغليب، فإن التطبيع يمكن أن يعتبر مقابلا للحجاج بهذا المعنى، فهو ممارسة تستهدف حمل المخاطب على موقف أو تحفيزه على فعل بالتوجه إلى مشاعره أو من خلال توسل أشكال التضليل والتحايل. فالتطبيع حسب بريطون "فعل عنيف ومُكره، يسلب حرية الآخر لإخضاعه، وهو بمثابة كذب منظم يتوخى منه مغالطة الآخر"<sup>1</sup>.

يعتبر التطبيع في نظر بريطون شكلا من أشكال العنف، لأنه يقود المخاطب إلى اتخاذ قرار لم يكن ليتخذه من تلقاء نفسه<sup>2</sup>، ويعمد في التطبيع عادة إلى استنفار الأهواء من أجل إحداث تغيير ما في موقف المخاطب أو سلوكه، حيث يتم اللجوء إلى إستراتيجية الإغواء أو التهديد.

<sup>1</sup> - محمد الداوي، "التواصل بين الإقناع والتطبيع مقارنة تداولية"، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، مرجع سابق، ص: 427.

<sup>2</sup> - Philippe Breton, Convaincre sans manipuler ; Apprendre à argumenter, Edition La Découverte, Paris 2008, pp:25-60.

يشكل التحايل أيضا إستراتيجية تطويقية، ويتخذ أشكالا مختلفة من بينها تلبيس الألفاظ لإيهام المخاطب بمعنى لا يقصده المتكلم، أو التحايل في عرض المحتويات الإخبارية بـ"عرض الوقائع من وجهة نظر معينة على سبيل المثال من خلال تضخيم بعض الجوانب وتبسيط أخرى لإضفاء الشرعية على الرأي"<sup>1</sup>.

كما يقترن التطويق بكل أشكال التضليل الكذب، فضلا عن التغليف المرتبط ببناء الاستدلال في الخطاب، فقد تكون المحتويات الإخبارية صادقة، لكن مقتضيات توظيفها غير معقولة بالنظر إلى ملاءمتها لموضوع القضية أو فساد صورة عرضها.

## 2- أشكال الاستجابة التأثيرية المستهدفة في الخطاب السياسي الجماهيري الصادر عن

### السلطة

إن التأثير باعتباره محاولة لإحداث تغيير في موقف الجمهور أو سلوكه هو في الحقيقة سعي إلى تحقيق استجابة محددة من هذا الجمهور، ويمكن حسب رولوف وميلر & Roloff Miller 1980 الحديث عن ثلاثة أشكال مختلفة ممكنة من الاستجابة<sup>2</sup>:

### - تشكيل الاستجابة (response shaping)

ويمثلها مجال التعلم، حيث الفاعل السياسي بمثابة المعلم والجمهور بمثابة جموع من المتعلمين، فالمتكلم السياسي يسعى إلى تشكيل استجابة من خلال استهدافه تعليم الجمهور

1 – Philippe Breton, Convaincre sans manipuler ; Apprendre à argumenter, op.cit, p :67.

2 – Garth S. Jowett and Victoria O'Donnell, Propaganda and Persuasion, op.cit, pp: 28–29.

كيفية التصرف، وتقديم التعزيز الإيجابي للتعلم.

### - تعزيز الاستجابة (response reinforcing)

ويتعلق الأمر هنا بتغذية استجابة كانت من قبل، فإذا كان لدى الجمهور مواقف إيجابية تجاه موضوع في وقت سابق، فإن المتكلم السياسي يذكرهم بالمواقف الإيجابية ويحفزهم على إبداء هذه المواقف، والكثير من التأثير في الخطاب السياسي يستهدف تعزيز الاستجابة.

### - تغيير الاستجابة (response changing)

يعتبر هذا الشكل من التأثير أصعب من الشكلين السابقين على مستوى التحقق، لأنه ينطوي على مطالبة الجماهير بتترك موقف أو سلوك وتبني آخر.

## 3- إستراتيجيات التطوع الجماهيري المهيمنة في الخطاب السياسي الصادر عن

### السلطة

إن اقتران السياسة بتدبير مصلحة الجماعة لا يمكن أن ينفي قطعا المصلحة الخاصة للفاعل السياسي، فالممارسة السياسية في جوهرها سعي إلى السلطة أو محاولة للحفاظ عليها، وفي الحالتين معا يسعى الفاعل السياسي إلى الحصول على الشرعية التي تخول له الحكم أو الاستمرار فيه، وهذا ما يجعل من الخطاب السياسي ممارسة تواصلية إستراتيجية تروم إذعان الجماعة.

لكن تحقيق الإذعان عن طريق الإقناع في خطاب سياسي موجه إلى عموم الناس ليس بالرهان السهل، ليس لأن الأمر يتعلق بجماهير متباينة من حيث التكوين الثقافي والانتماء الاجتماعي والديني والإيديولوجي واختلاف الأولويات، بل وأيضا لأن القضايا التي يتناولها الخطاب تقع في مجال الاحتمال، فالدفاع عن قرار أو اختيار معين على أنه الأفضل يبقى مجرد احتمال يرجحه الفاعل السياسي، ولذلك لا يمكن الحديث عن حقيقة قطعية، ومن ثم فما يهم الفاعل السياسي ليس هو أن يثبت الحقيقة، بل أن يكون على حق<sup>1</sup>.

إن ما يعنينا نحن تحديدا هو الخطاب السياسي الصادر عن السلطة والمتوجه نحو عموم الجماهير المشكلة للمجتمع السياسي، كما تجسده خطابات رؤساء الدول والملوك ورؤساء الحكومات، ولذلك فإننا سنركز على مختلف الإستراتيجيات التطوعية التي يعتمدها الفاعل السياسي في هذا النوع من الخطابات من أجل الحفاظ على الشرعية والسلطة.

### 3-1- استنفار الأهواء

إن النظر إلى العديد من الخطابات السياسية كما يؤكد ذلك شارودو "يعكس بوضوح أنها لا تستند إلى حجاج منطقي (عقلي)، بل يرجع بشكل أقوى إلى الأداء الخطابي، حيث يحظى الإيتوس والباتوس بنصيب الأسد في بناء تمثلات الحقيقة، مبقيين على حصة هزيلة للوغوس، وفي الواقع فإن الذوات المتحدثة والتي تهدف إلى تحفيز الآخر على الفعل أو

<sup>1</sup> – Patrick Charaudeau, "Quand l'argumentation n'est que visée persuasive, L'exemple du discours politique", op.cit, p:28.

القول أو التفكير، تهتم أكثر بتأثير خطاباتهم أكثر ما تهتم بصرامتها الاستدلالية"<sup>1</sup>.

وإذا كان شارودو يتحدث عن عموم الخطابات السياسية، فإن الصادرة منها عن السلطة تميل عادة إلى التخويف خاصة إذا كانت صادرة من فاعلين على وشك فقدانهم لسلطتهم ونفوذهم، فمعظم الرؤساء الذين توشك ولايتهم على الانتهاء كما يشير فيليب برود **Philippe Braud**، يثيرون الخوف من عدم الاستقرار أو الأزمة الاقتصادية، وأحيانا يكون الأمر بإثارة المخاوف التي كانت قائمة من قبل، أو حتى خلقها من أجل إعطاء الأفضلية للمتكلم باعتباره الشخص القادر على تخليص الناس منها. ومنافذ الخوف تتعدد باختلاف أولويات الناس، فالبعض يخاف على مدخراته، والبعض على وظائفهم، ومنهم من يتوجس من غياب الأمن"<sup>2</sup>.

وقد يبلغ التخويف في الأنظمة السياسية الاستبدادية درجة التهديد كصورة عدوانية لسياسة الخوف، خاصة حينما يتوجه إلى فئة معارضة تهدد سلطة الفاعل السياسي؛ ففي ذلك يتوجه الخطاب السياسي إلى هذه الفئة كخصم "ينبغي إرهابه للسيطرة عليه وليس شريكا أو متعاوننا ينبغي إقناعه بالحجج العقلية"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> – Patrick Charaudeau, "Quand l'argumentation n'est que visée persuasive, L'exemple du discours politique", op.cit:25.

<sup>2</sup> – Philippe Braud, "L'expression émotionnelle dans le discours politique", Recherches en Communication, n° 41 /2014, p :52.

<sup>3</sup> – محمد مشبال، "بلاغة العنف في خطاب الحجاج، ضمن كتاب بلاغة الخطاب السياسي"، مرجع سابق، ص: 203.

غير أن ذلك لا يعني أن المتكلم السياسي يقدم نفسه كطاغية أو مستبد بالحكم، وإنما على العكس من ذلك تماما، فالتهديد غالبا ما يُمهد له ببناء تصور لدى عموم الجماهير بأن هذا التوجه المعارض خارج عن القانون، أو يمس بمصلحة الوطن ويهدد استقراره وأمنه.

بذلك ينزلق الخطاب السياسي من التشاور والإقناع إلى التفرد بالرأي والإخضاع، حيث يلمح الفاعل السياسي إلى عقوبات محتملة مفادها "إذا كنت لا تعتقد هناك خطر"<sup>1</sup>.

يشكل استنفار العواطف بالإغراء إستراتيجية أخرى لتطويع الجماهير، حيث يلجأ الفاعل السياسي إلى إطلاق الوعود بتحسين الأوضاع كترياق يمتص حالات الغضب الشعبي ويحفز الجماهير على تحمل أوضاعها في انتظار اليوم الذي ستتحقق فيه الوعود.

وبين استنفار الأهواء بالوعود أو بالترهيب تتموقع إستراتيجية بناء صورة الذات من أجل تعزيز الأثر النفسي الذي يروم الخطاب أن يخلقه، فالصورة الانطباعية التي يكونها الجمهور عن الفاعل السياسي قد تحتاج في كل مرة إلى التحيين الذي يجعل منها عنصرا مؤثرا في إغواء الجمهور أو تخويفه، وصورة الذات في الخطاب السياسي لا علاقة لها بماهية الذات في معزل عن الخطاب، فهي وليدة تمثلات يخلقها الفعل الخطابي<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> – Patrick Charaudeau, "Le discours de manipulation entre persuasion et influence sociale, Acte du colloque de Lyon", 2009, p :8. (<http://www.patrick-charaudeau.com/Le-discours-de-manipulation-entre.html>), consulté le 1 septembre 2015 sur le site.

<sup>2</sup> – Dominique Maingueneau, Le contexte de l'œuvre littéraire Enonciation ; écrivain ; société, Edition Dunod, Paris, 1993, p:138.

### 3-2- التبسيط المسرف

يتعلق الأمر هنا بكل إستراتيجية يمكن أن تشوه حقيقة القضايا والوقائع؛ فالتبسيط المسرف لقضايا بالغة التعقيد يمثل تحريفاً يمكن أن يقود إلى سوء التقدير، ومن ثمة إلى التحيز إلى موقف ما أو التصرف على نحو ما دون الإلمام بتشاكلات القضية وتعقيداتها، وهذا ممكن الخطر، لأن التبسيط يمكن أن يؤدي إلى حقيقة زائفة، وإلى حقيقة غير مسوغة أو حتى نقيض الحقيقة<sup>1</sup>.

والمثال على ذلك نقتبسه من محمد العمري في شأن توظيف عبارة "سوء التدبير" للإعراض عن تسمية السرقة، إذ "كثيراً ما يرد المسؤولون والناطقون الرسميون باسم الحكومة على ما تنتشره الصحافة من أخبار السرقات والاختلاسات بناء على نتائج الافتحاصات التي يقوم بها المجلس الأعلى للحسابات أو غيره من اللجان المكلفة من البرلمان أو من وزارة المالية بالقول بأن الأمر لا يتعلق بالسرقة، بل بـ"سوء التدبير". بهذا التحويل أو الانزلاق المغالط يبررون عدم مبادرتهم للقيام بوضع الملف أمام القضاء"<sup>2</sup>. صحيح أن "سوء التدبير" لا يعفي من التورط، ولكنه ليس في درجة السرقة التي تقود إلى السجن مباشرة، وهذا ممكن التضليل فالسرقة تثوي خلفها سوء النية والتخطيط، و"سوء التدبير" نفي ضمنى لوجود نية الاختلاس،

<sup>1</sup> – Patrick Charaudeau, "Quand l'argumentation n'est que visée persuasive", op.cit, p:31.

<sup>2</sup> – محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، مرجع سابق، ص: 278.

وبهذا يمكن الانزلاق إلى "سوء التقدير" الذي يمكن أن يفسر بالاجتهاد الذي لم يُصب<sup>1</sup>.

### 3-3- التضخيم المبالغ فيه

كما التبسيط المسرف، فالتضخيم المسرف يعتبر أيضا تشويها للحقيقة، وهنا نستحضر كيف وظف الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش هذه الإستراتيجية بتضخيم امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل (السلاح النووي) لحمل الأمريكيين والعالم بأسره على شن الحرب على العراق.

### 3-4- ركوب الالتباس

يشكل تلبيس القصد إستراتيجية تطويعية يعمد إليها الخطاب السياسي الصادر عن السلطة من أجل تضليل الجماهير، حيث يعمد الفاعل السياسي إلى حمل الجماهير على معنى غير مقصود دون أن يتحمل المتكلم مسؤولية ما فهمه مخاطبه، ويمكن أن نمثل لذلك بمحاولة حسني مبارك في خطابه الثاني بعد اندلاع الثورة المصرية في 25 يناير 2011، أن يوهم الشعب أنه لن يترشح في الانتخابات الرئاسية المقبلة لولاية جديدة، وسنقف على هذا في الفصل الثاني من الشق التطبيقي أثناء مقارنتنا لخطاب مبارك.

ويمكن أن يضاف إلى ما أشرنا إليه مختلف أشكال التغليف التي تخرق مقتضيات الحجاج سواء من حيث البناء الاستدلالي، أو من حيث صدقية الحجج، أو من حيث صلتها بدعم المواقف وإثبات صحة القضايا أو بطلانها.

<sup>1</sup> - محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، مرجع سابق، ص: 278.

## خاتمة الباب الثاني

يشكل تحليل الخطاب حقلًا لتداخل العديد من الحقول المعرفية، وقد أفرز هذا التعدد في مرجعيات تحليل الخطاب تحوله إلى حقل معرفي واسع يصعب تحديد حدوده وأدواته والوقوف على منهج محدد في دراسته للظواهر الخطابية، وهو ما ينعكس في تحليل الخطاب السياسي، حيث تتعدد مقاربات ومناهج تناوله، بل وتغذيها إطارات نظرية ذات مرجعيات متعددة كما هو شأن التحليل التداولي بحكم انفتاحه على البلاغة وعلم التواصل، والتحليل النقدي للخطاب السياسي الذي ينهل من إطارات نظرية عديدة بحكم اهتمامه بمختلف تمظهرات السلطة في الخطاب السياسي سواء بعده التواصلية الخطابية أو الرمزية.

إن الخطاب السياسي الجماهيري المجسد للسلطة ليس خطابًا تواصلياً بالمعنى الذي يجعله ممارسة لنقل مضامين تواصلية أو التعبير عن الواقع بشكل محايد، ففضلاً عن كونه خطاباً عمودياً لا يسمح للمخاطب بأن يتحول إلى متكلم لينتقد أو يفند، يعد خطاباً إستراتيجياً موجهاً هادفاً.

وكونه كذلك يعنى أنه لا يتحدد بوصفه تفاعلاً يستهدف إفهام المخاطب أو إشراكه والتعاون معه لتحقيق الاتفاق، وإنما يروم التأثير في المخاطب والتحكم فيه، ليس فقط بتوسل الطاقة الكامنة في اللغة من حيث قوة نفوذها وسحرها وما تسمح به من تمويه وحجب وتضليل، ولا بالتخطيط للتأثير بدءاً من تحضير المتن الخطابية إلى إلقاءه فحسب، وإنما أيضاً بالتحكم في السياق في اتجاه ما يحقق التأثير المنتظر من الخطاب، وبمساعدة آليات

خارج لغوية تجسدها السلطة التي يتمتع بها المتكلم السياسي، ووعيه بقابلية الجماهير للتأثر بفعل هيمنة روح الجماعة على التفكير الفردي النقدي.

وعلى أساس تتعدد مداخل التأثير في الخطاب السياسي الصادر عن السلطة، فإنه من غير الممكن تقديم صورة شاملة عن تأثيرية هذا النوع من الخطابات من جميع جوانبه، إلا في إطار شامل متعدد التخصصات، لهذا فالصورة التي قد يقدمها أي باحث في الموضوع من زاوية تخصص معين لن تكون مكتملة، بل إنها يمكن أن تولد لديه انطبعا بأن جوانب أخرى متعلقة بالموضوع تم تجاهلها، أو لم تأخذ النصيب الذي تستحق من الدراسة.

وإذا لم يكن لنا من بد من هذا الانطباع نتيجة تعدد مرتكزات تأثير الخطاب السياسي الصادر عن السلطة، بين ما هو خطابي لغوي، وما هو من صميم الفعل والتدبير السياسي، وما هو اجتماعي، فإن السعي إلى الكشف عن أبعاد التطبيع في إستراتيجيات التأثير ضمن هذا النوع من الخطابات من زاوية التخصص، يوجه الدراسة صوب ما هو خطابي لغوي باعتباره التجلي المباشر الذي يتفاعل معه الجمهور المخاطب.

## الباب الثالث:

### إستراتيجيات التأثير وأبعاد

### التطوع الجماهيري في الخطاب

### السياسي الصادر عن السلطة

### دراسة تطبيقية

## تمهيد

تمثل السلطة مدار الخطاب السياسي الجماهيري وأحد أهم المفعلات الجوهرية الكامنة خلف إنتاجه، فالخطاب السياسي يتوجه إلى الجمهور من أجل الحصول على الشرعية التي تخول له التمكن من السلطة، أو يتوجه إلى الجمهور من أجل تحيين هذه الشرعية للحفاظ على السلطة، لكن هذا الرهان عادة ما يتوارى خلف تدبير شؤون الشعب وخدمة المصلحة العامة.

إن الخطاب السياسي بالإضافة إلى ذلك ليس خطابا توصليا بالمعنى الذي يفيد الإخبار والتناوب على فعل التكلم، بل إنه فعل توصلي إستراتيجي موجه لتحفيز الجمهور المخاطب على فعل أو حمله على موقف بواسطة مختلف الإستراتيجيات الخطابية التي تنزلق أحيانا من استهداف الإقناع العقلي إلى التطبيع عبر توسل إستراتيجيات التأثير والتضليل.

إن الحس السليم يقضي أن يكون الخطاب السياسي حوارا تشاوريا في إطار التدبير المشترك لشؤون المجتمع مع تقديم المصلحة العامة على المصلحة الفردية، لذلك فحين يصادر الفاعل السياسي حق الشعب في اتخاذ قراره بواسطة التهديد، هو في الواقع ممارسة أبعد ما تكون عن الحجاج، ولا يمكن أن تخطئ الأذن في هذا الباب ما أفرزته الثورات العربية من خطابات رئاسية عنيفة تلهج بالتهديد فتبث الرعب في الجماهير التي سولت لها نفوسها المطالبة بتتحي الرئيس، حيث أغلب الرؤساء الذين وجهوا خطاباتهم تفاعلوا مع ثورات

شعوبهم على أنها "عقوق أخلاقي"<sup>1</sup> للسلطة، فقد ظلوا "يستتكرون رغبة شعوبهم في تحييمهم، ويتعاملون مع إرادة الشعب في استبدالهم بوصفها خرقا لناموس الطبيعة، وانتهاكا لحقهم الطبيعي في الحكم حتى الممات"<sup>2</sup>.

في هذا الباب نقف على خطابين موجّهين من رئيسي دولتين في سياق ما عرف بالربيع العربي، ويتعلق الأمر بخطاب الرئيس التونسي السابق زين العابدين بنعلي، وخطاب الرئيس المصري السابق حسني مبارك، وسيكون محط اهتمامنا منطلقا من الإشكال العام الذي يوجه البحث، حيث نروم الكشف عن أبعاد التطبيع في الخطاب السياسي الجماهيري الصادر عن السلطة تحديدا، سواء من حيث مرتكزاته التداولية بالوقوف على أهم الأفعال الإنجازية المستهدفة للتأثير وطريقة توظيف الإشارات والافتراضات المسبقة؛ أو من حيث طبيعته العجاجية، تماشيا مع المقاربة النقدية التي تتبني على تصور الحجاج كمارسة عقلية وأخلاقية بعيدة عن كل أشكال الضغط في تحقيق الإقناع.

إن غايتنا هي تعزيز النقاش حول وهم سعي الخطاب السياسي الجماهيري الصادر عن السلطة إلى الإقناع، وبصيغة السؤال: هل فعلا هذا النوع من الخطاب السياسي إقناعي بالمعنى الذي يخاطب العقل ويبتعد عن مختلف أشكال التلاعب والتضليل والاستهواء؟ وهو في نظرنا إشكال لا يمكن أن تقود مقارنته تطبيقيا إلى نتائج مرضية بالانغلاق على إطار

1 - عماد عبد اللطيف، بلاغة الحرية معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة، مرجع سابق، ص: 110.

2 - عماد عبد اللطيف، المرجع نفسه، ص: 90.

نظري واحد من تلك التي تناولت الحجاج، لأن استهداف التطويع لا يركز فقط إلى التقنيات الخطابية واختيار الحجج، وإنما أيضا إلى ترتيبها فضلا عن استثمار القوة العجاجية الثابوية في بنية اللغة نفسها. لذلك لم نقيد بإطار نظري واحد ممثلا فيما قدمته البلاغة القديمة أو البلاغة الجديدة أو نظرية الحجاج اللغوي، فضلا عن نظرية المساءلة، ولكن سعينا إلى استثمار مختلف الأدوات النظرية التي من شأنها أن تسهم في معالجة الإشكال وإغناء التحليل، وهو ما ينسجم مع التصور الذي يدعو "إلى اعتماد تعدد منهجي تشبيدي في كل مقارنة تطمح من جهة إلى الإحاطة والإلمام بالقضايا الأساسية والجزئية للموضوع، وتصبو من جهة أخرى إلى تقديم نتائج مرضية لا تخدم فقط نتائج الموضوع والمنهج، بل تتطلع أساسا إلى خدمة المصالح العامة للناس وأنظمتهم الثقافية والعلمية والأخلاقية، وتتمية الفكر النقدي للعقل العربي تنظيرا وممارسة"<sup>1</sup>، وهو ما أكده بلانتين **plantin** بدعوته إلى "استبعاد الحذر من اتجاه توظيف المقاربات المتعددة Pluridisciplinaire وتبنيها لصالح تعدد منهجي مرن وفعال"<sup>2</sup>.

إن جوانب تحليل الخطاب متعددة، وإذا كان الحجاج واحدا منها، فإن جوانب الحجاج تتعدد

<sup>1</sup> - عبد السلام عشير، إشكالات التواصل والحجاج مقارنة تداولية معرفية، بحث لنيل دكتوراه الدولة في اللسانيات التداولية، مرجع سابق، ص:8.

<sup>2</sup> - عبد السلام عشير، المرجع نفسه، ص:8، يحيل على:

- Woods John et Walton Douglas, Critique de l'argumentation: logiques des sophismes ordinaires, Traduit cordonnée par Ch Plantin, Ed Kime.

بدورها في الخطاب، والتفريد بأجراً أدوات نظرية حجاجية واحدة في التحليل ومقاربة الإشكال، سيكون على حساب إغفال جوانب أخرى، وهذا ما يقتضي مقارنة حجاجية منفتحة تغذيها مختلف الإطارات النظرية التي قاربناها في الباب الأول بالشكل الذي يعكس تكاملها وتجسيدها لجانب مهم من أدوات تحليل الخطاب الذي يستمد أدواته من حقول معرفية مختلفة.

## الفصل الأول:

### الإستراتيجيات التداولية

### والحجاجية وأبعاد التطوع في

### نموذج من خطاب زين العابدين

بنعلي

## المبحث الأول:

### السياق العام لخطاب زين العابدين بنعلي<sup>1</sup>

عكس الخطابات السياسية التي تكون مدرجة في أجندة السلطة السياسية كتقليد خطابي يقترن في وعيها بمناسبة محددة، كما هو الشأن في المناسبات والأعياد الوطنية، يأتي خطاب بنعلي إثر الانتفاضة الشعبية التي شهدتها بعض المدن قبل أن تتوسع كالنار في الهشيم.

انطلقت الانتفاضة في 17 دجنبر 2010 من مدينة سيدي بوزيد نتيجة إضرار شاب يدعى محمد البوعزيزي النار في جسده أمام مقر ولاية سيدي بوزيد إثر منعه من مقابلة أحد المسؤولين في الولاية لتقديم شكواه، بخصوص مصادرة عربته التي يبيع عليها الفواكه والخضر وتعرضه للاعتداء من طرف "عون تراتيب". فقد خلف الإحساس بالظلم والإهانة في نفس البوعزيزي في ظل عجزه عن وقف هذا الظلم حالة من التذمر والسخط حفزت

---

1 - زين العابدين بنعلي، ولد بسوسة في 3 شتبر سنة 1936، التحق سنة 1958 بالجيش، وحصل على دبلوم من المدرسة المختصة بالجيش في سان سير، ثم من مدرسة المدفعية في شالون سور مارن بفرنسا. شغل وظائف عديدة من بينها تعيينه مديرا عاما للأمن الوطني سنة 1977 و1984، ثم سفيرا لتونس في بولندا لمدة أربع سنوات، عين بعدها وزير دولة، ثم وزيرا مفوضا للشؤون الداخلية، ثم وزيرا للداخلية عام 1986، قبل أن يصير رئيسا للوزراء سنة 1987، ويتولى رئاسة الجمهورية التونسية في السنة ذاتها إثر انقلابه على الحبيب بورقيبة. تم تجديد فترة رئاسته وأغلبية ساحقة في كل الانتخابات الرئاسية التي جرت، وآخرها كان في 25 أكتوبر 2009. حكم بن علي الجمهورية التونسية لما يزيد عن 23 سنة متتالية، ويعتبر أول رئيس تونسي يتم خلع من منصبه إثر احتجاجات شعبية ضد نظامه القمعي وحكمه غير الديمقراطي. غادر تونس هاربا في 14 من يناير 2011.

الشباب على إضرار النار في نفسه كتعبير عن غضبه واستنكاره لسوء الأوضاع. وحيث إن مستشفى سيدي بوزيد لم يكن مؤهلا بما يكفي لعلاج الحالات الحرجة، فقد نقل الشاب إلى ولاية بن عروس المجاورة لتلقي العلاج.

وفي اليوم التالي، خرجت أولى المظاهرات قادها بعض الناشطين الحقوقيين وعائلة البوعزيزي فضلا عن بعض المتعاطفين، احتجاجا على الفقر وتفاقم الفساد باعتبارها دواعي لإقدام الشاب على حرق نفسه، وهو الأمر الذي حفز شباب آخرين على الانخراط في الاحتجاج، ودفع قوات الأمن إلى تعزيز صفوفها قبل أن تتدخل لتفريق المتظاهرين بالهراوات والغازات المسيلة للدموع.

لكن الأحداث ستشهد منعرجا خطيرا ابتداء من اليوم الثامن، حيث توسعت قاعدة المحتجين وتبلورت المظاهرات في شكل انتفاضة شعبية شملت جميع مدن ولاية سيدي بوزيد، وإثر ذلك نشبت اشتباكات عنيفة بين المتظاهرين وقوات الأمن التي لجأت إلى إطلاق الرصاص الحي مما خلف سقوط عدد من القتلى والجرحى خصوصا في مدينة منزل بوزيان، وهو ما لم تنكره وزارة الداخلية في البيان الذي أصدرته ونقلته وكالة "وات" \* الحكومية<sup>1</sup>.

لقد طالب المحتجون بضرورة مراجعة التدبير الاجتماعي والاقتصادي للمواطنين في الاتجاه

<sup>1</sup> - جاء في البيان: "اضطر بعض الأعوان إلى استعمال السلاح في نطاق الدفاع الشرعي عن أنفسهم"، أنظر: عزمي بشارة، الثورة التونسية المجيدة بنية ثورة وصيرورتها من خلال يومياتها، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات الدوحة قطر، الطبعة الأولى يناير 2012، ص: 235.  
\* وات اسم مختصر لوكالة تونس إفريقيا للأنباء

الذي يضمن التوزيع العادل للثروات، ويدفع في اتجاه التنمية في الجهات المحرومة والقطع مع كل أشكال الفساد الإداري والسياسي ورفع الرقابة عن حرية التعبير في الثقافة والإعلام، فضلا عن ضمان مقومات العيش الكريم بخلق فرص للشغل يوازيه الاهتمام بالصحة والتعليم.

ومع المقاربة الأمنية التي طبعت تعامل الدولة مع احتجاجات سيدي بوزيد، انتقلت الاحتجاجات إلى مدن وولايات أخرى من أهمها صفاقس وتونس والقصرين، حيث تجمع المئات من النقابيين والحقوقيين في بطحاء محمد علي تعبيرا عن تضامنهم مع أهالي سيدي بوزيد مستكرين الحصار المضروب على عدد من المدن كقفصة وسيدي بوزيد، مطالبين بوضع خطة إصلاحية للانتقال الديمقراطي، أما في صفاقس فقد ساهم نقل عدد من النشطاء المعتقلين إلى سجونها، ونقل عدد من المصابين إلى مستشفى الحبيب بورقيبة الواقع بها، في انتقال الانتفاضة إلى صفاقس نفسها.

ومع إدراك السلطة لصعوبة احتواء الأزمة بالمقاربة الأمنية وحدها، ألقى **بنعلي** أول خطاب له يوم 28 دجنبر 2010، أي في اليوم الثاني عشر من بدء الاحتجاجات، دافع فيه عن سياسته في تدبير الشأن الاجتماعي والاقتصادي للبلد وحذر فيه من المحتجين باعتبارهم قلة مأجورة تسعى إلى إثارة الفوضى والشغب متوعدا إياهم بالحزم في التعامل معهم، وقبل الخطاب بث التلفزيون التونسي (قناة تونس7) صور زيارة **بنعلي** لمحمد البوعزيزي في أحد

مستشفيات بن عروس ...، حتى يعكس صورة جيدة للنظام<sup>1</sup>، وهو ما يعزز القرار القاضي بإدخال بعض التعديلات على التشكيلة الحكومية، همت أربع وزارات هي وزارة الاتصال ووزارة التجارة ووزارة الشباب والرياضة ووزارة الشؤون الدينية.

ورغم أن الخطاب وهذه التعديلات قد سرّبت إلى البعض نوعا من الشك في إمكانية مواصلة الاحتجاج خصوصا مع الاعتقالات الواسعة في صفوف الناشطين واستعمال الرصاص، فإن ذلك يعكس من جهة أخرى تنازلات السلطة تحت ضغط الحراك الشعبي، لذلك فما إن شاع خبر وفاة البوعزيزي متأثرا بحرقه، حتى تصاعدت حدة الاحتجاجات خصوصا في ولاية صفاقس التي شهدت انخراطا واسعا في صفوف طلاب المدارس والمعاهد الثانوية، لتشهد عموم المناطق انفلاتا أمنيا ازدادت معه شراسة تدخلات قوات الأمن وردود الفعل العدوانية من قبل المحتجين، ومن مظاهر ذلك حرق المتظاهرين في مدينة تالة لمقر حزب التجمع الدستوري الحاكم ومقر المعتمدية ومبنى الشرطة، وعدد من السيارات التابعة لها<sup>2</sup>.

لقد كان تزايد سقوط الضحايا في صفوف المحتجين نتيجة التدخلات العنيفة لقوات الأمن، بمثابة الوقود الذي زاد من تأجيج الاحتجاجات، ومنحها طابعا تحرريا ضد الاستبداد والقمع، حيث الأمر لم يعد مقتصرًا على مطالب اجتماعية واقتصادية، وإنما تجاوز ذلك إلى مطالبة الجماهير المحتجة برحيل النظام وعلى رأسه الرئيس زين العابدين بنعلي، وبذلك تكون

<sup>1</sup> - عزمي بشارة، الثورة التونسية المجيدة بنية ثورة وصيرورتها من خلال يومياتها، مرجع سابق، ص: 246.

<sup>2</sup> - عزمي بشارة، المرجع نفسه، ص: 262.

المظاهرات قد تجاوزت الطبيعة الاستتارية إلى الطبيعة الثورية الراضة لأي إصلاح يتولاه النظام الحاكم. وهي حقيقة أدركها النظام، مما أجبر الرئيس بنعلي إلى التوجه بخطاب ثان إلى الشعب يوم 10 يناير 2011، وهو الخطاب الذي يشكل أرضية الدراسة التطبيقية<sup>1</sup>. وقبل أن نحاول تحليل الخطاب، تجدر الإشارة إلى بعض التطورات التي تلت الخطاب ومن أهمها<sup>2</sup>:

- بدء انتشار قوات الجيش في بعض المدن التونسية بأمر من الرئيس التونسي.
- الإعلان عن إقالة وزير الداخلية رفيق بلحاج قاسم، وتعيين بدله في المهمة أحمد فريعة.
- فرض حظر التجول الليلي من قبل وزير الداخلية الجديد في مدن تونس الكبرى ولأجل غير محدد.

<sup>1</sup> - انظر النص الكامل للخطاب بملحق الأطروحة.

<sup>2</sup> - عزمي بشارة، الثورة التونسية المجيدة بنية ثورة وصيرورتها من خلال يومياتها، مرجع سابق، ص: 268. وانظر أيضا: [https://ar.wikipedia.org/wiki/الثورة\\_التونسية#تسلسل\\_الأحداث](https://ar.wikipedia.org/wiki/الثورة_التونسية#تسلسل_الأحداث) (زيارة الموقع بتاريخ: 05-07-2016).

## المبحث الثاني:

### تداولية الأفعال الإنجازية والتأشير الإحالي والافتراض المسبق

#### 1- مرتكزات الإنجاز الكلامي وأبعاده التداولية والتأثيرية

إذا كان من غير الممكن حسب نظرية الأفعال الكلامية لأوستين وسييرل تصور التواصل اللغوي خارج كونه أداءً إنجازياً لأفعال كلامية يتعدى فيها استعمال اللغة تبليغ مضامين محايدة، فإنه لا يمكن في ضوء ذلك النظر إلى الخطاب السياسي إلا باعتباره متوالية من الأفعال الإنجازية التي لا ينفصل أداؤها عن رهانات التأثير.

وعلى هذا الأساس، فإننا سنحاول أن ننظر في طبيعة الأفعال الإنجازية التي يوظفها الخطاب السياسي، وحيث إنه يمكن التمييز في كل خطاب بين الأفعال الجوهرية التي يعول عليها في الاضطلاع بدور ارتكازي في خلق التأثير الذي يحفز المخاطب على اتخاذ سلوك ما، والأفعال الثانوية أو المساعدة التي تسهم في تعزيز الوجهة الإنجازية للأفعال الجوهرية، فإننا سنتطرق تحديداً لتلك الأفعال التي تشكل في الخطاب أساساً جوهرياً والتي تضطلع بدرجة أكبر في التأثير.

#### 1-1- التهديد والوعيد

يمكن أن نقف على إنجاز المتكلم لهذا الفعل في الملفوظين التاليين:

... "عمل إرهابي لا يمكن السكوت عنه."

– " ... نقول بكل وضوح إن القانون سيكون هو الفيصل. "

يتوجه التهديد في الملفوظ الأول إلى فئة من المتظاهرين على خلفية قيامهم بأعمال شغب واعتداء طالت مؤسسات الدولة والناس في منازلهم؛ ويتوجه التهديد في الملفوظ الثاني إلى كل من يحرض المواطنين على الاحتجاج والتظاهر.

ويختلف الملفوظان من حيث طريقة إفادة الوعيد؛ فالصيغة القولية للملفوظ الأول نفي لمحتوى إخباري، حيث المتكلم يخبر بعدم السكوت عن أفعال العنف والشغب بالأداة (لا) قبل الفعل المضارع (يمكن) للدلالة على استغراق النفي للحاضر والمستقبل، أما الصيغة القولية للملفوظ الثاني، فتأتي على شكل إثبات لمحتوى خبري معزز بالتأكيد لقطع الشك في تطبيق القانون على كل من يحرض المواطنين على الاحتجاجات باعتبارها شغباً وفوضى.

ويشترك الملفوظان فيما تفيده قوة فعل الكلام، لأن كليهما يتضمن التهديد والوعيد بالعقاب حتى وإن تباينا في حدة القوة الإنجازية، حيث يبدو الملفوظ الأول أقل حدة في إنجاز الوعيد لأن المحتوى القضوي للوعيد غير مسند إلى ذات المتكلم باعتباره المسؤول الأول عن حماية الشعب ومؤسسات الدولة، إذ لم يقل "لا يمكننا" أو "لا يمكنني"، عكس الملفوظ الثاني المصدرّ بالفعل المضارع المسند إلى المتكلم (نقول) والذي يحيل على هوية المتكلم باعتباره ذا سلطة في تطبيق القانون.

وتتقوى حدة الوعيد والتهديد في الملفوظ الثاني بما تصفيه شحنة التأكيد الكامنة في الوظيفة

الدلالية لعبارة (كل) مضافة إلى المصدر (الوضوح) والحرف التأكيدى (أن)، بالإضافة إلى التكرار الإحالي للضمير المؤكد للضمير المضمر بعد الفعل الناقص (يكون).

ومهما يكن الاختلاف في حدة الإنجاز، فإن الملفوظين معا يتضمنان قوة الوعيد والتهديد للتأثير في المخاطب بترهيبه، سواء بشأن مشاركته في الاحتجاجات أو تحريضه عليها.

## 1-2-الوعد

يجسد استعمال الوعد الصريح في خطاب بنعلي القول التالي:

" وسيستوعب هذا المجهود أيضا كل حاملي الشهادات العليا الذين تجاوزت مدة بطالتهم عامين قبل موفى سنة 2012، نعم قبل موفى 2012 وأتعهد بذلك".

يتضمن القول كما يبدو واضحا وعدا صريحا، يتمثل محتواه القضوي في تشغيل حاملي الشهادات العليا الذين عانوا من البطالة أكثر من عامين قبل انقضاء سنة 2012، أما واسم القوة الإنجازية فتجسده الصيغة الفعلية التعهدية المسندة إلى المتكلم "أتعهد".

وإذا ما استثنينا هذا القول، فإن الوعد كقوة إنجازية يتوارى في أقوال أخرى خلف قرارات إصلاحية لدرجة لا يظهر معها الوعد كفعل مستقبلي محدد بإمكانية التحقق، حيث تأخذ الوعود في الخطاب طبيعة قرارات إصلاحية تهم تحسين الأوضاع بعد صيغة: "قررنا ما يلي"، وهو ما يضيف على تلك الوعود من ناحية التأويل صبغة التفعيل والتحقق، وبذلك تلبس القوة الإنجازية للوعد جبة القرار، متسربة - تبعا لتصنيف أوستين وسيرل على

التوالي - من دائرة الأفعال التعهدية إلى دائرة الأفعال التنفيذية أو التصريحية التي تأخذ طابعا تحقيقيا بمجرد التلفظ بها من متكلم هو أهل لأن يقرر.

لقد حاول المتكلم في خطابه أن يغلف الوعود بالقرارات الإصلاحية ليسبغها بالتحقق اليقيني عوض إمكانية التحقق، ويمكن أن نلمس ذلك في القولين التاليين اللذين يعقبان صيغة "قررنا ما يلي":

أولاً: مضاعفة طاقة التشغيل وإحداث موارد الرزق وتنويع ميادينها ودعمها في كل الاختصاصات خلال سنتي 2011 و2012، بمجهود إضافي هام من قبل الدولة والقطاع العمومي، وبتضافر جهود القطاع الخاص والقطاع البنكي والتعاون الدولي وسائر الأطراف المعنية، وذلك قصد تشغيل أكبر عدد من العاطلين عن العمل، من غير حاملي الشهادات العليا وكذلك من بين فاقد الشغل، من كل الفئات والجهات..

ثالثاً: إعطاء دفع جديد للإعلام الجهوي، بتخصيص مساحة يومية بالتلفزة والإذاعات الوطنية لكل ولايات الجمهورية، مع تكثيف شبكة الإذاعات الجهوية والصحافة المكتوبة بالولايات، ودعم وحدات الإنتاج السمعية البصرية بها لتعزيز هذه النقلة النوعية، وذلك بما يفسح المزيد من فضاءات التعبير عن مشاغل المواطنين وطموحاتهم ويواكب واقع الحياة بالجهات.

يفيد الملفوظان من حيث محتوئهما القولى على التوالي أنه سيتم خلق فرص جديدة للشغل للتقليص من تفشي البطالة، كما سيتم فتح المزيد من فضاءات التعبير عن مشاغل المواطنين عبر تعزيز شبكة الإعلام الجهوي الإذاعي والصحافة المكتوبة، ويحيل الواسم الإنجازي "قررنا" على أن الأمر يتعلق بقرارين.

إن محتوى القرار لا يلزم المخاطب بواجب ما بموجب قانون تترتب عن الإخلال به آثار، وإنما عكس ذلك يقضي بتقديم خدمة في مصلحة المخاطب، وهذا ما يجعل تنفيذ المحتوى غير إلزامي بموجب قانون أو سلطة أعلى، لأن من يقرر هو أعلى سلطة، وتراجعها عن القرار أو عدم التزامها بكل حيثياته وتفصيله يعد في حد ذاته قرار.

وهذا ما يعزز تأويل القرارين على أنهما يفيدان وعدا يلتزم فيه المتكلم بالقيام بإصلاحات لامتناس غضب الجماهير المحتجة.

### 1-3-التأسف

يندرج هذا الفعل الإنجازي ضمن دائرة الأفعال السلوكية التي تتحدد باعتبارها تعبيراً عن حالة المتكلم النفسية تجاه المخاطب، ويقترن إنجاز التأسف في خطاب بنعلي بوفاة عدد من المتظاهرين نتيجة تدخلات قوات الأمن من أجل إيقاف المظاهرات خاصة في سيدي بوزيد، ومما يجسد ذلك في الخطاب قول المتكلم:

"تعرب عن بالغ أسفنا للوفيات والأضرار التي نجمت عن هذه الأحداث".

يفيد تعبير المتكلم عن الأسف تعاطفه مع المتضررين من الشعب، ويستهدف إنجاز الفعل التأثير في الجماهير المخاطبة بحملها على شعور المتكلم بالألم لما أصابهم، غير أن إنجاز التأسف بدل الاعتذار يثوي إخفاء مسؤولية الدولة وتورطها في ما نجمت عنه تدخلات قوات الأمن من وفيات في صفوف المحتجين، ذلك أن الاعتذار هو طلب الصفح عن فعل صدر عن فاعله بشكل عفوي أو إرادي، فسبب الأذى للآخر؛ أما التأسف، فهو يعبر عن الحزن والتعاطف مع الآخر إثر ضرر لحقه لا يكون عادة للمتأسف فيه يد، وإذا كان له يد في ذلك، فإن التأسف يثوي ضمنا نفي نية قصد الأذى.

وإذا كان غياب القصد في إلحاق الضرر بالآخر يمكن أن يسوغ في التواصل إنجاز التأسف، فالبين أن المتكلم لا يبني تأسفه على أساس أن تلك الوفيات ناجمة عن تدخل قوات الأمن التي تمثل تجسيدا لسلطة الدولة، وإنما على أساس كون تلك الوفيات ناجمة عن أحداث شغب قامت بها عصابات ملثمة كما يذكر في بداية الخطاب.

وبذلك يستهدف المتكلم من إنجاز التأسف التأثير في المخاطب واستمالاته بإبداء التعاطف معه بالمعنى الذي يحمل مسؤولية الضرر لطرف معاد لمصلحة الشعب والوطن.

#### 1-4-المواساة

قد يلتقي التأسف والمواساة كفعالين إنجازيين في كونهما يعبران عن التعاطف مع المخاطب، أي أن لهما الوجهة الإنجازية ذاتها، غير أنهما يختلفان من حيث القوة، فالتأسف أقل قوة من المواساة تأثيرا في المخاطب لأن ما يطبع التأسف هو أنه للتعبير عن الألم الذي يشعر به

المتكلم إزاء تضرر المخاطب من أمر، أما إنجاز المواساة فزيادة على ذلك يفيد التضامن مع المخاطب والرغبة في التخفيف عنه.

ويمكن أن نمثل للمواساة في خطاب بنعلي بقوله:

"... فإننا نجدد تعاطفنا مع أسر المتوفين رحمهم الله، والمتضررين (المتضررون) نشاركهم ألمهم وحزنهم ونواسيهم".

يمكن النظر إلى هذا القول على أنه يتضمن ثلاثة أفعال إنجازية هي التعاطف والدعاء والمواساة، تؤثر عليها توالي الواسمات الإنجازية التالية: نجدد تعاطفنا / رحمهم الله/ نواسيهم. وهي أفعال وإن كانت ذات فروق دلالية فإن استعمالها يتحدد بنوع من العموم في قصد المتكلم مواساة المخاطب، حيث الدعاء وإظهار التعاطف أفعال مساعدة بالنسبة للإنجاز الجوهري الذي هو المواساة، والمحدد في ذلك أن المواساة كسلوك اجتماعي يثوي بالضرورة التعاطف حتى وإن لم يعبر عنه المتكلم بقول صريح، كما أن الدعاء بالمغفرة والرحمة للموتى باعتبار العلاقة مع المخاطب يعد مظهرا من مظاهر المواساة.

في الأفعال الإنجازية من قبيل التهئة والشكر والمواساة يصب الإنجاز في مصلحة المخاطب عكس التوبيخ أو التبجح على سبيل المثال، غير أن ذلك لا ينفي مصلحة المتكلم في إنجاز الصنف الأول، فإذا كان الجانب الظاهر في المواساة هو التخفيف عن المخاطب لتجاوز أزمة الألم التي يعيشها، فإن ذلك يثوي في المقابل رغبة المتكلم في التقرب من

المخاطب بمشاطرته أساه، بل إن إنجاز المواساة حينما يفتقد لقيمة الصدق من حيث التعبير عن حزن المتكلم وألمه لما أصاب المخاطب، قد يستهدف مصلحة المتكلم كأولوية حيث يصبح الرهان ليس هو التخفيف من ألم المخاطب، وإنما التقرب منه، وكأن المصاب الذي لحقه أشبه ما يكون بمناسبة تُستغل للإعلان عن ذات المتكلم وتحيين علاقته بالمخاطب، وهو مظهر تجسده أحيانا مواساة بسطاء الناس لأصحاب النفوذ والمكانة في المجتمع، حيث تتحول المواساة إلى فعل اجتماعي يُرتجى من ورائه التقرب إلى هؤلاء تحسبا للحاجة إليهم في وقت ما.

وإذا كان من غير الممكن قياس الصدق في مشاعر المتكلم في إنجاز المواساة، فإن استحضار التاريخ الاستبدادي لنظام زين العابدين بنعلي ورد فعل السلطة العنيف تجاه المحتجين كما جسده تدخل قوات الأمن والذي نجم عنه سقوط ضحايا، يمكن أن يكونا اعتبارين يفيدان أن المتكلم يمكن أن يضحى بأي شيء في سبيل الحفاظ على منصبه وسلطته، حتى وإن اقتضى ذلك سقوط أرواح، ومن ثمة فلن يؤلمه إلحاق الضرر بالمعارضين لسلطته، وهو ما يؤكد إنجاز التهديد كما سبق أن أشرنا.

وإذا صح هذا التأويل فإن المواساة كفعل إنجازي لا يستهدف بالنسبة للمتكلم التعبير عن ألمه كأولوية، وإنما يروم من خلال ذلك التقرب إلى المخاطب لامتناص الغضب الذي يشعر به.

## 2- تداولية الإحالات الشخصية وأبعادها التأثيرية

تشكل دراسة الإشارات أحد الجوانب المهمة في تحليل الخطاب، وتمثل منها الإشارات الشخصية على الخصوص أحد المداخل التي يوليها الباحثون أهمية بالغة في رصد مسافة البعد أو القرب بين طرفي الخطاب. وقد حظي الخطاب السياسي بنصيب من دراسة الإشارات الشخصية، ويمكن أن نذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر دراسة **ميتلاند وويلسون (Maitland and Wilson 1987)**<sup>1</sup>، وفي وقت لاحق دراسة **إزابيل إنيكو مورا (Isabel Íñigo-Mora 2004)**<sup>2</sup>، فضلا عن دراسات أخرى لا تقل أهمية مثل دراسة **بايل وفيتزر (Bull and Fetzer 2006)**<sup>3</sup>.

لدراسة الإشارات الشخصية في الخطاب السياسي لا يمكن أن نزع أن الطريقة الإحصائية هي الطريقة الوحيدة الممكنة، لكنها السائدة بين أغلب الدراسات (على الأقل تلك التي اطلعنا

<sup>1</sup> - تناول الباحثان في دراستهما الدلالات التي استخدمت بها الإشارات في ثلاث خطابات لزعماء سياسيين بريطانيين مختلفين هم فوت وكينوك وتاتشر (M. Foot, N. Kinnock and M. Thatcher). أنظر:

Karen Maitland and John Wilson, "Pronominal selection and ideological conflict", Journal of Pragmatics, Volume 11 Issue 4 (August 1987), pp:435-559 .

<sup>2</sup> - انطلقت الدراسة من جلسات البرلمان البريطاني والتي عقدت بين دجنبر 1987، وأبريل 1988، ومن مجمل ما بينته الدراسة أن الدلالة المرجعية للضمير "نحن" تتنوع بين الإحالة على ذات سياسية حصرية (تنظيم سياسي محدد) وتارة تستخدم للدلالة على الشمولية، وتارة بمعنى جمعي برلماني. أنظر:

Isabel Íñigo-Mora, "On the use of the personal pronoun we in communities", Journal of Language and Politics, Volume3 Issue 1(2004), pp:27 -52.

<sup>3</sup> - انظر:

Bull Peter and Fetzer Anita, "Who are we and who are you? The strategic use of forms of address in political interviews", Text & Talk, Volume 26 Issue 1 (Jan 2006), pp: 3-37

عليها). ولعل ذلك يرجع إلى كونها من أفضل الطرق التي يمكن أن تقود الباحث إلى نتائج موضوعية، لذلك فإن دراستنا للإشارات سواء في خطاب زين العابدين بنعلي أو خطاب حسني مبارك سينطلق كأرضية للتحليل من البيانات الإحصائية.

يتوزع حضور الإشارات الشخصية في خطاب بنعلي حسب الاستعمال كالتالي:

الإحالة على المخاطب	الإحالة على المتكلم		
	الإحالة على المتكلم بدلالة ذوبان الذات الفردية في الكيان الجمعي	الإحالة على المتكلم الجمع بدلالة حصرية على القيادة	الإحالة على الذات المتكلمة بصيغة المفرد
إليك	/أبنائنا/ شبابنا أبنائنا/ بناتنا (الحضور الثاني) للعبارتين في الخطاب)/ شعبنا/ مواردنا/ عزمنا/ مكاسبنا/ نواصل/ مسيرتنا.	نتفهمها/ نعرب/ أسفنا/ نجدد/ تعاطفنا/ نشاركهم/ نواسيهم/ أبنائنا/ بناتنا/ راهنا/ مازلنا/ نفضل/ نبذل/ جعلنا/ أولوياتنا/ عنايتنا/ نعتز/ نعمل خياراتنا/ مشروعنا/ ندعمه/ لن نتراجع/ سياستنا/ سياستنا/ مفاخرنا/ لم نتردد/ برنامجنا/ اعتمدناه/ عملنا/ نقول/ نقول/ نواصل/ نسعى/ ندعم/ برنامجنا/ جهودنا/ قررنا/ كنا/ أذنا/ دعوتنا/ أذنا/ نجدد/ ندعو/ لمسناه/ نحن.	أتوجه /قلت/ أتعهد/ قررت/ انتهز/ أجدد/ شكري/تقديري/ أخي.
المجموع: 01	المجموع: 10	المجموع: 45	المجموع: 09

كما يوضح الجدول يبلغ مجموع الإحالات الشخصية الموظفة في الخطاب بين الإحالة على المتكلم والمخاطب 65 إحالة، تستحوذ فيها الإحالة على المتكلم على الحصة الأكبر بمجموع 64 مرة ما بين الاستعمال الدال على المفرد والاستعمال الدال على الجمع، أما التأشير المحيل على المخاطب بما يقتضيه التقابل الخطابى (أنتم)، فلم يوظفه المتكلم إلا مرة واحدة. يعكس هذا التحديد الإحصائي تجنب المتكلم التوجه إلى الشعب كمخاطب يُفترض أن يُدَل عليه في مسار التواصل بالضمير "أنتم"، بحيث لم يلجأ المتكلم إلى ذلك إلا مرة واحدة في افتتاح الخطاب "أتوجه إليكم"، وبذلك تتوارى صورة التقابل الخطابى بين الذات المتكلمة كـ"أنا" فردية تسيّر شؤون البلد والشعب بسياسة معينة، والجماهير المخاطبة كسلطة جماعية ترى في هذا التسيير فسادا اجتماعيا واقتصاديا يمس بحقوق المواطنة، ومن ثم يضطلع تحاشي استعمال ضمير التقابل الخطابى بوظيفة حجب الخلاف الكامن خلف الرسالة الخطابية من خلال طمس التناظر الخطابى المباشر بين الذات المتكلمة والجماهير المخاطبة، سواء بتوظيف ضمير المتكلم الجمع لاحتواء هذا المخاطب، أو بالاستعاضة عن ضمير المخاطب بضمير الغائب فيما يستدعي مخاطبة فئة محددة من الشعب، كما يمكن أن نلمس في تعبير المتكلم عن تضامنه مع أسر الضحايا، حيث يقول: "تشاركهم ألمهم وحرزهم ونواسيهم..."، بدل (نشارككم ألمكم وحرزكم ونواسيكم)، وفي توجيه التحذير والنصح يقول: "تدعو الأولياء وسائر المواطنين إلى الحفاظ على أبنائهم"، بدل (أدعوكم إلى الحفاظ على أبنائكم).

إن تجنب التأشير المحيل على المخاطب بأنتم، فضلا عن كونه يثوي تمنع الذات المتكلمة عن اتخاذ موقع تناظري إزاء الجمهور، يمكن أن يوهم بذويان هذه الذات مع الجمهور المخاطب ضمن الذات الجمعية "نحن"، غير أن الضمير الإشاري "نحن" لا يستوعب في كل استعمالاته الجمهور المخاطب؛ ذلك أن تردد استعمال ضمير المتكلم بصيغة الجمع بما يفيد فعلا اندماج المتكلم في "نحن" الجمعية لا يتجاوز عشر مرات، مقابل استعمال ضمير المتكلم بما يحيل على ذات حصرية مركزها المتكلم باعتباره القائد القائم على تدبير شؤون الشعب والوطن بـ 45 مرة، ومن ذلك: " يعلم الجميع كم نبذل من جهود للتشغيل الذي جعلنا منه أؤكد أولوياتنا، والجميع يعلم كم هي عنايتنا بحاملي الشهادات العليا الذين كما قلت نعتز بأعدادهم المتكاثرة ونعمل على رفع التحدي....".

وإذا استحضرنا عدد مرات توظيف التأشير الإحالي الدال على المتكلم المفرد، مع الحضور المكثف لإحالة المتكلم الجمع بدلالة حصرية، فإن ذلك يعني أن مجموع الإحالات المرجعية على "الأنا القيادية" تمثل ما يقرب من ستة أضعاف من المجموع الكلي لتوظيف الإشارات الدالة على المتكلم.

قد يفسر ذلك بحديث المتكلم عن مسؤوليته سواء كرئيس للبلد أو كعنصر من مجموعة القيادة، وفي الحالتين معا فإن ذلك يجسد مظهرا من السلطة التي ينبغي أن يذعن لها المخاطب.

### 3- الافتراض المسبق وخلفية إنكار الواقع: نجاح البلد

أوضحنا ضمن الباب الأول أن الافتراضات المسبقة معطيات ومعلومات يُفترض أنها تمثل خلفية مشتركة بين طرفي التواصل، ورغم أنها تكون ضمنية، فإنه يمكن استنتاجها بسهولة، كونها لا تخضع لاعتبارات السياق بمعناه الواسع، وإنما تتحدد بالنظر إلى الخصائص اللسانية التي تسم ما يتم التلفظ به. كما ألمحنا إلى أنه يمكن الوصول إلى الافتراضات والتحقق منها بواسطة ما يسمى بـ"اختبار النفي"، وفي صدد ذلك أشرنا إلى أن الافتراض المسبق لا يتسم دائما بالصدق من قبيل "ملك فرنسا أصلع"، كما أنه يمكن أن يكون احتيالا لاستدراج المخاطب للاعتراف بمحتوى قضية ما أو إصدار حكم ما لا يصب في مصلحته، كما هو سائد في الأسئلة التي تُطرح أثناء استتطاق المتهمين.

في خطاب **بنعلي** تبدو الافتراضات المسبقة الكامنة خلف بعض الملفوظات غير محايدة، فهي تدفع في الاتجاه الذي يخدم الموقف الخطابي للمتكلم، وينسف مقابل ذلك وجهة النظر المخالفة الداعية للاحتجاج. وحتى نتبين الأمر ننطلق من الملفوظ التالي:

- "إن هذه الأحداث أعمال قلة من المناوئين الذي يغيظهم نجاح تونس".

يقدم المتكلم في هذا القول حكما عدوانيا إزاء الذين يقفون خلف الاحتجاج، وفي ذلك يمرر افتراض نجاح تونس كمسلمة ليست محل جدل أو شك لإيهام الجمهور المخاطب بأن مواصلة الاحتجاج يعرض هذا النجاح للخطر. والمعيار المحدد في ذلك أن الافتراض يبقى

ثاويا في الملفوظ عند اختبار النفي:

1- ليست هذه الأحداث أعمال قلة من المناوئين الذين لا يغيظهم نجاح تونس. <<<sup>1</sup>

(نجاح تونس).

يمكن أن نسجل إزاء هذا الافتراض أنه لا ينطلق من معطيات تداولية متفق بشأنها بين المتكلم والجمهور المخاطب، فإذا كان المتكلم يرى أن تونس ناجحة، فإن الخلفية التي لدى الجماهير الغاضبة المحتجة هي أن تونس تعاني فسادا في شتى المجالات والقطاعات، وما كانت لحادثة البوعزيزي وحدها لتبلغ حد التمرد الشعبي والمطالبة بإسقاط النظام لولا سوء تدبير القيادة الحاكمة.

<sup>1</sup> -يقابل الرمز << عبارة "يفترض القائل".

## المبحث الثالث:

### منزقات البناء الحجاجي من الإقناع العقلي إلى الاستهواء والتغليب

#### 1- مرتكزات الإستراتيجية للبناء الحجاجي وأبعاد الاستهواء والتضليل

##### 1-1- إستراتيجية الترهيب والحجاج بالعقاب

إذا جاز اعتبار التأثير بالإغراء عنفا ناعما بالنظر إلى استهدافه إخضاع المخاطب على الإذعان لموقف ما، وإكراهه عليه باللين تحت تأثير سلطان الهوى الذي يعطل تحكيم العقل، فإن الترهيب عنف خشن لا يستهدف إقناع المخاطب وإرغامه على قبول الموقف فحسب، وإنما إذلاله أيضا. لذلك يعتبر محمد العمري التأثير بالعنف الرمزي عن طريق التهديد موازيا لاستعمال العنف الجسدي، إذ لا فرق بين توسل التهديد لإكراه شخص على القبول بفكرة أو القيام بسلوك أو الكف عنه، واستعمال العنف الجسدي لل غاية نفسها<sup>1</sup>.

لقد شكل الخطاب السياسي على الدوام الوجه الأبرز لممارسة السياسة، وحينما تتجسد السياسة بالمعنى الذي تحدث عنه هوبز، حيث الحكم هو أن يحكم الخوف، فإن الخطاب السياسي يصير بذلك مرآة عاكسة للسياسة في بعدها العدوانية.

إن النظر في الحجج التي اعتمدها بنعلي لثني الجماهير عن الاحتجاج يسمح باعتبار الخطاب موضوع الدراسة وجها لسياسة الخوف كما يتصورها هوبز، فسعي المتكلم إلى حمل

<sup>1</sup> - محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، مرجع سابق، ص: 72.

الجماهير على تجنب الموقف المناهض لسلطته والمتمثل في الاحتجاجات، لا ينبغي على حجج عقلية تستهدف الإقناع بقدر ما يتأسس على حجاج التخويف من العقاب. ويمكن أن نلمس ذلك في صورة رد الفعل العدواني الذي يثيره المتكلم إزاء المحتجين.

إن القيمة الرمزية والحجاجية للتهديد بالعقاب لا يمكن أن تؤدي الوظيفة التي سُخرت لأجلها إلا في ظل استعمال محدد للغة، فضلا عن اعتبارات تداولية خارج اللغة من قبيل ممارسة المتكلم لسلطة معينة تخول له صرف المخاطب عن أمر، سواء اتخذت هذه السلطة شكلا من أشكال الرعاية الاجتماعية أو الهرمية الإدارية أو حتى شكل القوة الجسمية.

لكن في مثل الحالات التي يستمد فيها المتكلم سلطته من تفويض الجماعة، فقد لا يكون التأثير بالتخويف عن طريق التهديد مستندا إلى اعتبارات تداولية تجعل الجماعة ترضخ لما يحث عليه المتكلم لأن سلطته تتبع من تمثيل الجماعة، بل إن اللجوء إلى التهديد قد يكون ضربا من التهور الذي قد يعصف بسلطة المتكلم ويقوضها، لأن سلطة الجماعة حينئذ تصبح سلطة موازية.

وهو اعتبار بقدر ما نعتقد أنه من المسلمات في الوعي السياسي، بقدر ما يضعنا أمام إشكال حول طريقة توسل الحجاج بالترهيب في الخطاب السياسي الجماهيري دون حمل الجماهير على أن السلطة التي ينطلق منها المتكلم لا تتعارض مع سلطة الجماعة، وبصيغة السؤال: كيف يمكن للمتكلم السياسي الذي يستمد شرعية سلطته من الشعب أن يحمل الناس على الإذعان لقرار أو الالتزام بفعل تحت طائلة التخويف بالعقاب دون أن يظهر في صورة

الذات العدوانية المعادية لمصالح الجماعة، ودون أن يكون لذلك تداعيات في تفويض سلطته؟

إن التفكير في الإشكال نظريا بعيدا عن الوقوف على ذلك في الممارسة الخطابية يمكن أن يقودنا إلى إجابات بسيطة وغير مبنية على أساس، ولذلك يجدر بنا ونحن إزاء تحليل خطاب **بنعلي** أن نحاول مقارنة الإشكال انطلاقا من الخطاب ذاته في أفق إمكانية توسيع نطاق الإجابة ليشمل الخطابات السياسية الجماهيرية حين تلجأ إلى التخويف بالعقاب.

بالرجوع إلى خطاب **بنعلي** يمكن أن نلمس أن الحجاج القائم على التهيب بالعقاب يتوجه تحديدا إلى عينة محددة من الجماهير، إنهم بالضبط فئة من المحتجين الثائرين على الأوضاع، والذين دخلوا في مواجهات عنيفة مع قوات الأمن في سيدي بوزيد والمناطق المجاورة، وبتعبير المتكلم فهم عصابات أقدمت ليلا على أعمال العنف والاعتداء على مؤسسات الدولة. يقول:

- "أحداث عنيفة دامية أحيانا، أدت إلى وفاة مدنيين، وإصابة عدد من رجال الأمن، أحداث قامت بها عصابات ملثمة، أقدمت على الاعتداء ليلا على مؤسسات عمومية، وحتى على مواطنين في منازلهم في عمل إرهابي، لا يمكن السكوت عنه".

إن ما يعيننا من القول لا يتمثل تحديدا في المحتوى الإخباري من حيث صدقيته، وإنما في طبيعة بنائه الحجاجي، أي ما تؤديه تلك المحتويات الإخبارية من وظيفة حجاجية بالنسبة لنتيجة المتابعة والعقاب التي يفيدها وصف العمل بأنه إرهابي لا يمكن السكوت عنه. فالقول يبنى على سلسلة من الحجج الصغرى التي يسوقها المتكلم ليسوغ التهديد الذي يؤدي بدوره وظيفة حجاجية في الخطاب ككل. وبصيغة أوضح؛ فالتهديد بالعقاب يمثل حجة بالنسبة للبنية الحجاجية الكلية للخطاب، ويمثل نتيجة بالنسبة للبنية الحجاجية لهذا القول، ويمكن

التمثيل لذلك بالسلم الحجاجي التالي:

ن يجب وقف الاحتجاجات

ن/ح ما قامت به هذه العصابات عمل إرهابي لا يمكن السكوت عنه.

- و - اعتدت حتى على المواطنين في منازلهم.
- هـ - أقدمت على الاعتداء ليلا على مؤسسات عمومية.
- د - قامت بها عصابات ملثمة.
- ج - أدت إلى إصابة عدد من رجال الأمن.
- ب - أدت إلى وفاة مدنيين.
- أ - شهدت بعض المدن والقرى أحداثا عنيفة ودامية أحيانا.

يبين السلم الحجاجي أن سلسلة الحجج الصغرى (أ- ب- ج- د- ه- و-) تتجه تراتبيا نحو تسويغ النتيجة التي تفيد أن ما قام به مرتكبو هذه الأعمال عمل إرهابي لا يمكن السكوت عنه، وهي نتيجة تعكس تجريم المتكلم لتلك الأفعال على النحو الذي يستدعي متابعة مقترفيها، ومن ثم تصير هذه النتيجة حجة هيكلية بالنسبة للبنية الحجاجية الكلية للخطاب، ولذلك مثلنا لها برمز (ح/ن) كإشارة إلى أن متابعة من تسببوا في أعمال العنف تمثل نتيجة بالنسبة للبنية الحجاجية للقول، وحجة بالنظر إلى الخطاب ككل.

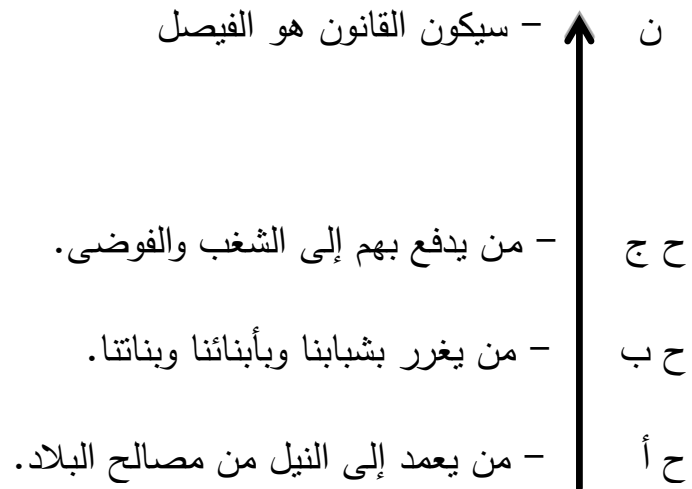
يمكن أن نسجل أيضا أن سلسلة الحجج الصغرى تتخذ وجهة حجاجية واحدة، فهي جميعها تتجه نحو تجريم ما قام به مرتكبو هذه الأعمال، بدءا من وصف الأحداث بالعنفية الدامية، مروراً بإثارة ما خلفته من وفيات وإصابات، وصولاً إلى الحجة (د) حيث يتم تنسيب تلك الأحداث إلى عصابات ملثمة وانتهاء بالحجتين (هـ - و) اللتين تدفعان في اتجاه ربط العمل باعتداء ينطوي على الغدر والترصد (ليلا)، وتترتب الحجتان بشكل يبعد ضمناً استهداف المعتدين للدولة فقط. فإذا كانت حجة الاعتداء على مؤسسات عمومية يمثل تجلياً لاستهداف الدولة بحكم كون هذه المؤسسات رمزا لسيادة الدولة، فإن الحجة التي ترد بعد الربط الحجاجي (حتى) تفيد أن العمل الإرهابي يستهدف أيضا مواطنين أبرياء في منازلهم.

وإذا كانت حجة التهيب بالعقاب في القول السابق تتجه تحديدا نحو من تسببوا في أعمال العنف، فإن متابعة ما يخص به المتكلم هؤلاء من صفات يوسع المرمى الذي يستهدفه حجاج التهيب، بحيث لا يصير مرتبطا بالواقفين خلف أعمال العنف في تلك المدن والقرى

فحسب، وإنما يعني أيضا كل من يحرض على الاحتجاج باعتباره يحث "على الشغب والخروج إلى الشارع بنشر شعارات اليأس الكاذبة وافتعال الأخبار الزائفة"، ليأخذ في ذلك العقاب صبغة قانونية. يقول بنعلي:

"إننا نقول لكل من يعمد إلى النيل من مصالح البلاد، أو يغرر بشبابنا وبأبنائنا وبناتنا في المدارس والمعاهد، ويدفع بهم إلى الشغب والفوضى، نقول بكل وضوح إن القانون سيكون هو الفيصل".

تأخذ البنية الحجاجية المسوغة لنتيجة التهيب بالعقاب في هذا القول الشكل التالي:



فالتهيب بالعقاب لا يقتصر في هذا القول على أولئك الذين يدعي المتكلم أنهم عصابات ملثمة كانت وراء أحداث العنف التي شهدتها بعض المدن، وإنما تتوسع دائرة التهيب لتشمل كل من يحرض على الاحتجاج، باعتبار ذلك سعيًا إلى النيل من مصلحة البلد ودفعًا في

اتجاه الفوضى والشغب.

لقد عمد المتكلم إلى الاستعاضة عن تسمية "الاحتجاج" بالفوضى والشغب والسعي إلى النيل من مصلحة البلد حتى يتم تسويغ العقاب في إطار القانون، ومن ثم فإن أي محاولة لتعبئة الجماهير وتحفيزهم على الاحتجاج بغض النظر عن سلميته، يعد تغريرا وتحريضا على الفوضى، وهو ما يقتضي من الدولة التصدي له باعتبارها السلطة الساهرة على تطبيق القانون ورعاية الشؤون الداخلية للوطن.

يمكن للمتأمل في البنية الحجاجية للقول أن يلاحظ أن الحجة المفروض أن تكون أقوى في دعم النتيجة ترد في قول المتكلم في مرتبة أدنى من السلم الحجاجي، فحجة السعي إلى النيل من مصالح البلد أكثر قوة في تسويغ العقاب بالقانون، لكن المتكلم يقدم عليها حجتين أضعف هما على التوالي: التغرير بالشباب، ثم الدفع بهم إلى الشغب والفوضى، وهو ما يُفسر على الأرجح بأن هاجس المتكلم يتمثل في الاحتجاجات باعتبارها تهديدا حقيقيا لسلطته، أكثر مما يتمثل في كون هذه الاحتجاجات تهديدا لمصلحة البلد.

إن الخلاصة التي يمكن الظفر بها من تحليل إستراتيجية الترهيب بالعقاب من الداخل هو أن المتكلم لا يوظفها إلا من خلال التأسيس لها بحجج صغرى تضي عليها المشروعية، ومن ثم تبديد طابع الديكتاتورية والطغيان عن المتكلم، ليأخذ طابع المسؤولية في حماية مصلحة الوطن والمواطنين.

## 1-2- إستراتيجية الحجاج بشيظة الموقف المعارض

يعمد بنعلي في خطابه إلى هذه الإستراتيجية بشكل أكثر تهويلا، ففي سعيه إلى حمل الجماهير على الإذعان لوقف الاحتجاجات، عمد المتكلم إلى شيظة الواقفين خلفها باعتبارهم طرفا يتربص بالمصلحة الوطنية خدمة لأطراف إرهابية من خارج الوطن.

إن الأمر لا يتعلق بمجرد حجة صغرى تضطلع بدورها في قول محدد ضمن الخطاب، وإنما بإستراتيجية ارتكازية في الخطاب ككل، يقوم اشتغالها على مجموعة من الحجج الصغرى التي تستدرج المخاطب لقبول الادعاء أو على الأقل احتمالها. وهي حسب باتريك شارودو من الإستراتيجيات التي يعمد إليها عادة المتكلمون السياسيون للتلاعب بالمخاطب وتطويعه عن طريق وصف الشر باعتباره شكلا يهدد المصلحة العامة<sup>1</sup>.

يدشن المتكلم التأسيس لهذه الإستراتيجية انطلاقا من اعتبار الأحداث الدامية التي شهدتها بعض المدن والقرى نتيجة لعمل إرهابي، ثم يعمد المتكلم إلى إسنادها إلى أطراف يميزها كرهها لمصلحة البلد، وهو ما يبرر استغلالها لحادثة البوعزيزي لحث المواطنين على التظاهر وإثارة الفوضى والشغب، قبل أن يزعم أن تلك الأطراف لا تمثل إلا أقلية من المناوئين المأجورين لخدمة أطراف التطرف والإرهاب خارج الوطن.

تغطي هذه الإستراتيجية حيزا نصيا مهما في خطاب بنعلي، ويمكن أن نسوق ما يجسد لها

<sup>1</sup> – Patrick Charaudeau, "Le discours de manipulation entre persuasion et influence sociale", op.cit, p:9.

من الخطاب:

" أتوجه اليوم إليكم على إثر ما شهدته بعض المدن والقرى بعدد من الجهات الداخلية من أحداث شغب وتشويش وأضرار بالأملاك العمومية والخاصة... في عمل إرهابي لا يمكن السكوت عنه".

" أحداث وراءها أياد لم تتورع عن توريط أبنائنا من التلاميذ والشباب العاطل فيها، أياد تحث على الشغب، والخروج إلى الشارع بنشر شعارات اليأس الكاذبة وافتعال الأخبار الزائفة، استغلت بدون أخلاق حدثا أسفنا له جميعا..".

" إن هذه الأحداث أعمال قلة من المناوئين الذين يغيظهم نجاح تونس، بل يسوؤهم ويحير نفوسهم ما تحقق لها من تقدم ونماء..".

" لقد ركب هؤلاء المغالطون موضوع البطالة بتوظيف حالة يأس فردية مثلها يتكرر في جميع المجتمعات وفي عديد الأوضاع، مناوئون مأجورون ضمائرهم على كف أطراف التطرف والإرهاب التي تسيرها من الخارج أطراف لا تكن الخير لبلد حريص على العمل والمثابرة".

تكمن الوظيفة العجاجية لهذه المزاعم في أن كل زعم هو بمثابة حجة تغذي نتيجة مفادها: أن الاستمرار في الاحتجاجات انصياح لفعل كيدي تحركه أطراف حاقدة تستهدف النيل من

استقرار الوطن ونسف ما تحقق له من تقدم ونماء. ويمكن اختصار الخطاظة الحجاجية التي تحكم بناء هذه الإستراتيجية على النحو التالي:

النتيجة: أولئك الذين يدفعونكم إلى الاحتجاج لا تهمهم مصلحة الوطن والشعب، فهم يسعون لضرب استقرار الوطن ونسف ما تحقق له من تقدم



- هذه القلة مأجورة لخدمة أطراف التطرف والإرهاب.



- هذه الأحداث أعمال قلة من المناوئين الكارهين لمصلحة الوطن.



- وراء هذه الأحداث أياد تحت على الشغب والفوضى وتحرض على الاحتجاج.



- ما تعرضت له بعض المدن والقرى من أحداث عنيفة ودامية عمل إرهابي.

تتدرج المزاعم الثلاثة القريبة من النتيجة كمنطلقات حجاجية ضمن الافتراضات، فهي ليست حقائق أو وقائع في موضع موافقة عامة، وإنما هي تصورات ذاتية لا ينفصل تمثلها عن استحضر الذات السياسية لمصلحتها في الحفاظ على السلطة، أما الزعم الأول الذي يشكل قاعدة الانطلاق بالنسبة لباقي المزاعم، فإنه وإن كان واقعة فإن تقديمها لا يعكس الوجه الكامل للحقيقة، ذلك أن المتكلم ينحاز في عرض الواقعة إلى تقديم رجال الأمن كضحية (إصابة عدد من رجال الأمن)، شأنهم كشأن بعض المواطنين الذين لا صلة لهم بالاحتجاجات، لحمل المخاطب على أن رجال الأمن كانوا في موقف دفاع وحماية للمواطنين إزاء الهجوم الذي قامت به هذه العصابات الملتزمة، ومن ثمة إسناد قتل المواطنين لها، وتبرئة رجال الأمن الممثلين للنظام الحاكم، للتعتيم على أن تدخل قوات الأمن لفض تجمعات المتظاهرين ليلاً أدى إلى التصادم والمواجهة بين الطرفين، وهو ما خلف وفيات في صفوف المحتشدين في الشوارع والأزقة والأماكن العمومية، دون أن يخلف بين صفوف قوات الأمن إلا مجرد إصابات لأنهم مدججين بالأسلحة النارية التي لا تسمح بالاقتراب منهم.

وبهذا التكييف الحجاجي للواقعة يبني المتكلم افتراضه الأول الذي يعمد فيه إلى أن تلك الأحداث عمل إرهابي، ومن ثم إلى الافتراضات الأخرى لنسف فاعلية الإقناع في الموقف المعارض الداعي للاحتجاج. فإذا كانت الاحتجاجات هي التجلي الذي يأخذه هذا الموقف، وكانت فاعلية الإقناع فيه مبنية على مطالب اجتماعية واقتصادية واستتكارا للفساد وغياب الحرية والعدالة، فإن ربط المتكلم للاحتجاجات بالشغب والفوضى ينزع عن السلطة صفة

التقصير في حق الشعب، كما أن ربطه إياها بقلة من المتظاهرين ينزع عن هؤلاء المصادقية في الحديث بلسان الشعب، وتبلغ ذروة هذه الإستراتيجية مداها في شيطنة المحتجين بإدعاء خدمتهم لطرف إرهابي خارجي.

إن المظهر السجالي لهذه الإستراتيجية، كما يجسد ذلك توجهها إلى نفس الخطاب المخالف في إطار الحوارية المفترضة بين خطاب المتكلم وخطاب المحتجين، لا يكتسي أهمية إلا ضمن التوجه إلى الجماهير لتقويض ثقتها بمصادقية الاحتجاجات عن طريق تقويض صورة الواقفين خلفها، فأولوية الرهان الخطابي من هذه الإستراتيجية لا تكمن في التهجم على المحتجين كغاية في حد ذاتها، وإنما في تشويهم وتخوينهم في اعتقاد عامة الناس، ليسهل حملهم على الالتفاف حول السلطة والانصياع لحثها على عدم الانخراط في الاحتجاجات.

لا يتعلق الأمر هنا بالنسبة للذات السياسية كما يقول شارودو "بإقامة الحقيقة بقدر ما يتعلق بأن يكون الحق في صالحها"<sup>1</sup>، فالادعاءات التي تؤسس لشيطنة المحتجين لا تستند إلى حقائق أو وقائع يقينية حولها إجماع غالبية الناس، وإنما إلى واقعة طوعها المتكلم لنتناسب مع باقي الافتراضات التي تفتقد بدورها إلى اعتبارات تسوغها، فاتهم المتكلم المحتجين بأعمال العنف والفوضى مبني على بعض الحالات التي شهدت المواجهة بين قوات الأمن والمحتجين، ولا يمكن أن يشمل الحكم تلك المسيرات السلمية التي قاموا بها، وهو ما يبطل

<sup>1</sup> – Patrick Charaudeau, "Quand l'argumentation n'est que visée persuasive, L'exemple du discours politique", op.cit, p:28.

الادعاء، كما أن تقديم المحتجين على أنهم قلة تحركهم قوى إرهابية من الخارج لا يستند في الخطاب إلى اعتبارات تسوغه، فهو مجرد اتهام يعكس تصورا ذاتيا بدون أي موجب إثبات.

### 1-3- إستراتيجية الحجاج المستهدف لبناء صورة الذات

قد يكون ضريبا من المستحيل الحديث عن الفاعلية التأثيرية في الخطاب السياسي في معزل عن الصورة التي تتسرب إلى الأذهان عن المتكلم، لأن تقديم الذات لا يتعلق في الخطاب السياسي بإظهار للخصائص والسمات الواقعية التي تميز الذات، بقدر ما يتعلق بجعل الذات تبدو في صورة معينة لإحداث التأثير، وهو ما يسميه ليري وكواليسكي (Leary et Kowalski 1990) "إدارة الانطباع"، في إشارة إلى العملية التي يسعى من خلالها المتكلم إلى التحكم في انطباعات الآخرين عنه<sup>1</sup>.

إن صورة الذات بهذا المعنى هي المظهر الذي يبينه المتكلم عن نفسه خدمة لرهان تأثيري، لذلك فالأمر لا يتعلق بصورة المتكلم الواقعية في استقلال عن الخطاب، وإنما تحديدا بصورة المتكلم في الخطاب، أي الانطباع الذي يمنحه المتكلم عن ذاته بواسطة الخطاب.

بالرجوع إلى خطاب بنعلي، يمكن أن نحدد من المظاهر الطاغية في بناء صورة الذات مظهرين، تأخذ صورة الذات في أحدهما صورة إيجابية تحفز على وقف الاحتجاجات عن طريق تثمين جهود الذات على النحو الذي يشعر الجماهير بانتفاء التقصير من طرف

<sup>1</sup> - Ruth Amossy, "L'éthos et ses doubles contemporains Perspectives disciplinaires", Langage & Société n° 149 septembre 2014, p : 17.

المتكلم، بينما تأخذ صورة الذات في المظهر الثاني بعدا سلطويا يحمل على الإذعان لوقف الاحتجاجات بشكل قهري.

يقوم المظهر الأول على تقديم الذات كشخصية متفانية في خدمة الشعب، ويتجلى ذلك في تتمين المتكلم لجهوده في النهوض بالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للمواطنين من خلال الإشادة بجهوده في التشغيل والاهتمام بالقدرة الشرائية للمواطنين، ويمكن أن نلمس ذلك على وجه التمثيل لا الحصر من خلال أقواله التالية:

- " والجميع يعلم كم نبذل من جهود للتشغيل، التشغيل الذي جعلنا منه دوما أوكد أولوياتنا، والجميع يعلم كم هي كبيرة عنايتنا بحاملي الشهادات العليا، الذين كما قلت نعتز بأعدادهم المتكاثرة، ونعمل على رفع التحدي الذي تطرحه هذه الأعداد، لأن خياراتنا التربوية من ثوابت مشروعنا الحضاري والسياسي، وإجبارية التعليم ومجانيته مبدآن لا محيد عنهما رغم ما يكلفانه من ضريبة اجتماعية واقتصادية، ونشر المؤسسات الجامعية في كامل جهات البلاد دون استثناء واقع ندعمه في كل مرحلة ولن نتراجع عنه".

- "إن سياستنا التعليمية مثلها مثل سياساتنا بشأن الأسرة والمرأة والشباب والطفولة، وكذلك ما تبذله الدولة من جهود للإحاطة بضعاف الحال، والحفاظ على القدرة الشرائية ودعم أسعار المواد الأساسية الذي يكلف الميزانية ما يفوق 1700 مليون

دينار سنويا، نعم 1700 مليون دينار سنويا هي من مفاخرنا. ولن نتردد في تفعيلها رغم محدودية مواردنا المالية والطبيعية".

إن الصورة التي تتقمصها الذات في الخطاب ليست إلا صدى لصورة مناقضة تسربت إلى الوجدان والتفكير الجمعي لدى أغلبية من الشعب، يعتمد المتكلم إلى تغييرها، أو على الأقل ترميم بعض من جوانبها بما يحفظ الشرعية.

يقوم بناء صورة الذات في الفقرتين السابقتين من الخطاب، على تدبير إستراتيجي محكم، يصعب من مهمة الطعن فيه بالنسبة للجماهير المخاطبة، فالمتكلم وهو ينزع إلى تقديم نفسه كشخصية تولي عنايتها بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية للشعب، لا ينفى الواقع والوضع الذي تعيشه فئة من المواطنين التونسيين، وإنما يقدمه كتحدٍ يجعل من طموح الذات إلى التغلب عليه، شخصية واعية ومسؤولة.

فإذا كان المتكلم لا يستطيع أن ينكر تزايد البطالة، فإن تثمينه لجهوده في التشغيل يخلق صورة الرئيس غير المقصر، كما أن تزايد أعداد المتخرجين من حاملي الشواهد الجامعية، يصبح في إستراتيجية بناء الذات بمثابة أفضال استثنائية بالنسبة لحرصه على إجبارية التعليم ومجانيته، ثم إن إثارته لما تخصصه الدولة لدعم القدرة الشرائية لضعاف الحال والعناية بالأسرة والمرأة والشباب، يضيف على المتكلم بعدا أخلاقيا يتجسد في إحساسه ووعيه بما يعانيه الفقراء.

بهذا فصورة الذات غير المقصرة تجاه الشعب كما يؤسس لها المتكلم، ليست صورة منعزلة عن أهم القضايا التي حركت الاحتجاجات، وإنما تنطلق من تلك القضايا، لكن ليس بتمثلها مشكلات كما يتمثلها المحتجون، بل كأولويات بالنسبة للذات: "التشغيل الذي جعلنا منه دوماً أوكد أولوياتنا"، "إجبارية التعليم ومجانيته مبدآن لا محيد عنهما"، "إن سياستنا التعليمية مثلها مثل سياساتنا بشأن الأسرة والمرأة والشباب والطفولة، وكذلك ما تبذله الدولة من جهود للإحاطة بضعاف الحال، والحفاظ على القدرة الشرائية".

بيد أن هذه الأولويات قد تصطدم بعقبات وتحديات لا يمكن أن تبخس السعي إلى تحقيق تلك الأولويات والمسعى، ومن تلك العقبات التي يعمد المتكلم إلى إثارتها: "التحدي الذي تطرحه هذه الأعداد" (أعداد الخريجين من الجامعات الباحثين عن عمل)، "إجبارية التعليم ومجانيته ... رغم ما يكلفانه من ضريبة اجتماعية واقتصادية"، "محدودية مواردنا المالية والطبيعية". وبهذا تنبثق صورة الذات غير المقصرة في واجبها نحو الشعب.

أما المظهر الثاني الذي يتسرب عن الذات في خطاب بنعلي فقهري يلزم بالإذعان تحت جبروت السلطة التي تخول للمتكلم أن يعاقب في حالة العصيان، حيث تظهر صورة الرئيس الصارم تجاه كل من سولت له نفسه الاعتراض باعتباره يسعى إلى النيل من مصالح البلد والشعب سواء بإثارة الفوضى أو التحريض عليها.

إن الاحتجاج كما يتمثله المتكلم ليس استنكاراً للأوضاع الاجتماعية وتطلعا إلى العيش بكرامة، وإنما هو فوضى وشغب، ولذلك سعى المتكلم من خلال التهديد بالعقاب إلى بناء

صورة الشخصية الحازمة من أجل إثارة الخوف والرعب في نفوس المحتجين لوقف المظاهرات.

إن هذا المظهر الذي تأخذه الذات منصره بشكل ضمني في إستراتيجية التهيب بالعقاب، لذلك فإننا لا نفصل فيه أكثر اكتفاء بما تناولناه ضمن الحديث عن التهيب بالعقاب.

## 2- أبعاد التضليل والتغليب الحجاجي

### 2-1-الالتباس

ينتج عن التباس القصد عادة في التواصل سوء الفهم، وقد يفضي ذلك في الأمور التي تستدعي اتخاذ أو القيام بفعل إلى التصرف على نحو مغاير للتصرف الذي كان سيُتخذ لو انجلى القصد، والسائد في مثل حوارات التفاوض السياسي أن المعنى الذي يُحمل عليه المخاطب على أنه قصد، عادة ما يتم استدعاؤه على النحو الذي يوهم بخدمة مصلحة هذا المخاطب، كحجة تدفعه إلى التسليم بالقضية التي يدافع عنها المتكلم، مع أن القول ينطوي على معنى آخر يصب في مصلحة المتكلم. وفي حالة تفتن المخاطب لاحتيال المتكلم، فإنه لا يعسر على هذا الأخير أن يتكرر لما فهمه المخاطب ليعيد توجيه المعنى، "ويتم هذا وفق أساليب من قبل الحذف والزيادة والإضمار والنقصان والتقديم والتأخير والإفراد والتعميم وتردد الضمير بين أكثر من استخدام، وغيرها من الأساليب التأليفية المخلة بالفهم"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، مرجع سابق، ص:185.

نلمس إستراتيجية تلبيس القصد هذه في خطاب بنعلي من خلال قوله:

"وكنا أدنا منذ أيام الوزير الأول بالاتصال برجال الأعمال، والاجتماع بالاتحاد التونسي للصناعة والتجارة، لحثهم على المساهمة في دعم هذه الجهود بانتداب ما يضاهاى 4% من مجموع إطارات مؤسساتهم من بين حاملي الشهادات، أي ما يقارب 50 ألف انتداب جديد في الجهات، وقد لبوا مشكورين دعوتنا، وقد أدنا الحكومة بالمساعدة على تنفيذ هذه المبادرة ومتابعتها".

يقدم المتكلم ضمن هذا الملفوظ اتصاله برجال الأعمال والاتحاد التونسي للصناعة والتجارة حول تخصيص 64% من مجموع إطارات مؤسساتهم لحاملي الشهادات كحجة تدعم جهوده في خلق فرص جديدة للشغل، غير أن المتكلم وهو يقول: "وقد لبوا مشكورين دعوتنا"، يكون قد ركب الالتباس، حيث المعنى يتردد بين تلبية الدعوة إلى عقد مشاورات وتلبية المطالب من هذه الجهات، أي خلق فرص جديدة للعمل.

يببدو المعنى الأول أقل فعالية في الإقناع ما دام لا ينطوي على حل لأزمة البطالة، إذ لا يتجاوز المعنى مبادرة المتكلم إلى الاتصال ببعض الجهات من أجل حثها على الاسهام في خلق فرص جديدة للعمل، واستجابة هذه الأطراف لدعوة الاتصال، دون إفادة المعنى لخاصة الاجتماع وحصيلة اسهام هذه الجهات.

مقابل ذلك، يعزز ادعاء المتكلم إعطاء الحكومة إذن تنفيذ هذه المبادرة حمل المخاطب على

أن الاتصال برجال الأعمال والاتحاد التونسي للتجارة والصناعة، قد أثمر فعلا الاتفاق على تخصيص عدد مهم من المناصب لحاملي الشهادات، فالمتكلم وهو يقول "وقد أذنا الحكومة بالمساعدة على تنفيذ هذه المبادرة ومتابعتها"، فإنه يدفع المعنى السابق نحو ما يفيد استجابة تلك الجهات لمطالب خلق فرص جديدة للشغل والتزامها بذلك كمبادرة ستعمل الحكومة على متابعة تنفيذها.

وإذا كنا نرجح أن المتكلم قد قصد المعنى الثاني، فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا لم يتم التصريح به بوضوح بما لا يفتح المجال أمام أي تأويل آخر، مع أن هذا المعنى يخدم فعلا حاجية الدفاع عن البقاء في المنصب وإقناع الجماهير الغاضبة بوقف الاحتجاجات؟ من المستبعد أن يكون ذلك انزلاقا عفويا ونحن في خطاب يخص متكلمنا يمثل رأس هرم السلطة، ويشرف على إعداد خطبه مستشارون قبل أن يبدي هو آخر ملاحظاته.

إن مقصد المتكلم كما نرجح هو حمل المخاطب على أن الاتصال برجال الأعمال ومسؤولي الاتحاد التونسي للصناعة والتجارة، قد أثمر الالتزام بخلق مناصب جديدة للشغل، غير أن عدم التصريح بذلك بما يفيد معنى قطعيا لا يسمح للمتكلم بالنتكز لمحتوى ادعائه، قد يُفسر باحتراز المتكلم وتركه مجالا للمناورة في القصد، وتلك إستراتيجية يُعتمد إليها عادة لتمير ادعاء دون تحمل مسؤولية مقصديته ما دام المعنى تأويليا من جهة المخاطب.

## 2-2- مغالطة الخبير المجهول

تتحدد مغالطة الخبير في كون المتكلم لا يبني حكما حجاجيا انطلاقا من مقدمة تستند إلى خبرة اختصاصية توافق موضوع الحجاج، كأن يتم إقحام رأي أحد الخبراء كحجة لدعم نتيجة ما مع أن مجال اختصاص الخبير ليس المجال الذي أقحم فيه، أو أن يتم زعم خبرة دون وجه حق لتأكيد نتيجة ما.

ويدخل ضمن مغالطة الخبير هذه ما يُطلق عليه سفسطة الخبير المجهول، وهي سفسطة كثيرة الورد في أحاديث الناس بصيغ متنوعة، تلتقي كلها في صورة مشتركة وهي الحجاج بالخبير دون التصريح بهويته، فعادة ما يصدر البعض كلامه بصيغ من قبيل "يرى الخبراء أن...، أو لقد أجمع العلماء أن...<sup>1</sup> سعيا بوعي أو بغير وعي إلى سد منافذ إبطال الحكم أمام المخاطب بحجة تقوم على خبرة مختصين مجهولين.

نلمس هذه المغالطة في خطاب **بنعلي** في صدد ادعائه نماء تونس وتقدمها، يقول:

"إن هذه الأعمال أعمال قلة من المناوئين الذي يغيظهم نجاح تونس، بل يسوؤهم ويحير نفوسهم ما تحقق لها من تقدم ونماء تشهد به كل المؤسسات والهيئات الدولية والأممية المعروفة بالنزاهة".

<sup>1</sup> - رشيد الرضي، الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت لبنان،

الطبعة الأولى 2010، ص: 25

يمثل الحكم بتقديم تونس نتيجة حاجية لمقدمة مستندة لشهادة مؤسسات ذوات خبرة، حيث المتكلم يدعم الحكم بخبرة كل المؤسسات والهيئات الدولية والأممية المعروفة بالنزاهة، لكنه لا يحدد هوية هذه المؤسسات بما يسمح بالنظر في القيمة الاعتبارية للخبراء المزعومين وأحقيتهم في تقديم الحكم.

تتوي حجة الخبير المجهول هذه بعدا آخر من مظاهر التغليف، فالمتكلم وهو يوهم بمصداقية الحجة كونها شهادة مؤسسات متخصصة هي أهل للحكم، يقصي ضمنا خبرة مؤسسات أخرى كحجة تفند القضية التي يسعى إلى إثباتها عن طريق مسوغ حاجي آخر يستفاد على وجه التقابل من وصف المؤسسات التي تعتبر حجة على أنها معروفة بالنزاهة، أي أن المؤسسات الأخرى التي لا تشهد بنماء وتقدم تونس غير معروفة بالنزاهة، لكن الحكم بنزاهة هذه المؤسسات الخبيرة لا ينتسب في حد ذاته إلى هوية محددة خطابيا، وبصيغة أوضح فادعاء "معروفة بالنزاهة" لا يقدم الإجابة عن سؤال: معروفة عند من؟ وهو ما يعني أن صفة "النزاهة" التي تضيفي على هذه المؤسسات الخبيرة مصداقية الحكم لا ترجع إلا إلى تقدير ذاتي من طرف المتكلم، وواضح أنه تقدير منحاز إلى النتيجة.

وفضلا عن كون التفريق بين المؤسسات والهيئات النزيهة وغير النزيهة يخضع للذاتية ولا يمكن الاتفاق بشأنه دائما - فما قد يكون معروفا بالنزاهة عند جهة معينة، قد يكون معروفا بالتحيز بالنسبة لجهة أخرى- فإنه حتى لو تم التسليم بأن المتكلم جدير بالحكم على نزاهة هذه المؤسسات من عدمها، فإن حكمه يبقى خاليا من صرامة حاجية تربط اقتضاء حكم

القيمة بمصادقية المؤسسة الخبيرة، لأن مثل هذه الأحكام عادة ما تخضع لحكم الأغلبية، وحجة "معروفة بالنزاهة" التي يدعم بها المتكلم حجة الخبير لا تتضح مرجعيتها.

### 2-3- مغالطة رجل القش

تقوم هذه المغالطة كما يوحي بذلك اسمها على تقويض حجاجية الرأي المخالف من خلال التركيز على أضعف حجة في الموقف، أو إعادة صياغة حججه بشكل مسرف في التبسيط ليسهل نقضه، كرجل القش الذي يسهل تحطيمه بضربة واحدة<sup>1</sup>، حيث يعمد من يتوسل هذه المغالطة إلى تجاهل الحجج القوية المدعمة للموقف المخالف أو يعيد تعديلها على نحو ينطوي على اختزال أو تحريف ليوهم أن دعوى هذا الموقف باطلة.

وتأخذ هذه المغالطة الصورة العامة التالية<sup>2</sup>:

- زيد يدعي القضية (ق).
- عمرو يورد القضية (ق1) وهي صورة محرفة من القضية (ق).
- عمرو ينتقد (ق1).
- إذن (ق) كاذبة وعارية من الصحة.

ويمكن أن تأخذ هذه المغالطة أوجه عديدة من بينها:

<sup>1</sup> - رشيد الرضي، الحجاج والمغالطة، مرجع سابق، ص:33.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص:33.

أ- أن يتم التركيز على الحجج أو الحجة الضعيفة التي يبنى عليها الموقف المعارض مع تجاهل الحجج القوية لبناء الانطباع ببطلان الدعوى.

ب- أن يتم تقديم حجج الموقف المعارض بشكل تبدو فيه ضعيفة نتيجة التبسيط الذي يلجم قوتها، أو بفعل التحريف والتشويه الذي يفقدها القوة.

ج- أن يتم اختيار شخص يدافع عن الموقف المعارض بطريقة غير قوية من بين مجموعة من الأشخاص الممثلين لهذا الموقف، ثم نقض حججه للدعاء أن موقف المجموعة المخالفة تم إبطاله ككل.

بالعودة إلى خطاب **بنعلي** يمكن أن نلمس أن القضية التي استأثرت باهتمام المتكلم هي قضية البطالة، ويرجع ذلك أساسا إلى كونها إحدى أهم القضايا التي حركت المظاهرات بعد حادثة إحراق البوعزيزي لنفسه احتجاجا على تضيق السلطة على نشاطه كبائع متجول.

ما يهمنا من هذا أن قضية البطالة تمثل بالنسبة للجماهير الغاضبة المحتجة خلفية عجاجية يرتكز عليها موقفها الداعي للاحتجاج، فالجماهير ترى أن تزايد نسب الشباب الذين لا يجدون فرصة عمل مستقرة، خصوصا في صفوف الحاصلين على شواهد جامعية في ظل الفقر وارتفاع الأسعار، يشكل حافزا على الخروج لاستنكار الأوضاع.

ومن تم، فحالة البوعزيزي كما يتمثلها خطاب المحتجين ليست سوى نموذجا لأحوال نماذج كثيرة من الشباب الذين فضلوا خلق فرصة عمل ترقية لأنفسهم كمصدر مشروع لطلب

الرزق، بدل اللجوء إلى مصادر غير مشروعة أو المخاطرة بالهجرة غير الشرعية في قوارب الموت كما يفعل آخرون في ظل تقصير الدولة أو سوء تدبيرها في ملف التشغيل.

في خطاب بنعلي يستند إبطال مصداقية الاحتجاجات إلى تقديم حجة البطالة في صورة ضعيفة، حيث يقدمها المتكلم كقضية تعاني منها كل بلدان العالم على النحو الذي يدمر استفحال المشكلة في تونس مقارنة ببلدان أسوأ، ويهون في الوقت نفسه التضايق منها بما يفيد أن المشكلة إذا عمت هانت، يقول:

" ... بلدان العالم التي تعاني كلها من البطالة، فالبطالة ليست حكرا على تونس ولا تونس هي الأسوأ حالا بالنسبة إلى غيرها في هذا المجال..".

فإذا كان هذا القول لا ينفي وجود البطالة، فإنه يتجه إلى تجريديها من قيمتها في التحفيز على التظاهر، فالمتكلم وهو يربط البطالة بكل بلدان العالم يثير بشكل ضمنى تعايش الشعوب مع البطالة، حيث يرمي إلى أن كل البلدان فيها بطالة وليس كل البلدان فيها احتجاجات.

يكنم إضعاف حجة البطالة وتهوينها في قول المتكلم خلف عجز كل بلدان العالم في القضاء على البطالة، حيث يحيل ضمنا على أن البطالة لا يمكن أن تكون مسوغا للاحتجاجات، ووجه التغليف في ذلك أن ربط فشل الدولة في القضاء على البطالة بفشل كل

دول العالم يمكن أن يحمل على وجود تكافؤ في قيمة المجهودات المبذولة، في حين أن مجهودات الدولة قد تكون أقل من مجهودات الدول التي تتم مقارنتها بها.

وإذا كان هذا القول ينطوي على إضعاف حجة البطالة في التحفيز على الاحتجاجات، فيمكن أن نلمس في تحريف تجلي الهروب من البطالة في حادثة البوعزيزي وجها آخر من مظاهر التغليب، فإذا كان خطاب المحتجين يتمثل حالة البوعزيزي إفرزا جوهريا للبطالة، وتجليا لحالة معظم الشباب الذين يجدون أنفسهم محاصرين بين شبح البطالة وعدم مساعدة الدولة لهم، فإن المتكلم يقدم حالة البوعزيزي كحالة يأس ليبعد ردها إلى البطالة كعامل أولي في وقوع الحادثة. ويمكن استجلاء ذلك بالتركيز على الصورة التي يقدم بها المتكلم الحادثة من خلال الأقوال التالية:

- "... استغلت بدون أخلاق حدثا أسفنا له جميعا وحالة يأس نتفهمها كانت جدت بسيدى بوزيد منذ أسبوعين. "

- " لقد ركب هؤلاء المغالطون موضوع البطالة بتوظيف حالة يأس فردية، مثلها يتكرر في جميع المجتمعات وفي عديد الأوضاع.. "

- " ... . ولم يبق للمغالطين غير ركوب الحالات اليائسة..."

يمثل تقديم حالة البوعزيزي كحالة يأس فردية تحريفا للوجه الذي هي عليه في خطاب المحتجين، فالمتكلم يقدمها بشكل مسرف في البساطة، إذ يعمد إلى اعتبارها حالة نفسية

هزمها اليأس ليضعف ردها إلى عامل البطالة، كما يعمد إلى اعتبارها حالة فردية لجعلها استثناء لا يقاس عليه.

وبهذا يتجسد تحريف الحجة في وجهين؛ فالمتكلم حين يقدم حادثة البوعزيزي كحالة يأس يغلب الدوافع النفسية في الحادثة بالقدر الذي يعتم على الباعث الجوهري في تولد هذه الدوافع ممثلاً في البطالة قبل التضيق الذي تعرض له الشاب من طرف السلطة؛ ومن جهة ثانية، فحين يقدم المتكلم الحالة كاستثناء فردي، فإنه يسرف في تبسيطها إلى الحد الذي يشوه حقيقة وجود شباب كثير أمثال البوعزيزي، لا يجدون فرصاً للشغل مما يخلق لديهم حالة من الشعور بالظلم والتهميش.

## الفصل الثاني:

### الإستراتيجيات التداولية

### والعجاجية وأبعاد التطوع في

### نموذج من خطاب حسني مبارك

## المبحث الأول:

### السياق العام لخطاب حسني مبارك<sup>1</sup>

لقد أظهرت الثورة التونسية أن أي نظام للحكم مهما بلغت قوة استبداده، فإنه لا يمكن أن يتحكم في إرادة الشعب رغما عنه، وأنه لا يمكن أن يصمد طويلا في وجه رياح الغضب الشعبي إذا كانت قوية ومستمرة. فقد استطاعت ثورة تونس أن تطيح بالنظام في أقل من شهر على اندلاع الشرارة الأولى، بعد أن حكم لمدة ثلاثا وعشرين سنة تقريبا. ورغم أن ذلك كلف أرواحا وخسائر مادية، فقد كسر لدى الشعوب العربية حاجز الخوف من ردة فعل أنظمتها، وحفزها ذلك على الخروج للمطالبة بتحسين أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية، قبل أن يرتفع سقف المطالب إلى المطالبة بإسقاط النظام كما حصل في مصر وليبيا واليمن وسوريا.

إن الثورة على النظام في أي مجتمع سياسي لا تولد من فراغ، وإنما تتبني على تراكمات من الأزمة والتوتر بين النظام السياسي الحاكم والشعب، والمتأمل لأوضاع مصر قبل ثورة 25

---

1 - محمد حسني السيد مبارك وشهرته حسني مبارك، ولد بكفر محافظة المنوفية في 4 ماي 1928. تلقى تكويننا عسكريا وتخرج من الكلية الجوية سنة 1950، وتدرج في المناصب العسكرية حتى صار رئيسا لأركان حرب القوات الجوية المصرية، وهو المنصب الذي ظل يشغله حتى تعيينه قائدا للقوات الجوية ونائبا لوزير الدفاع عام 1972، وفي عام 1975 اختاره محمد أنور السادات نائبا لرئيس الجمهورية، وعقب اغتيال السادات سنة 1981 تقلد حسني مبارك رئاسة الجمهورية بعد استفتاء شعبي، وجدد فترة ولايته عبر استفتاءات في الأعوام 1987، 1993، و1999، ثم انتخابات 2005 التي جعلت انتخاب الرئيس بالاقتراع السري بتعديل دستوري، واستمر مبارك في الحكم إلى أن أُجبر على التنحي في 11 فبراير عام 2011 نتيجة الاحتجاجات الشعبية العارمة التي شهدتها مختلف المدن والمحافظات المصرية. تعتبر فترة حكمه الأطول بين ملوك ورؤساء مصر منذ محمد علي باشا.

يناير 2011 والتي تعكسها مطالب المحتجين، يجد أن الاحتقان بين السلطة الحاكمة والشعب يُعزى أساسا إلى سوء الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للمواطنين نتيجة الفقر والبطالة وارتفاع الأسعار وتدني مستويات التنمية، موازاة مع تغلغل الفساد وانتهاج النظام الحاكم لسياسة الإقصاء من المشهد السياسي لأي تنظيم يمكن أن يشكل خطرا عليه، كما كان الحال مع جماعة الإخوان المسلمين، مقابل التحكم في القوى التقليدية للمعارضة وفق حدود يحددها النظام، وهو ما انقاد له حزب الغد وحزب الوفد وحزب التجمع وحزب الوسط، فقد سمح النظام لأحزاب المعارضة بهامش من النقد الذي يعطي صورة عن ديمقراطية النظام خصوصا في المحافل الدولية، ولذلك ظلت هذه الأحزاب جزءا من النظام، يستخدمها لتحسين صورته<sup>1</sup>.

لقد كان الشعب المصري في غضون السنوات الأخيرة من حكم مبارك قابلا للانتفاض وسحب الشرعية من النظام، كما يؤكد ذلك وائل غنيم، "فمستوى غضب الشارع في مصر لم يكن له مثيل، لم يكن بين الشعب والثورة غير حاجز الخوف وإيمان كل شخص أنه حتى لو تجرأ فبالتأكيد سيجد نفسه وحيدا، وكلما كان الشعب يتحمل أنواع الظلم ولا يثور، كلما تمادى

<sup>1</sup> - أمل حمادة، "25 كانون الثاني/يناير 2011 القائد والفاعل والنظام"، ضمن كتاب: الثورة المصرية الدوافع والاتجاهات والتحديات، مجموعة من المؤلفين، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات الدوحة قطر، الطبعة الأولى 2012، ص: 108-109. وانظر أيضا: علي الرجال، "ثورة على نمط الثورات.. محاولة لفهم طبيعة الثورة المصرية ونمطها"، ضمن الكتاب نفسه، ص: 72. وأيضا: وائل غنيم، الثورة 2.0، دار الشروق، الطبعة الأولى 2012، ص: 63.

النظام وأمعن في ظلمه"<sup>1</sup>.

انطلقت الثورة التي يأتي في سياقها الخطاب الذي نروم دراسته في 25 يناير من مظاهرة كانت قد دعت إليها مجموعات سياسية عبر صفحات وسائل التواصل الاجتماعي، (فايسبوك وتويتر) احتجاجا على تردي الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للمواطنين وانتشار الفساد والسياسة القمعية للنظام، ومن هذه المجموعات: مجموعة أطلق عليها اسم "كلنا خالد سعيد"<sup>2</sup> و "شباب 6 أبريل"<sup>3</sup> و "حركة كفاية"<sup>4</sup> و "حركة حشد"<sup>5</sup> إضافة إلى "شباب الإخوان المسلمين".

لم تكن احتجاجات الخامس والعشرين يناير في الأصل ذات طابع ثوري، فقد كانت المطالب إصلاحية، حيث تركزت مطالب المحتجين في إلغاء قانون الطوارئ الذي يخنق الحريات

<sup>1</sup> - وائل غنيم، الثورة 2.0، مرجع سابق، ص: 57.

<sup>2</sup> - هي صفحة أنشأها على فايسبوك وائل غنيم وساعده على إدارتها شاب يدعى عبد الرحمان منصور، بعد أن انضم للصفحة أكثر من مئة ألف عضو، وقد تم إنشاء الصفحة لكشف فضائح وتجاوزات جهاز الشرطة على خلفية التعذيب الذي أنهى حياة شاب إسكندري يُدعى خالد سعيد، وقد بلغ عدد الأعضاء في الصفحة بعد انطلاق الثورة مليون ونصف. ولمزيد من التفصيل يمكن الرجوع إلى كتاب منشئ الصفحة، حيث يروي سياق إنشائها وتفاعلات أعضائها وموضوعات النقاش، أنظر تحديداً: وائل غنيم، الثورة 2.0، مرجع سابق، ص: 97-133.

<sup>3</sup> - هي حركة ارتبط ظهورها بالدعوة إلى إضراب عام من قبل ناشطين في الواقع الافتراضي مساندة لقرار عمال شركة غزل المحلة الذين قرروا الدخول في إضراب عام 2008، أنظر: وائل غنيم، الثورة 2.0، مرجع سابق، ص: 65-66.

<sup>4</sup> - حركة اقترن ظهورها بإنشاء صفحة افتراضية من طرف مجموعة من الناشطين السياسيين المعارضين للنظام من أجل التعبئة على رفض تولي حسني مبارك لمقاليد الحكم لولاية خامسة، وقطع الطريق على تولي ابنه جمال مبارك منصب الرئيس، حيث كان شعار الحركة "لا للتمديد لا للتوريث"، وقد عرفت آنذاك بالحركة المصرية من أجل التغيير أو "كفاية" اختصاراً، أنظر: وائل غنيم، الثورة 2.0، المرجع نفسه، ص: 59.

<sup>5</sup> - هي حركة ذات توجه يساري، مرتبطة بمركز الدراسات الاشتراكية الذي تبني الدفاع عن قضايا العمال، في مواجهة سياسة الخصخصة التي انتهجتها الدولة. أنظر: أمل حمادة، 25 كانون الثاني/يناير 2011 القائد والفاعل والنظام"، مرجع سابق، ص: 104.

النضالية، وحل مجلسي الشعب والشورى على أساس كون الانتخابات التي أجريت قبل شهرين من الدعوة إلى الاحتجاج كانت غير نزيهة بالنظر إلى ما شابها من خروقات من أجل تكريس هيمنة الحزب الوطني الديمقراطي الحاكم، فضلا عن المطالبة بإقالة وزير الداخلية بناء على مسؤوليته في الحدث الذي تسبب في سقوط عدد من القتلى والمصابين نتيجة عملية التفجير الذي تعرضت له كنيسة القديسين، إضافة إلى فتح تحقيق نزيه يقود إلى معاقبة مرتكبي جريمة تعذيب وقتل الشاب الإسكندري خالد سعيد.

ورغم أن منطلق الثورة كان إصلاحيا، فإن المسار الذي أخذته مظاهرات 25 يناير لم يكن تكرارا لمسار المظاهرات السابقة، التي كانت تمتد لساعات قليلة وبأعداد محدودة يجري التعامل معها ببعض العنف، لينفض المحتجون بالقبض على البعض منهم، يتم ترويعهم أو تعنيفهم في مخافر الشرطة أو متابعتهم بأحكام موقوفة التنفيذ ثم ينتهي الأمر. فالواضح أن الثورة التونسية شكلت حافزا كبيرا على التغيير الذي راهن عليه المحتجون، فبالرغم من الحصار وبعض تدخلات العنف التي قامت بها قوات الشرطة في عدد من الميادين والأحياء في القاهرة والسويس والإسكندرية وغيرها، فقد ازداد عدد المتظاهرين في اليومين المواليين إلى أن اشتد لهب الثورة فيما عُرف بجمعة الغضب الموافقة لـ 28 يناير 2011.

وكما تحيل على ذلك التسمية التي أطلقها المحتجون على هذا اليوم، فقد شكل عنوانا للغضب مطلبيا وجغرافيا، فقد ارتفع سقف المطالب إلى المطالبة بإسقاط النظام، وتوسعت الاحتجاجات لتشمل أنحاء أخرى. وفي محاولة لمنع المتظاهرين من التواصل فيما بينهم

والتسيق في مختلف المدن، وكذلك قطع الطريق أمام انضمام المزيد من المواطنين إلى المظاهرات، كان النظام قد عمد إلى تعطيل الاتصالات اللاسلكية (الهاتف المحمول والإنترنت)، كما أعطى مبارك تعليماته بنزول الجيش إلى ميادين التظاهر<sup>1</sup>.

ومع أن الجيش لم يتدخل، فقد جسد تدخل قوات الأمن الوجه الأعنف للنظام منذ بدء المظاهرات، فقد خلف الاعتداء على المتظاهرين عددا من الضحايا قُدر بـ 800 وفاة وأكثر من ألف إصابة<sup>2</sup>.

لقد أدرك النظام بعد الأحداث الدامية التي شهدتها هذا اليوم أن قوات الأمن لا يمكن أن تسيطر على المسيرات والمظاهرات التي تضخمت بعد أن انكسر حاجز الخوف، ولذلك سارع الرئيس **حسني مبارك** إلى التوجه بأول خطاب له في سياق الثورة في ليلة التاسع والعشرين، (في وقت متأخر من جمعة الغضب)، وفي اليوم الموالي قام بتعيين عمر سليمان الذي كان يعمل رئيسا للمخابرات نائبا لرئيس الجمهورية، وهو القرار الذي قاومه **حسني مبارك** لسنوات طويلة، كما عين أحمد شفيق رئيسا للوزراء، وأسند إليه مهمة تشكيل حكومة جديدة، مع الشروع فورا في القيام بمجموعة من الإصلاحات. ورغم أن هذه القرارات مثلت ثمرة لم يكن من السهل انتزاعها في وقت سابق، فإنها كانت بالنسبة للجماهير الغاضبة

<sup>1</sup> - أمل حمادة، "25 كانون الثاني/يناير 2011 القائد والفاعل والنظام"، مرجع سابق، ص: 112-113.

<sup>2</sup> - [https://ar.wikipedia.org/wiki/25\\_يناير\\_لثورة\\_الزمني\\_لثورة\\_25\\_يناير\\_أحداث\\_شهر\\_يناير](https://ar.wikipedia.org/wiki/25_يناير_لثورة_الزمني_لثورة_25_يناير_أحداث_شهر_يناير) (زيارة الموقع بتاريخ: 2016-8-10).

المحتجة بمثابة مؤشر على قرب تحقق مطلب تنحي الرئيس<sup>1</sup>.

تواصلت الاحتجاجات وتضخمت، فاستعان النظام بالبلطجية للهجوم على المنازل والممتلكات العامة والخاصة، ليضفي المشروعية على تعنيف المحتجين الذين ظلوا عموماً مستجيبين لشعار السلمية الذي ميز الثورة منذ انطلاقتها، رغم إمكانية وجود انزلاقات طبيعية للعنف رداً على اعتداءات البلطجية وتدخل قوات الأمن.

ورغم القمع والاعتقالات التي طالت عدداً من النشطاء، وسقوط عدد من الضحايا، فقد ظل المحتجون صامدين خصوصاً في ميدان التحرير الذي تجمع فيه الآلاف في إطار الدعوة إلى "المظاهرة المليونية"، وهو ما أجبر حسني مبارك في 31 يناير 2011 على تكليف نائبه بالاتصال بكافة القوى السياسية من أجل الحوار في القضايا المثارة للإصلاح الدستوري والتشريعي وكذا المطالب الاجتماعية والاقتصادية. وفي 01 فبراير 2011، توجه حسني مبارك بخطاب ثانٍ إلى الشعب، وهو الخطاب الذي سنتناوله بالتفصيل في هذا الفصل<sup>2</sup>.

ومع استمرار التصعيد واستجابة المتظاهرين لدعوات الاعتصام المفتوح رغم حظر التجول، واستنفاد النظام الحاكم لكل الأساليب التي تمكنه من إيقاف المظاهرات على النحو الذي يخول له الحفاظ على السلطة، بما في ذلك تعنيف المتظاهرين، ومفاوضتهم في شكل تقديم بعض التنازلات الإصلاحية، ومحاولة خلق جبهة مضادة من الشعب، وإقحام البلطجية في

1 - وائل غنيم، الثورة 2.0، مرجع سابق، ص: 331.

2 - يمكن الرجوع إلى نص الخطاب بملحق الأطروحة.

معترك الاحتجاج وتعطيل شبكة الاتصالات، فضلا عن توجيهه بخطابين إلى الشعب، مع كل ذلك لم يكن أمام حسني مبارك إلا أن يتوجه بخطاب ثالث أخير يوم 10 فبراير 2011، أيقن منه الشعب أن إسقاط النظام بات أقرب من أي وقت مضى. وهو ما تحقق فعلا، ففي اليوم الموالي أعلن الرئيس حسني مبارك على لسان نائبه تنحيه عن رئاسة الجمهورية.

لم يكن يقود الثورة المصرية توجه إيديولوجي محدد، فقد استوعبت مختلف التوجهات، كما أنها لم تنشأ من القوى السياسية المعارضة التي ظلت جزءا من النظام، لقد بدأت الثورة من مظاهرات شباب حالم بالحرية والعدالة والكرامة، وبدأت تشتد وتكبر ككرة الثلج، كلما اشتد العنف انكسر حاجز الخوف.

وما يعيننا نحن من هذا العرض المجمل لأحداث ثورة مصر هو تحديدا ضبط السياق العام الذي جاء فيه الخطاب الثاني الذي سنسعى إلى دراسته في هذا الفصل.

## المبحث الثاني:

### تداولية الإنجاز الكلامي والإشارات الشخصية

#### 1- مرتكزات الإنجاز الكلامي

##### 1-1- إنجاز الفخر

من الصعب في تصنيف أوستين الحسم في انتماء الفخر لفئة السلوكيات أو العرضيات، فالحدود بين الفئتين تبدو هشة، فرغم أن الفخر يبدو أقرب إلى العرضيات بحكم أنه عرض لفضائل الذات مثلما أنه لا يخلو من قيمة حجاجية لأنه يؤسس لتثمين مواقف الذات، فإن الفخر يجسد سلوكا بمثابة رد فعل على سلوك الآخرين من قبيل سوء تقديرهم الفعلي أو المفترض لفضائل المتكلم أو نسيانهم لتضحياته.

أما بالنسبة لتصنيف سيرل، فيمكن إدراج الفخر ضمن التقريريات لأن المحتوى القضوي الذي يتم التلفظ به يبقى ذا طبيعة إخبارية قائمة على اعتقاد يساور المتكلم إزاء الواقع، فالفخر إخبار عن شمائل الذات من مرجعية ذاتية في التصور، يؤسس من خلالها فعل التلفظ لمكانة اعتبارية لهذه الذات.

يتمثل الفخر في خطاب مبارك في قوله:

"إن حسني مبارك الذي يتحدث إليكم اليوم، يعتز بما قضاه من سنين طويلة في خدمة

مصر وشعبها".

يتحدد المحتوى القضوي للإنجاز في خدمة مصر وشعبها لسنوات طويلة، أما واسم القوة الإنجازية فيتمثل في الفعل "يعتز" الذي يحيل بواسطة الضمير المستتر (هو) على **حسني مبارك**، وحيث إن هذا الأخير هو نفسه المتكلم فإن صيغة "يعتز" توازي ضمناً الصيغة الصريحة للإنجاز، أي صيغة الفعل في المضارع مسنداً إلى المتكلم (أعتز).

ولعل الذي اقتضى التعبير عن الإنجاز بصيغة "يعتز" بدل (أعتز) يعود إلى اختيار المتكلم تقديم الذات كمسند إليه يستدعي الإخبار عنه، إذ من الواضح أن المتكلم يقدم ذاته بالاسم (**حسني مبارك**) كما لو أنه يتحدث عن شخص آخر.

يعكس إنجاز الفعل باسم **حسني مبارك** تجرد الذات من منصب السلطة، حيث الإنجاز لا يتحدد من خلفية تجسيد المتكلم لشخصية الرئيس، وإنما من خلفية كونه مواطناً مصرياً، وهو ما يجعل إنجاز الفخر باعتباره ترميماً لتضحيات الذات لا ينحصر فيما قدمه **حسني مبارك** كرئيس وإنما يشمل كل خدماته سواء كرجل في القوات المسلحة أو كرئيس. وبذلك تتحدد الفاعلية التأثيرية للإنجاز في التحفيز الضمني للجماهير المخاطبة على تقدير خدمات المتكلم وجهوده في خدمة الوطن والشعب.

## 1-2- إنجاز التألم

إذا كان **بنعلي** في سعيه إلى التقرب من الجماهير قد عمد إلى إنجاز الأفعال السلوكية التي تعكس تعاطفه وتضامنه مع أسر الضحايا، كما يعكس ذلك إنجاز التأسف والمواساة، فإن

حسني مبارك يعمد هو الآخر إلى إنجاز هذا الصنف من الأفعال ممثلاً في التعبير عن التألم المشترك، كما يمثل لذلك قوله :

"نعيش معاً أياماً مؤلمة".

الظاهر في القول أن المتكلم يخبر عن الحالة النفسية التي يعيشها كل من المتكلم والمخاطب نتيجة الأحداث التي تشهدها البلاد، غير أن الإخبار ليس هو الفعل الإنجازي الذي يستهدفه المتكلم، لأن محتوى الحكم (الألم) مسند إلى طرفي الخطاب، أي المتكلم والجمهير المخاطبة، كما تحيل على ذلك عبارة "نعيش معاً"، وترجيح الإخبار يعني أنه يثوي محتويين خبريين تماشياً مع وجود موضوعين مخبر عنهما، الأول يفيد أن المتكلم يخبر عن حالة الألم التي يعيشها، والثاني يفيد أن المتكلم يخبر المخاطب عن حالة الألم التي يعيشها هذا المخاطب، وهذا أمر غير مستساغ لأن المخاطب لا يجهل أنه يشعر بالألم.

وإذا كان المحتوى الأول هو ما يستهدف المتكلم أن يحمل عليه المخاطب، فإن استحضار حالة الألم التي يعيشها هذا الأخير يوجه القول نحو تعبير المتكلم عن مشاطرته المخاطب في ألمه. فالمتكلم لا يصبو إلى الإخبار عما يحس به من الألم كغاية في حد ذاتها، وبشكل منعزل عن فعل التأثير، وإنما يروم استمالة المخاطب عن طريق إبداء التألم مثله على النحو الذي يظهر الذات السياسية متلاحمة مع الشعب.

### 1-3- الإشفاق والتوجس

يحيل الإشفاق على معنى الحنو والعطف، كما قد يتضمن أيضا الدلالة على الخوف، فالإشفاق كما يقول الراغب الإصفهاني: "عناية مختلطة بخوف، لأن المشفق يحب المشفق عليه ويخاف ما يلحقه (من الأذى)...، فإن عُدِّي بـ"من" فمعنى الخوف فيه أظهر، وإذا عدي بـ"في" فمعنى العناية فيه أظهر"<sup>1</sup>.

يتمثل إنجاز المتكلم للإشفاق في قوله:

"وأكثر ما يوجع قلوبنا، هو الخوف الذي انتاب الأغلبية الكاسحة من المصريين، وما ساورهم من انزعاج وقلق وهواجس، حول ما سيأتي به الغد، لهم، ولذويهم، وعائلاتهم، ومستقبل ومصير بلدهم".

يتمثل المحتوى الخبري للقول في تألم المتكلم لحال الأغلبية من المصريين بسبب الخوف والجزع الذي أصابهم كإفراز لما تعيشه البلاد، وتألم المخاطب لحال غيره هو إشفاق يحيل على التعاطف، فالمتكلم رئيس دولة، ومسؤولية تدبير شؤون المواطنين تقتضي أن يُظهر رعايته لمصالحهم ويبيدي مشاطرته إياهم في الأمام.

لكن الإنجاز غير المباشر للإشفاق يثوي نوعا من التخويف من المستقبل، فضلا على أن إنجاز الإشفاق قائم على الخوف من المستقبل، فإن المتكلم عمد إلى الاستطراد في الحالة

<sup>1</sup> - الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم دمشق، الطبعة الرابعة، 2009، ص ص: 458-459.

النفسية التي تعيشها الأغلبية من المصريين حتى يضع من لازال مقتنعا بتغيير القيادة موضع الذين يتوجسون من المستقبل، أو على الأقل أخذهم بعين الاعتبار لوقف الاحتجاجات. فقد كان بإمكان المتكلم أن يعبر عن إشفاقه في حدود قوله : "وأكثر ما يوجع قلوبنا، هو الخوف الذي انتاب الأغلبية الكاسحة من المصريين"، لكنه حرص على أن يخلق لدى المخاطب حالة من الترقب والتوجس بالتبئير على مختلف المشاعر النفسية السلبية التي تقض مضجع المواطنين (الانزعاج، القلق، الهواجس حول ما سيأتي به الغد)، مع تفصيل مختلف مكامن الخسارة ( الذات، الأهل، الوطن). وسنتطرق بمزيد من التفصيل لهذا القول حين نتناوله حجاجيا.

#### 1-4-إنجاز التحذير

لقد راهن خطاب حسني مبارك على بث الخوف وإثارة الشك في نفوس المجتجين بشأن مستقبل مصر وشعبها في ظل الاحتجاجات التي تعرفها، ولذلك عمد إلى بدء خطابه بالتحذير كفعل إنجازي ينسجم مع الغاية التأثيرية. يقول:

أتحدث إليكم في أوقات صعبة تمتحن مصر وشعبها، وتكاد أن تجرف بها ويهم نحو المجهول".

والملاحظ أن المتكلم اختار الصيغة غير المباشرة للفعل الإنجازي، إذ لم يوظف فعلا دالا على التحذير أو التنبيه كواسم إنجازي، ويعزى ذلك لكون السياق الذي يأتي فيه الخطاب بالغ الحساسية، إذ يمكن أن يؤدي استعمال الصيغة الدالة على التحذير من قبيل "أحذر" وظيفة

عكسية في التأثير، ولذلك عول المتكلم على تأويل المخاطب استنادا إلى المحتوى القضوي:  
".. أوقات صعبة تمتحن مصر وشعبها، وتكاد أن تجرف بها وبهم نحو المجهول".

إن المتكلم يعي جيدا أن أي انزلاق في تأويل المعنى على أنه تهديد يمكن أن يوجب غضب الجماهير، ولذلك سعى إلى تلطيف التحذير بعبارات تتوخى سلامة القصد، فعوض أن يقول:  
"أحذركم من مواصلة الاحتجاجات لأنها يمكن أن تتجرف بمصر وبالشعب نحو مصير مؤلم"  
ضمّن قوله عبارات تخفف من قوة التحذير، وليس من الصعب إدراك ذلك إذا تأولنا مقابلات لعبارات القول بالنظر إلى الدلالات التي تحيل عليها ضمنا:

- أوقات صعبة : مظاهرات / فوضى.
- تمتحن مصر وشعبها: تهدد أمن واستقرار الوطن والشعب.
- تكاد أن تتجرف بها وبهم نحو المجهول: توشك أن تزيغ بالوطن والشعب نحو الفوضى وغياب الأمن والاستقرار.

## 1-5- إنجاز الوعد

يقترن الوعد في خطاب حسني مبارك بصيغ خالية من واسم القوة الإنجازية الدال على فعل الوعد بشكل حرفي كما تجسده صيغة الفعل أعد أو أتعهد، حيث عمد المتكلم إلى إسناد الفعل الذي يعد به إلى ذاته بصيغة استشرافية للمستقبل من خلال توسل الإحالة الدلالية لاقتران حرف السين بالفعل المضارع أو إتيانه بعد "سوف". يقول :

"..سأعمل خلال الأشهر المتبقية من ولايتي الحالية كي يتم اتخاذ التدابير والإجراءات المحققة للانتقال السلمي للسلطة".

"سوف أوالي متابعة تنفيذ الحكومة الجديدة بتكليفاتها على نحو يحقق المطالب المشروعة للشعب، وأن يأتي أداؤها معبرا عن الشعب، وتطلعه للإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وإتاحة فرص العمل ومكافحة الفقر وتحقيق العدالة الاجتماعية".

يحيل الوعد في القولين على التزام الذات بالقيام بفعل أو أفعال في المستقبل، غير أن القول الثاني أقل تعقيدا من ناحية تأويل المحتوى القضوي، حيث يتحدد التزام الذات في الإشراف على تشكيل حكومة جديدة تستجيب لمطالب الشعب وتطلعاته في المجال السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

وعكس القول الثاني الذي يتسم بالبساطة في إبلاغ المحتوى القضوي للوعد، يبدو القول الأول أشد تعقيدا على مستوى التأويل، لكونه لا يعكس الوعد فقط وإنما يتضمن أيضا إنجاز الرفض؛ أي رفض التنحي، فإذا استحضرننا مطالبة الجماهير برحيل كل رموز نظام مبارك باعتباره يمثل قيادة فاسدة، فإن الوعد بتحقيق الانتقال السلمي للسلطة خلال الأشهر المتبقية من ولاية المتكلم يتضمن بالنظر إلى الحوارية بين الخطابين رفضا ضمنيا للتنحي عن السلطة.

## 2- تداولية الإشارات الشخصية

تشكل الدلالات التي تستعمل بها الإشارات في الخطاب السياسي الموجه إلى جماهير عريضة سعيا إلى السلطة مدخلا مهما في التأثير، حيث يطغى استعمال السياسيين ضمير الاحتواء "نحن" الذي يفيد ذوبان الذات الفردية في الكيان الجمعي، لكن ذلك قد يختلف في الخطابات الصادرة عن سياسيين يجسدون السلطة، فقد تبين لنا من دراسة خطاب **بنعلي** أن الدلالة الطاغية في استعمال "نحن" تفيد حصريا الجماعة السياسية الحاكمة، فضلا عن حضور الذات المتكلمة في استقلاليتها كما يجسد ذلك ضمير المتكلم المفرد، الأمر الذي يجسد سلطة متعالية ينبغي الإذعان لها، لكن ذلك ليس هو مدخل التأثير الوحيد، فتجنب الفاعل السياسي توجيه الخطاب إلى الجماهير له أهميته في التأثير، وقد لمسنا ذلك جليا في خطاب **بنعلي**.

وسعيا إلى النظر في إمكانية تعميم ما خرجنا به في تحليل استعمال الإشارات الشخصية في خطاب **بنعلي** على الخطاب السياسي المجسد للسلطة والمتوجه نحو الشعب، ننطلق إلى دراسة الإشارات الشخصية في خطاب **حسني مبارك** من البيان الإحصائي التالي:

الإحالة على المخاطب	الإحالة على المتكلم		
	المتكلم الجمع الشامل للمتكلم المفرد والمخاطب	المتكلم الجمع بدلالة حصرية على القيادة	المتكلم المفرد
إليكم، إليكم.	نعيش، قلوبنا، تفرض علينا، أمامنا، شبابنا، شعبنا، قواتنا، قواتنا، شعبنا ، علينا، نضمن.	ما لنا، ما علينا.	-أتحدثُ، بادرت ، كلفتُ، دعوتي، فإنني، أتوجه، حديثي، إنني، لم أكن، تحملت، قدمته، كما أنني، من طبعي، مسؤوليتي، أقول، إنني، لم أكن، أنوي، قضيتُ، لكنني، أن أختتم، عملي، أقول، أنني، سأعمل، من ولايتي، يخوله لي، إنني، أدعو، إنني، أطالب، أوالي، فإنني، أكلف، كما أنني، أطالب، عهدي، ولايتي، أدعو، أن يوفقني، كي أختتم، عطائي، يتحدث، يعتز (ضمير الغائب في يتحدث ويعتز يحيل مرجعيا على المتكلم في الخطاب أي على حسني مبارك)، وطني، عشتُ، حاربتُ، دافعتُ، أموت، عليّ، غيري.
المجموع: 02	المجموع: 12	المجموع: 02	المجموع: 51

توضح البيانات الإحصائية فيما يتعلق بطرفي الخطاب أن الإحالة على الذات المتكلمة بصيغة المفرد هي الأكثر حضوراً، حيث تردد الضمير المحيل على المتكلم (أنا) 51 مرة، أما الإحالة على الطرف الثاني والتي تستدعي أن يُخاطب بما يفيد "أنتم" باعتباره جمهوراً عريضاً، فلا يتردد في الخطاب إلا مرتين فقط، بينما تتردد الإحالة على المتكلم الجمع "نحن" 14 مرة، منها 12 مرة على نحو يحيل مرجعياً على المتكلم والمخاطب معاً، ومرتين بدلالة حصرية على الذات المتكلمة والمشاركين معها في القيادة.

تعكس هيمنة ضمير المتكلم المفرد تمركز الخطاب على الذات، وتأخذ الإحالة على هذه الذات دلالتين مرجعيتين؛ تتعلق الأولى بالإحالة على الذات كـ"أنا" متفانية في خدمة الوطن والشعب، متفهمة لمطالبه، ويتمثل ذلك في حديث المتكلم عن بعض إنجازاته (بادرت...، كلفت...، تسلمت فيها المسؤولية...، ما قدمته للوطن..) وحديثه عن التزاماته (حريص على أن أختتم عملي من أجل الوطن...، كما أنني سأعمل خلال الأشهر المتبقية من ولايتي الحالية...، ذلك هو عهدي للشعب..).

ومن خلال هذه الدلالة لا يتحدد موضع الذات المتكلمة بالنسبة للمخاطب كذات متعالية باعتبار السلطة المخولة لها، وإنما كذات أقرب ما تكون إلى مواطن مصري مساهم في خدمة الوطن، وهي دلالة تستهدف استعادة الثقة وتحفيز المخاطب على التضامن مع هذه الذات تقديراً لتضحياتها وجهودها.

أما الدلالة الثانية التي تأخذها الإحالة على الذات في الخطاب فتحدد في كونها تمثل مركزا للسلطة والقرار، ويتمظهر ذلك في التعليمات التي يتوجه بها المتكلم إلى القائمين على بعض مؤسسات الدولة ( أدعو البرلمان..، فإنني أطلب البرلمان..، فإنني أكلف جهاز الشرطة..، كما أنني أطلب السلطات الرقابية والقضائية..). فما يخول للذات المتكلمة أن تقرر وتطالب يتحدد في كونها تمثل أعلى سلطة في الدولة.

وكما هو الحال في استعمال ضمير المتكلم المفرد الذي تم ملؤه بدالتين، يحيل ضمير المتكلم الجمع على دالتين مرجعيتين مختلفتين؛ تتعلق الأولى وهي الأكثر حضورا باستيعاب "نحن" المتكلم والمخاطب معا، أما الدلالة الثانية فحصرية حيث "نحن" لا تحيل إلا على المتكلم ومن معه في تدبير شؤون البلد.

يعكس استعمال "نحن" الشاملة انصهار طرفي الخطاب في ذات جمعية تتلاشى معها حدود التعالي والتفاوت بينهما، وتحدد الوظيفة التأثيرية لهذا الاستعمال في تحفيز المخاطب على الإحساس بوحدة العيش المشترك، وتعزيز انتماء الذات الفردية إلى الكيان الجمعي على نحو يجسد تضامن الأنا مع الآخرين.

أما نحن الحصرية، فالمرجح أن المتكلم حاول أن يتجنب توظيفها، لكن يبدو أن اتهام الجماهير للقيادة بالفساد وسوء التدبير ومن ثم بالتحدي، هو الذي جعل المتكلم يعمد إلى استعمال "نحن" بشكل حصري يثوي عدم انصاف المخاطب لجهود الذات التي سيحكم عليها التاريخ. (سيحكم التاريخ علي وعلى غيري بما لنا أو علينا).

إن مسافة الاختلاف بين المتكلم والجمهور في السياق الذي ألقى فيه الخطاب كبيرة، فمطالب فئة واسعة من الشعب لم تعد منحصرة في المطالبة بتحسين الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للشعب، وإنما باتت تطالب بتتحي الرئيس ومن معه في القيادة، والواضح أن المتكلم عمد إلى تجنب الإحالة على الجماهير المخاطبة بالضمير "أنتم"، ليوارى التعارض والاختلاف معها على النحو الذي لا يُظهر الذات المتكلمة كمقابل لأنتم، لأن ذلك يمكن أن يعزز من مسافة الاختلاف بين الطرفين، وتعبير آخر فالتوجه إلى الجماهير الغاضبة المحتجة بـ"أنتم" كمقابل لـ"أنا" متمسكة بالسلطة في الوقت الذي تُطالب فيه الجماهير المتكلم بالتتحي، يمكن أن يعزز لديها الشعور بالاحتقار ويؤجج غضبها.

وهذا ما يفسر أيضا لجوء المتكلم إلى الإحالة الضمنية على المخاطب بواسطة ضمير الغائب، ويمكن أن نلمس ذلك في مثل قوله: "فإنني أتوجه بحديثي اليوم مباشرة لأبناء الشعب، بفلاحيه وعماله، مسلميه وأقباطه، شيوخه وشبابه، وكل مصري ومصرية.."، وقوله: " سيخرج منها شعبنا، وهو أكثر وعيا بما يحقق مصالحه، وأكثر حرصا على عدم التفريط في مصيره ومستقبله". فالدلالة المرجعية لضمير الغائب في استعمال المتكلم تتحدد بكون هذا الغائب هو ذاته المخاطب.

## المبحث الثالث:

### إستراتيجيات الحجاج ومرتكزاته ورهانات الاستهواء والتغليب

#### 1- إستراتيجيات الحجاج من رهان الإقناع إلى رهان الاستهواء والتضليل

##### 1-1- إستراتيجية التخويف

أشرنا في الفصل الثاني من الباب الأول إلى أن إثارة عواطف الخوف لدى المخاطب من أجل دفعه إلى الإذعان لموقف أو القيام بفعل أو تركه ليس ممارسة إقناعية بالمعنى العقلي الذي يقود إلى اتخاذ قرار حر مبني على التفكير الواضح، بل إنها على العكس من ذلك تكبيل للملكة النقدية وسعي إلى شل فعل المقاومة الذي يُحتمل صدوره من المخاطب.

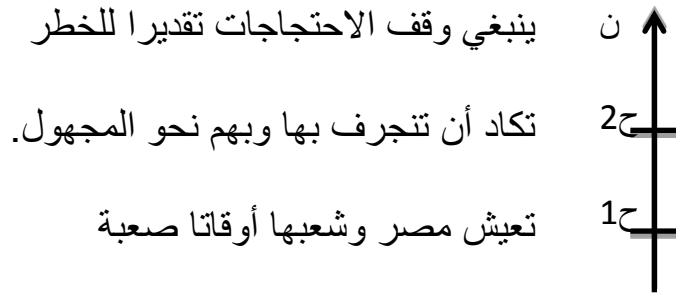
لا يخرج خطاب مبارك عن هذا الإطار، ففي سعيه إلى نسف موقف الجماهير الغاضبة المحتجة، استند المتكلم إلى التأثير بالتخويف مما يمكن أن تقود إليه الاحتجاجات من تداعيات الفوضى وغياب الاستقرار في البلد، وفي ذلك يأخذ فعل الاحتجاج في بعده التداولي فعلا تهوريا غير محسوب العواقب.

تنتكر إثارة الخوف بشكل مثير في الخطاب، ويمكن أن نرصد ذلك من قول مبارك التالي:

"أتحدث إليكم في أوقات صعبة تمتحن مصر وشعبها، وتكاد أن تنجرف بها ويهم نحو

المجهول".

يستند المتكلم في هذا القول إلى حجتين تدعمان نتيجة مضمرة مفادها وجوب وقف الاحتجاجات حفاظا على الأمن والاستقرار، وتتنظم حجاجية القول وفق سلم تراتبي يعكس التفاوت في درجات إثارة الخوف بين الحجتين، حيث المقدمة الثانية تبدو أشد وقعا وتأثيرا، ويمكن التمثيل لذلك بالسلم الحجاجي التالي:



تتدرج الحجة الأولى ضمن صنف الوقائع، حيث تعكس الأوضاع الصعبة التي تمر منها مصر وشعبها، وفي ذلك يعتمد المتكلم استعارة الامتحان (تمتحن) بما يقرن الاحتجاجات باحتمالي النجاح والإخفاق، وبذلك تتأسس الحجة على موضع حجاجي يفيد محتواه أن كل امتحان يُحتمل فيه النجاح أو الإخفاق يقتضي التوجس والحذر.

وتتدرج الحجة الثانية ضمن الافتراضات وعادة ما تكون في درجة أقل من الوقائع من حيث تحقيق الإقناع، لأن الافتراضات قد لا تكون دائما موضع موافقة عامة بين أطراف التفاعل الخطابى، غير أن حجة الافتراض هذه تأخذ درجة أعلى في السلمية الحجاجية التي اعتمدها المتكلم بحكم كونها الأشد تأثيرا على المخاطب في حمله على وقف الاحتجاجات، ليس لأن

ما تثيره مجرد احتمال ممكن من بين احتمالات أخرى، بل في قيمة هذا الاحتمال، كونه يثير الرهبة التي تحوّل دون النظر في مدى إمكانيته، لأن حالة الترقب التي يخلقها هاجس الخوف من خطر محتمل، وإن كانت نسبة وقوعه قليلة، تظل عادة محركا موجها للسلوك الإنساني.

يمكن أن نلمس في قول آخر هذه الشحنة التخويفية ممزوجة بإثارة الشفقة:

"نعيش أياما مؤلمة، وأكثر ما يوجع قلوبنا هو الخوف الذي انتاب الأغلبية الساحقة من المصريين، وما ساورهم من انزعاج وقلق وهواجس حول ما سيأتي به الغد لهم ولذويهم وعائلاتهم ومستقبل ومصير بلدهم".

على غرار القول السابق يتجه المتكلم في هذا القول إلى حمل المخاطب على وقف

الاحتجاجات وهي نتيجة مضمرة يمكن التوصل إليها عبر التمثيل السلمي التالي:

ن ينبغي وقف ما يسبب هذا الخوف والقلق ويهدد مستقبل البلد (الاحتجاجات).

ح3 (أكثر ما يوجع قلوبنا) ما ساورهم (الأغلبية الكاسحة من المصريين) من انزعاج وقلق وهواجس حول ما سيأتي به الغد لهم ولذويهم وعائلاتهم ومستقبل ومصير بلدهم.

ح2 أكثر ما يوجع قلوبنا هو الخوف الذي انتاب الأغلبية الكاسحة من المصريين.

ح1 نعيش أياما مؤلمة.

تقوم الحجة الأولى والثانية على استنفار عواطف الشفقة، حيث تثيران على التوالي الألم والخوف اللذين انتابا الأغلبية من الشعب، وبذلك تدفعان في اتجاه درء فعل الاحتجاج باعتباره باعثا مولدا لهذا الخوف والألم.

أما الحجة الثانية، فلئن كانت تأخذ هذا المنحى من إثارة الشفقة، فإنها أيضا تثير هواجس الخوف وتخلق حالة من الترقب والقلق لدى المخاطب حول سوء المصير الذي يتعلق بالمحتجين عبر عائلاتهم وذويهم والبلد ككل، موازاة مع الموضع الحجاجي الذي يفيد "إذا لم تكن تخاف على نفسك، فالواجب أن تخاف على أهلك وبلدك"، وهو ما يدفع في اتجاه إعادة النظر في مسألة التضحية بالذات من أجل أن يعيش الآخرون في كرامة.

وإذا كان من الطبيعي أن يثير المتكلم مخاوف الجماهير الغاضبة من انزلاق البلد نحو الفوضى وتهديد الاستقرار الاجتماعي بحكم اعتبارات الظرف الراهن، فإن توظيف هذه الإستراتيجية غير مرتين فحسب بحمل الجماهير على وقف الاحتجاجات، بل وأيضا بحملهم على استمرار المتكلم في السلطة باعتبار ذلك ضمانا للاستقرار، وبصيغة أخرى للقول فحجاجية التخويف تعمل كطاقة لإعاقة أمني الإطاحة بالمتكلم من رأس السلطة، حيث الخوف من سوء المصير يقضي بوقف الاحتجاجات، ووقف الاحتجاجات تفويض مباشر للاستمرار في السلطة، ولذلك فحينما يعقب المتكلم قوله السابق بقول "إن أحداث الأيام القليلة الماضية تفرض علينا شعبا وقيادة الاختيار ما بين الفوضى والاستقرار"، فإن نتيجة "الاستقرار" التي يسعى المتكلم إلى حمل المخاطب عليها، تحتوي ضمنا استمرار المتكلم

على رأس السلطة.

إن التظاهر من أجل الإطاحة بالنظام وتحقيق التغيير الديمقراطي يمكن أن ينزلق فعلا كما أشار المتكلم إلى الفوضى، فتلك فرضية ممكنة، غير أن المتكلم حينما يبالغ في الضرب على هذا الوتر الحساس، فإن حالة الترقب والخوف من المستقبل التي يخلقها لا تسمح إلا بالتفكير في الاستقرار والأمن كأولوية، في سبيلها يمكن أن يُضحى بالمطالب الأخرى، فهذا النوع من التطوع العاطفي يدفع الجمهور المخاطب غريزيا إلى إعادة ترتيب أولوياته.

## 1-2- إستراتيجية تكويد الموقف المعارض

يمكن أن نطلق على هذه الإستراتيجية على وجه تقريب المعنى "بناء تمثّل المؤامرة"، وتتجسد القيمة الحجاجية لهذه الإستراتيجية في تشكيك الجمهور المخاطب في الموقف الذي يوجد عليه من خلال تحفيزه على التساؤل عن النوايا والرهانات الحقيقية لمتزعمي الاحتجاجات، ومن ثمة خلق احتمال الوقوع ضحية استغلال متاجر بشعارات الشعب لخدمة المصلحة الخاصة، ويمكن أن نلمس ذلك في تسويد المتكلم انحراف المظاهرات نحو الفوضى بسبب قوى سياسية تمارس التحريض، يقول:

"تحولت تلك المظاهرات من مظهر راق ومتحضر لممارسة حرية التعبير إلى مواجهات مؤسفة تحركها، وتهيمن عليها قوى سياسية سعت إلى التصعيد وصب الزيت على النار، واستهدفت أمن الوطن بأعمال تحريض وسلب ونهب....".

في هذا القول يبدو التعاقب التراتبي للأحداث كما حصلت في الواقع مختلفا عن ترتيبها حجاجيا؛ فمن حيث التعالق التراتبي للأحداث يمثل تحريض بعض القوى السياسية على الاحتجاج حدثا أسبق على تحول المظاهرات إلى مواجهات، فانزلاق المظاهرات نحو الفوضى نتيجة لحدث التحريض "المفترض"، أما من حيث البناء الحجاجي الذي يعتمد المتكلم، فانحراف المظاهرات نحو الفوضى مقدم على حجة التحريض، وهذا ما يوجه حجاجية القول وجهة حمل الجماهير على عدم الانسياق خلف التعبئة الاحتجاجية من خلال تشكيك هذه الجماهير في صدق نوايا مترعمي الاحتجاجات.

ولنفترض أن الترتيب الحجاجي للقول اتخذ الترتيب نفسه لتعاقب الأحداث، فحينئذ ستكون حجة انحراف الاحتجاجات نحو الفوضى أعلى وأقوى في سلم الحجاج من الحجة القائمة على افتراض وقوف بعض القوى السياسية خلف تحريض الشعب على الاحتجاج، وفي ذلك سيتجه البناء الحجاجي نحو ترجيح نتيجة ضمنية مفادها: أن الاستمرار في الاحتجاجات يوازي قيادة البلد نحو الفوضى وتهديد الاستقرار، وليست هي النتيجة نفسها التي يمكن أن تُرجَّح في حالة جعل حجة وقوف بعض الأطراف خلف تحريض الشعب على الاحتجاج كحجة أعلى من انزلاق المظاهرات نحو الفوضى، فحينئذ ستكون النتيجة الضمنية المرجحة موازية لما يفيد: أن الانخراط في الاحتجاجات خدمةً لمصالح هذه القوى السياسية الساعية إلى الفوضى بدل تحسين الأوضاع.

ولتقريب الصورة أكثر نمثل للسلم الحجاجي الذي استند إليه المتكلم في قوله، والسلم الحجاجي الذي يطابق فيه الترتيب الحجاجي الترتيب التعاقبي للأحداث:

ن  
↑  
ح2 انحرفت المظاهرات من مظهر راق إلى مواجهات مؤسفة.  
ح1 توجد أطراف سياسية تحرض على الاحتجاجات وتحركها وتهمين عليها.

السلم الحجاجي الذي يطابق فيه الترتيب الحجاجي الترتيب التعاقبي للأحداث. (أ)

ن  
↑  
ح2 مواصلة التظاهر خدمة لبعض الأطراف السياسية في استهداف أمن الوطن وضرب استقراره.  
ح1 توجد أطراف سياسية تحرض على الاحتجاجات وتحركها وتهمين عليها  
انحرفت المظاهرات من مظهر راق إلى مواجهات مؤسفة

السلم الحجاجي لقول المتكلم. (ب)

ما يمكن أن نلمسه في السلمين أن كليهما يدعمان نتيجة وقف الاحتجاجات، غير أن ذلك كان سيتم في السلم الحجاجي (أ) بشكل أقوى على تداعيات الاحتجاجات على أمن البلد واستقراره، بينما في السلم الذي اعتمده المتكلم (ب) تقوم حجاجية القول بشكل أقوى على أساس بعث الشك في الانقياد خلف الأصوات الداعية للاحتجاج باعتبارها تمثل قوى سياسية لا تخدم إلا مصالحها الخاصة.

يمكن أن نجد الحجاج الموجه نحو حمل المخاطب على تعرض الوطن لمؤامرة في صور أخرى، حيث يجعل المتكلم من تمسك بعض الأطراف السياسية بأجنداتهم الخاصة دون مراعاة المصلحة الوطنية مسوغا حجاجيا في رفض هذه القوى التجاوب مع الدعوة إلى الحوار في شأن المطالب المشروعة التي طالبت بها الجماهير، يقول:

"لقد بادرت لتشكيل حكومة جديدة بأولويات وتكليفات جديدة تتجاوب مع مطالب شبابنا ورسالتهم، وكلفت نائب رئيس الجمهورية بالحوار مع كافة القوى السياسية حول كافة القضايا المثارة للإصلاح السياسي والديمقراطي، وما يتطلبه من تعديلات دستورية وتشريعية من أجل تحقيق هذه المطالب المشروعة واستعادة الهدوء والأمن والاستقرار، لكن هناك من القوى السياسية من رفض هذه الدعوة للحوار تمسكا بأجنداتهم الخاصة، ودون مراعاة للظرف الدقيق الراهن لمصر وشعبها".

تتركب البنية الحجاجية للقول وفق نمط "أ" و"ب" لكن "ج"، وفي ذلك تدعم الحجتان "أ" و"ب" على التوالي نتيجة معارضة للنتيجة التي تدعمها "ج" كما يبين السلم التالي:

- ن تجاوب بعض القوى السياسية مع مبادرتي اتجه نحو زيادة الاحتقان بدل تحقيق الإصلاحات واستعادة الأمن والاستقرار.
- ح "ج" لكن، هناك من القوى السياسية من رفض هذه الدعوة إلى الحوار تمسكا بأجنداتهم الخاصة ودون مراعاة الطرف الدقيق الراهن لمصر وشعبها.
- ن مبادرتي اتجهت نحو تحقيق المطالب المشروعة واستعادة الهدوء والأمن والاستقرار.
- ح "ب" كلفت نائب رئيس الجمهورية بالحوار مع كافة القوى السياسية حول كافة القضايا المثارة للإصلاح السياسي والديمقراطي، وما يتطلبه من تعديلات دستورية وتشريعية.
- ح "أ" بادرت لتشكيل حكومة جديدة بأولويات وتكليفات جديدة تتجاوب مع مطالب شبابنا ورسالتهم.

يظهر السلم الحجاجي أن حجة مبادرة المتكلم باعتباره رئيس الجمهورية إلى تشكيل حكومة جديدة متجاوبة مع مطالب الشعب، وحجة تكليفه رئيس الجمهورية بدعوة كافة القوى السياسية للحوار بشأن الإصلاحات التي ينبغي القيام بها ، حجتان تدعمان نتيجة إيجابية مصرح بها تفيد تحقيق الإصلاحات والمطالب المشروعة للشعب واستعادة الأمن، بيد أن

التعارض الحجاجي الذي يقتضيه الرابط الحجاجي "لكن"، يجعل من حجة رفض بعض القوى السياسية الحوار بشأن الإصلاحات، تتحرف بالنتيجة السابقة المصرح بها إلى نتيجة أخرى ضمنية معاكسة تفيد تعثر محاولة المتكلم تحقيق مطالب الإصلاح، وفي ذلك يكتسب موقف هذه الأطراف السياسية موازاة مع مبادرة المتكلم، دلالة التخاذل في خدمة المصلحة الوطنية وعرقلة تحقيق الإصلاح واستعادة الاستقرار، كونه موقف لا يراعي "الظرف الدقيق الراهن لمصر وشعبها".

وإذا كان البناء الحجاجي للأقوال التي تصاغ على هذا المنوال يُفسَّر تبعا لنظرية الحجاج في اللغة، باعتبار الحجة التي ترد بعد "لكن" تكون أقوى في سلم الحجاج، فإن حجة رفض بعض القوى السياسية الاستجابة للتفاوض كمنطلق للإصلاح والخروج من الأزمة، هي مدار الفاعلية الحجاجية للقول، وبغض النظر عن القيمة الصدمية للمحتوى الإخباري الذي تقوم عليه هذه الحجة، فإنها تحيل ضمنا على تريض وكيد تلك القوى السياسية، ليس ضد السلطة فحسب، وإنما أيضا ضد مصالح الشعب والوطن.

### 1-3- إستراتيجية إعادة بناء صورة الذات

إذا كان التواصل نشاطا تفاعليا تتموضع في غماره الأطراف المتواصلة كهويات محددة فإن الهوية التي تقدمها الذات المتكلمة في الخطاب السياسي تستهدف في المقام الأول كسب ثقة المخاطب في إطار السعي إلى تقليص دائرة الخلاف معه، ومن ثمة فإن صورة الذات سواء

أكانت مطابقة للواقع أو مناقضة له تبقى ذات طبيعة حجاجية "تخضع لحافز جوهرى هو البحث عن التقويم، أي أن يتم تقدير المتكلم في أعين الآخرين<sup>1</sup>.

وإذا أمكن اعتبار هوية المتكلم في الخطاب السياسي هوية خطابية كما يعتبرها باتريك شارودو ودومينيك مانغينو<sup>2</sup>، فإن ذلك يعني أنها تمثلات يولدها الفعل الخطابى، ولذلك فهي صور لا تكمن أهميتها في التأثير في قيمتها الصدقية، وإنما في قدرتها على خلق هوية تكون محل جذب وتحفيز كمنفذ للتأثير، وهو ما يستدعي طبعاً قابلية إعادة بناء صورة الذات في كل فعل خطابى تكييفاً مع ما يقتضيه رهان الحفاظ على الثقة أو إعادة بنائها أو البحث عنها.

تحدد الذات في خطاب مبارك كذات زاهدة في السلطة لا تنظر إلى منصب الرئاسة إلا باعتباره مسؤولية تقتضيها خدمة الوطن والشعب، يقول:

"إنني لم أكن يوماً طالب سلطة أو جاه، ويعلم الشعب الظروف العصبية التي تحملت فيها المسؤولية وما قدمته للوطن حرباً وسلاماً، كما أنني رجل من أبناء قواتنا المسلحة، وليس من طبعى خيانة الأمانة أو التخلي عن الواجب والمسؤولية".

إن الهوية التي يقدمها المتكلم عن نفسه في القول حجاجية بالأساس، تتجه نحو تسويغ بقائه

<sup>1</sup> - المصطفى عمرانى، التواصل نماذج ورهانات، عالم الكتب الحديث إريد الأردن، الطبعة الأولى 2016، ص: 57.

<sup>2</sup> - Patrick charaudeau, le discours politique les masques du pouvoir, op.cit, p:89.

- Dominique Maingueneau Maingueneau , le contexte de l'œuvre littéraire, op.cit, p:138.

في منصب الرئاسة، وهي نتيجة ضمنية لمتوالية من الحجج الصغرى، تتوالى بتقديم الذات في صورة الشخصية التي يحركها الشعور بالمسؤولية بدل الرغبة في السلطة أو الجاه، ثم كذات تربت في خدمة الوطن عبر التذكير بالانتماء للقوات المسلحة، قبل أن تقدم الأمانة والالتزام بالواجب كصفات متجذرة في الذات، وهذه الحجة الأخيرة لا تقود إلى النتيجة إلا في إحالتها على حجة أخرى مستلزمة ضمناً مفادها: أن قيادة الوطن أمانة ومسؤولية، وهي ما يمثل رابط العبور إلى ما يفيد أن بقاء المتكلم في السلطة واجب يقتضيه الشعور بالأمانة والالتزام بالمسؤولية.

من جانب آخر تتحدد الوظيفة الحجاجية التي تضطلع بها الهوية الخطابية في تسويق البقاء في السلطة، أو بالأحرى رفض التنحي، من خلال طمس معالم هوية مضادة يُفترض أنها تسربت إلى وعي الجماهير المحتجة بالنظر إلى استعمال النفي (لم أكن يوماً طالب سلطة أو جاه.....، ليس من طبعي خيانة الأمانة...) الذي يقتضي وجود خبر مثبت يشكل النفي رداً عليه<sup>1</sup>.

## 2- أبعاد التغليف الحجاجي

### 2-1-الالتباس

يمثل توجيه المتكلم نحو معنى ما على أنه قصد تداولي، مع أن القول يثوي معنى آخر لا يصب في مصلحة المخاطب أحد المسالك الخطابية التي يُستغل فيها الالتباس للاحتيال

<sup>1</sup> - شكري المبخوت، إنشاء النفي وشروطه النحوية الدلالية، مركز النشر الجامعي تونس، دط 2006، ص: 83.

على المخاطب، وعادة ما يتم اللجوء إلى ذلك في حالات التفاوض بين مصلحتين متعارضتين، وفي مثل الخطابات السياسية المعدة سلفا للتأثير في الجمهور من المستبعد أن يكون ركوب إلباس القصد ناتجا عن انزلاق عفوي خاصة في خطابات القادة الكبار الممثلين لقمة الهرم في الدولة، بحكم إشراكهم لزمرة من المستشارين المتمكنين من بلاغة الإقناع والتأثير ومختلف طرق الاحتيال الخطابية.

للممثل لالتباس القصد في خطاب مبارك ننطلق من القول التالي:

" وأقول بكل الصدق وبصرف النظر عن الظرف الراهن إنني لم أكن أنتوي الترشح لفترة رئاسية جديدة، فقد قضيت ما يكفي من العمر في خدمة مصر وشعبها، لكنني الآن حريص كل الحرص على أن أختتم عملي من أجل الوطن بما يضمن تسليم أمانته ورايته...".

يعكس المضمون الدلالي للقول من حيث طبيعة القضية التي يثيرها تفاعلا مع خطاب المحتجين الداعي إلى التنحي عن المسؤولية، ويمثل موقف المتكلم من الترشح لفترة رئاسية جديدة محور القضية، وفي ذلك يوهم المتكلم أنه يعلن نفيه الترشح لولاية جديدة في الانتخابات المقبلة، غير أن احتمال وجود قراءة أخرى للمعنى تبقى ممكنة، لأن نفي الترشح بواسطة فعل الكينونة المسبوق بحرف النفي (لم) يفيد نفي استغراق الحكم عن الماضي، كما أن توظيف الفعل (أنتوي) بعد نفي الكينونة لا يفيد قطعا "نفي الترشح" بل "نفي وجود نية الترشح" في ما مضى من الزمن. وهو ما يعني أن المتكلم لا ينفي الترشح لولاية جديدة، ذلك

أنه لم يقل بشكل صريح "لن أترشح"، بل إنه لا ينفي حتى وجود نية الترشح لحظة (زمن) التلفظ ، إذ لم يقل "لا أنوي الترشح".

وإذا كان نفي وجود نية الترشح زمن التلفظ يفيد قطعية الحكم في الماضي دون أن يلغي اقتضائياً قطعية النفي عن الحاضر والمستقبل بالنظر إلى إمكانية ثبات هذه النية، فإن نفي نية الترشح بهذه الصيغة يسمح على النحو النقيض باحتمال تقلب هذه النية تماشياً مع الأوضاع، وحتى يقلص المتكلم من إمكانية تبادر هذا المعنى أعقب النفي بما يفيد كفافه في الاستمرار في مهمة الرئاسة، مكتفياً بما قدمه من خدمة للوطن والشعب (فقد قضيت ما يكفي من العمر في خدمة مصر وشعبها)، وهو ما يشوش على التقطن إلى أن المتكلم لا ينفي فعلاً إلا عدم وجود نية للترشح سابقة عن زمن التلفظ.

وما يؤكد أن المتكلم راهن على حمل الجماهير المخاطبة على عدم الترشح كقصد يمكن التملص منه بسهولة بفعل احتواء القول لمعنى آخر، هو ما قاله المتكلم نفسه في خطابه الأخير قبل التنحي وهو يحيل على قوله هذا، حيث قال "لقد أعلنت بعبارات لا تحتل الجدل أو التأويل عدم ترشحي للانتخابات الرئاسية المقبلة، مكتفياً بما قدمته من عطاء للوطن لأكثر من ستين عاماً في سنوات الحرب والسلام"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - يمكن مشاهدة الخطاب الأخير لحسني مبارك قبل تنحيه على اليوتيوب:

زيارة الموقع بتاريخ: (2015-8-20) [https://www.youtube.com/watch?v=9\\_06qCKV3bE](https://www.youtube.com/watch?v=9_06qCKV3bE)

بهذا القول الذي يحيل على القول السابق يزعم المتكلم أن قصده كان هو عدم الترشح لفترة رئاسية جديدة، ويمكن أن يفسر حرص المتكلم على إثارة هذه القضية من جديد ونفيه التأويل عن قوله كتعديل لما خشي أن الجمهور المخاطب قد يتقطن إليه، وإلا فما الداعي إلى نفي التأويل عن معنى القول السابق إذا كان فعلا واضحا لا يحتمل التأويل؟!!

بالرجوع إلى المعنيين في القول الذي يعنينا، فإن القيمة الدلالية لكل معنى تؤدي دورا حجاجيا يخدم مصلحة المتكلم، وإن اختلفا من حيث درجة خدمة هذه المصلحة، فإذا أخذنا المعنى الأضعف إخباريا باعتباره أدنى ما يمكن للمتكلم التملص منه، أي نفيه نية الترشح قبل زمن التلفظ، فإن القيمة الحجاجية للمعنى تكمن في أنها تدعم استكمال المتكلم لولايته دون أن ينفي ذلك قطعا معاودته الترشح مستقبلا، وهو معنى يصب كليا في مصلحة المتكلم ويتعارض مع مطلب المحتجين الداعي إلى التنحي.

وإذا افترضنا أن المخاطب وقع في فخ الأخذ بالمعنى الأكثر إخبارا أي نفيه نية الترشح قبل أحداث الثورة والحسم في عدم الترشح في الانتخابات المقبلة، فإن ذلك فضلا عن كونه يدعم أيضا استكمال المتكلم لولايته، يوهم بالاستجابة لمطلب الرحيل وإن مستقبلا، دون التورط في الكذب أو التراجع عن قرار، لأن إمكانية التملص من محتوى هذا الادعاء بالركون إلى المعنى الأقل إخبارا على أنه هو القصد تبقى ممكنة.

## 2-2- مغالطة الأبيض أو الأسود

يطلق عليها **حسان الباهي** مغالطة الأبيض أو الأسود، وتتمثل في الحالة التي يضع فيها المتكلم المخاطب أمام خيارات محصورة رغم وجود خيارات أخرى، مما قد يدفع المخاطب إلى التسليم بأن أحد تلك الخيارات المقدمة لابد أن يكون صحيحا، وغالبا ما يُقدم في ذلك خياران قائمان على التضاد، لا يمكن التوفيق بينهما، لتطويق موقف المخاطب وإحراجه بضرورة تعيين أحد الخيارين، وإن كانا معا لا يعكسان موقف المخاطب، كأن نقول لصديق في موقف دفاعي: إما أنت معي أو ضدي، والمخاطب إذ يحدد أحد الخيارين يقع ضحية التغليف<sup>1</sup>.

بالرجوع إلى خطاب **حسني مبارك**، نجد هذه المغالطة الإحراجية ماثلة في تخيير الشعب بين "الفوضى" و"الاستقرار" كخيارين لا ثالث لهما، يقول:

"إن أحداث الأيام القليلة الماضية تفرض علينا جميعا شعبا وقيادة الاختيار ما بين **الفوضى والاستقرار**".

يحيل خيار "الفوضى" في الخطاب على الاحتجاجات وما خلفته من خسائر بشرية ومادية، بينما يقترن خيار "الاستقرار" ببقاء المتكلم على رأس السلطة رئيسا للجمهورية، فالمتكلم حريص على استكمال ولايته ضمانا للاستقرار، كما يؤكد في قوله: **"لكنني حريص كل**

<sup>1</sup> - حسان الباهي، "المغالطات في الخطاب اليومي مقارنة تداولية"، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، مرجع سابق، ص ص: 387-388.

الحرص على أن أختتم عملي من أجل الوطن بما يضمن تسليم أمانته ورايته ومصر عزيزة آمنة ومستقرة".

وعلى هذا الأساس، فإن الشعب مطالب بأن يختار بين الاستمرار في الاحتجاجات وسقوط مزيد من القتلى وتكبد الوطن لمزيد من الخسائر الاقتصادية، وإما تفادي ذلك ببقاء المتكلم في السلطة، لأن خيار تنحيه وإن كان غير وارد - فإنه يستدعي الفوضى أي الرجوع إلى الخيار الأول.

إن حصر المتكلم لهذين الخيارين كنتيجة تفرض نفسها بعدما خلفته تدخلات الأمن لتفريق المتظاهرين، يقصي على الأقل خيارا ثالثا صدحت به حناجر المحتجين في ميدان التحرير وفي مختلف أرجاء مصر، ويتمثل في تنحي الرئيس حسني مبارك وحل نظام حكمه لانتخاب قيادة جديدة تقود البلد نحو التغيير الديمقراطي، غير أن المتكلم تجاهل هذا الخيار كأنه غير وارد ليفرض الرضى بالاستقرار تحت سلطته، بدل ما يمكن أن يقود البلد نحو فوضى أسوأ.

وفضلا عن كون هذه المغالطة تقصي خيارا حجاجيا ثالثا يفرض نفسه، فإنها من جهة أخرى مبنية على التخويف الذي يثيره خيار "الفوضى" خصوصا في تقابله مع خيار "الاستقرار"، ولذلك فالتكلم يوجه قسرا الجماهير المحتجة للإذعان للخيار الثاني، بحكم أن خيار الفوضى غير مستساغ لأنه مخيف ومفزع .

## 2-3- مغالطة التحيز

وتتمثل في الانحياز للحجة أو الحجج التي يمكن أن تخدم النتيجة التي يدافع عنها المتكلم والتي تخدم مصلحته غالبا، مع استبعاد الحجج المبطلّة للنتيجة رغم كونها معقولة وربما أقوى من الحجج التي انحاز المدعي إليه<sup>1</sup>.

نقف على هذه المغالطة في خطاب مبارك بشكل عام في اعتباره الاحتجاجات سائرة نحو ضرب استقرار مصر، كحجة ينحاز إليها المتكلم ليحمل الجماهير النائرة على وقف الاحتجاجات وقبول استمراريته في الحكم.

لقد وقفنا في سياق مناقشة إستراتيجية التخويف على قوله: "أتحدث إليكم في أوقات صعبة تمتحن مصر وشعبها، تكاد أن تنجرف بها وبهم نحو المجهول"، والمتأمل لهذا القول يجد أن المتكلم انحاز للحجة التي تخدم مصلحته، مقابل تجاهله لحجة مقابلة تتمثل في كون تلك الاحتجاجات سائرة نحو التغيير الذي يخلص الشعب من الاستبداد والظلم ويرقى بمستوى عيشه. فإذا سلمنا بالحجة الأولى المتمثلة في مرور مصر بأوقات صعبة تمتحنها، فإن الحجة الثانية: "تكاد أن تجرف بها وبهم نحو المجهول" ليست يقينية، فهي تبقى احتمالا لا ينفى وجود احتمال مضاد مفاده سير الثورة (الامتحان) نحو إسقاط النظام كخطوة أولى نحو التغيير الديمقراطي، خصوصا وأن السلطة قد قدمت تنازلات مهمة قبل توجه حسني مبارك

<sup>1</sup> - حسان الباهي، "المغالطات في الخطاب اليومي مقارنة تداولية"، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، مرجع سابق، ص:402.

إلى الشعب بهذا الخطاب كما أشرنا إلى ذلك في تناولنا للسياق العام الذي جاء فيه الخطاب.

إن الأوضاع الصعبة التي تمر منها مصر يمكن أن تتجرف بالشعب والوطن نحو خطر لا يمكن أن يُعرف مداه وعواقبه كما تحيل على ذلك عبارة "المجهول"، فهذا احتمال وارد، وهو بلا شك يخدم نتيجة التوقف عن الاحتجاجات التي تدعم نتيجة أكبر هي بقاء **حسني مبارك** في منصبه، غير أن هذا الاحتمال لا يمنع احتمال قرب الاحتجاجات من الإطاحة بالنظام وعودة الاستقرار، وهو احتمال وارد أيضا ومعقول في دعم نتيجة نقيض مفادها مواصلة الاحتجاج، لكن المتكلم استبعده لأنه لا يخدم الموقف الذي يصب في اتجاه بقائه على رأس السلطة، ليكون المتكلم بذلك ارتكب مغالطة الإنحياز للحجة التي تخدم مصلحته.

## خاتمة الباب الثالث

وقفنا في هذا الباب على خطابين سياسيين صادريين عن أعلى سلطة في الدولة، ويتعلق الأمر بخطاب للرئيس التونسي السابق زين العابدين بنعلي والرئيس المصري السابق حسني مبارك، اللذين توجهوا بخطابيهما إلى شعبيهما في سياق انتفاضة الشعبين التونسي والمصري على سياسة الدولة ومطالبة الجماهير الغاضبة المحتجة بإسقاط النظام وتحيي الرئيس.

يتمثل الرهان الأساس في كل من الخطابين في محاولة تهدئة الشعب واستعادة الشرعية من أجل الاستمرار في منصب السلطة، وقد حاولنا في التحليل أن نقف على مختلف أبعاد التطبيع في الخطابين، سواء من حيث الطبيعة التداولية للأفعال الإنجازية واستعمال الإشارات والافتراضات المسبقة، أو من حيث الطبيعة الحجاجية.

وقد خلصنا في التحليل إلى أن الخطابين السياسيين يميلان من حيث الإنجاز الكلامي إلى الارتكاز على أفعال كلامية ذات طبيعة إغوائية كما هو الشأن في الوعد والأفعال السلوكية التي تفيد تضامن المتكلم كالمواساة، أو ذات طبيعة ترهيبية كالتخويف من خطر محتمل أو التهديد.

أما من حيث استعمال الإشارات الشخصية، فرأينا كيف يعمد الخطاب السياسي إلى التأثير من خلال تجنب التأشير الإحالي الدال على المخاطب، كطرف يُوجه إليه الخطاب لإخفاء التناظر الخطابى بين الذات المتكلمة والجماهير المخاطبة بالوجه الذي يحجب مسافة الاختلاف والبعد بين الطرفين، سواء بتوظيف ضمير المتكلم الجمع "نحن" لاحتواء هذا

المخاطب، أو بالاستعاضة عن ضمير المخاطب بضمير الغائب فيما يستدعي مخاطبة فئة محددة من الشعب. ومقابل تفادي توظيف الإحالة الدالة على المخاطب الجمهور يعمد الفاعل السياسي إلى التوظيف المكثف للإحالة الشخصية الدالة على الذات (المفردة أو القيادية)، ليس فقط لتحسين صورته وإنما أيضا لتجسيد كونها مركزا للسلطة والقرار، وهو ما يزيد من الفاعلية التأثيرية للأفعال الإنجازية.

ومن الخلاصات التي يمكن الظفر بها أيضا، أن الخطاب السياسي الجماهيري في سعيه للتأثير بأي ثمن، يعمد إلى تمرير افتراضات مسبقة كأنها مسلمات وحقائق بالرغم من أنها لا تشكل أرضية تواصلية مشتركة مع الجمهور.

ولعل أهم جانب يجسد التطبيع في الخطاب السياسي هو ذلك المتعلق بالحجاج، فقد تبين مع التحليل أن الفاعلية الحجاجية، لا تستهدف مخاطبة العقل بالأساس بقدر ما تقوم على استنفار الأهواء وتهبيج العواطف، سواء من خلال استهداف إثارة مشاعر الخوف عن طريق التهيب بالعقاب، أو بتداعيات ما يشكل تهديدا للسلطة نفسها (الاحتجاجات كما في الخطابين)، أو من خلال الإغراء بصورة الذات التي يسعى الفاعل السياسي إلى تحيينها مع مقتضيات الوضع، فضلا عن سعي الفاعل السياسي إلى التضليل عبر ربط كل ما يهدد سلطته وشرعيته بخصم مفترض يريد النيل من مصلحة الشعب والبلد وضرب استقراره.

إن مقتضيات الحجاج العقلي السليم الذي يحفز الجمهور على مشاطرة الفاعل السياسي الرأي بشكل حر وواع، ليست اعتبارا يؤطر بناء الخطاب السياسي الجماهيري، فتطلع الفاعل

السياسي إلى رهان وجوب إذعان المخاطب بأي وجه كان ضمن رهان أكبر هو الحفاظ على السلطة وتعزيز الشرعية، يدفع الفاعل السياسي إلى استثمار كل الإستراتيجيات الحجاجية غير المشروعة التي تخرق قواعد الاستدلال السليم والمشروع بالانزلاق إلى التغليف والمراوغة.

## خاتمة البحث

حاولنا في هذا البحث أن نستثمر الأدوات النظرية للتداوليات والحجاج لإمطة اللثام عن أبعاد التطويع في الخطاب السياسي الجماهيري الصادر عن السلطة، وقد سمحت لنا الدراسة أن نخرج بمجموعة من الخلاصات، نجملها في الآتي:

- التداوليات حقل معرفي شاسع يتقاطع في عديد من الاهتمامات مع حقول معرفية

أخرى أهمها البلاغة والتواصل، كما أن التداوليات ليست إطارا نظريا واحدا، فهي

مجموعة من النظريات ذات الاهتمامات والتوجهات المختلفة وإن كانت غالبيتها تتبع

من نظرية الأفعال الكلامية لأوستين وسيرل، وتلتقي في دراسة اللغة من حيث

الاستعمال تبعا للسياق، ولذلك لم يكن من الغريب أن تسمى تداوليات بصيغة الجمع.

- تعد إسهامات أرسطو في الحجاج المنطلق الملهم لمختلف الإسهامات النظرية في

الموضوع، فمشروع بيرلمان وتيتيكا وإن سعى إلى دراسة الحجاج من انشغالات عالم

المنطق، وفصل في التقنيات الحجاجية، فإنه يقوم بالأساس على البلاغة الأرسطية.

أما إسهامات ديكر و أنسكومبر، فرغم أنه يحسب لها أنها لفتت النظر إلى المظهر

الداخلي للحجاج والفاعلية الحجاجية التي تضطلع بها اللغة، فإن هذه الجهود تستلهم

أيضا من التنظير الأرسطي خاصة فيما يعرف بالمواضع. أما بخصوص إسهامات

مايبر، فلئن كان يميزها اعتبار الحجاج مساءلة وفاعلية تستهدف مفاوضة المسافة

حول إشكال ما، فإن مايبر إذ يحدد ثوابت الحجاج باعتباره مساءلة في عنصرين هما

الأخلاق والإشكال، فإنه يختزل ثوابت الحجاج الثلاثة في التنظير الأرسطي؛  
"الأيثوس" و"الباتوس" و"اللوغوس"، حيث يقابل عنصر الأخلاق عند أرسطو  
"الإيثوس" و"الباتوس"، فيما يقابل الإشكال عند مايبير "اللوغوس" عند إرسطو.

- كل ممارسة حجاجية هي في الجوهر محاولة لتقليص المسافة الفاصلة بين الموقف  
الذي يوجد عليه المخاطب أو يُفترض أنه عليه، وبين النتيجة التي يطمح إليها  
المتكلم المحاجج، وضمن هذه المسافة تنشط الحجج، لتحفز المخاطب للتفكير مثل  
المتكلم ومشاركته الموقف الذي يدعمه. وحيث إن مجال الحجاج هو المحتمل  
والظني، فإن نتائجه ليست بالضرورة حتمية وقطعية.

- ليست كل إستراتيجيات التأثير التي تلزم الآخر بالإذعان، وتجبره على قبول الموقف  
أو القيام بفعل، يمكن أن تعتبر حجاجا يقود إلى إقناع حر وواع إذا استحضرنا  
الضوابط العقلية والأخلاقية لما ينبغي أن يكون عليه الحجاج بمقتضى كونه يقع في  
دائرة المحتمل، لذلك فدفح الآخر إلى التصرف على نحو ما أو حمله على موقف ما  
بغض النظر عن معقولية الحجج ومشروعيتها في تسويغ الادعاء، قد يكون بمثابة  
تطويع يستهدف الإخضاع بدل الإقناع، عن طريق توسل كل سبل الإراغة على نحو  
الكذب والتهديد والتغليب.

- اللغة سلطة في حد ذاتها وحينما تضيف عليها السلطة الرمزية للمتكلم قوة إضافية تصبح أداة للتحكم والسيطرة كما يتجسد ذلك في الخطاب السياسي الجماهيري الصادر عن فاعل سياسي يمثل مركز السلطة.
- الخطاب السياسي الجماهيري الصادر عن السلطة خطاب إستراتيجي موجه للتأثير، لا يبنني فقط على التخطيط النصي، وإنما يشمل التحكم في السياق والأداء بفضل ما وفره التقدم التكنولوجي من تقنيات الإخراج الصوتي، فضلا عن إشاعة الخطاب على نحو واسع عن طريق وسائل متعددة.
- الخطاب السياسي الجماهيري الصادر عن السلطة يأخذ طابعا خاصا في التواصل، فهو لا يبنني على سيرورة دائرية قائمة على تبادل الأدوار بين المرسل السياسي والجمهور المخاطب، فرسالة الخطاب ذات اتجاه أحادي تنطلق من المرسل الذي يتمتع بسلطة أقوى، لتصل إلى الجمهور الذي ليس بإمكانه الرد، وهذه الخاصية تجعله خطابا عموديا لا ينظر إلى الطرف الثاني إلا باعتباره مصدر تفويض ينبغي التحكم فيه.
- إن إنخراط الفرد ليتحول إلى مخاطب ضمن الجمهور يساهم في التأثير الذي يحققه الخطاب السياسي، لأن التفكير العقلي النقدي للفرد يتقلص، بفعل سيطرة التفكير الجمعي، وهذا الاعتبار لا يغيب عن وعي الفاعل السياسي.

- إن الفاعل السياسي المجسد للسلطة لا يكشف وهو يتوجه بخطابه إلى الجمهور حقيقة تهافته على الحفاظ على السلطة والنفوذ، فهذا الرهان يتوارى عادة خلف تدبير المسؤولية والمصلحة العامة كاعتبارين يسوغان الاستجابة لما يحث عليه الخطاب.
- إذا كان من غير الممكن حسب نظرية الأفعال الكلامية لأوستين وسيرل تصور فعل التلطف إلا باعتباره إنجازا لفعل بواسطة اللغة، فإن النظر في طبيعة الأفعال الإنجازية التي يوظفها الخطاب السياسي الجماهيري لإحراز مفعول التأثير، يكشف أنها تأخذ عموما بعدين؛ الأول إغوائي يتمثل في إنجاز الوعد والأفعال السلوكية التي تفيد تضامن المتكلم مع الجمهور المخاطب، والثاني تخويفي؛ يتحدد في التخويف من خطر محتمل قادم، أو الترهيب المباشر بالعقاب.
- يمثل استعمال الإشارات وتمرير الافتراضات المسبقة في الخطاب السياسي الجماهيري المجسد للسلطة نافذتين مهمتين في استمالة الجمهور وتطويعه.
- لعل أهم جانب يجسد التطوع في الخطاب السياسي هو ذلك المتعلق بالحجاج، فقد تبين مع التحليل أن الفاعلية الحجاجية لا تستهدف مخاطبة العقل بالأساس، بقدر ما تقوم على استنفار الأهواء وتهيج العواطف، سواء من خلال استهداف إثارة مشاعر الخوف عن طريق الترهيب بالعقاب أو بتداعيات ما يشكل تهديدا للسلطة نفسها (الاحتجاجات كما في الخطابين)، أو من خلال الإغراء بصورة الذات التي يسعى الفاعل السياسي إلى تحيينها مع مقتضيات الوضع، فضلا عن سعي الفاعل السياسي

إلى التضليل عبر ربط كل ما يهدد سلطته وشرعيته بخصم مفترض يريد النيل من مصلحة البلد والشعب وضرب استقراره.

إن النظر في الطبيعة الحجاجية لهذا النوع من الخطابات باستحضار المقتضيات الأخلاقية والعقلية التي ينبغي أن توطر الحجاج باعتباره يستهدف الإقناع، يدفع إلى إعادة النظر في وصف الخطاب السياسي بالخطاب الإقناعي، فالحجاج الذي يستند إليه يشوش على التفكير السليم الذي يقود إلى اختيار حر، وأبعاد ذلك تنتوع بين استنفار الأهواء والتحايل والتضليل.

## ملحق البحث:

خطاب الرئيس التونسي السابق زين العابدين بنعلي

خطاب الرئيس المصري السابق حسني مبارك

## نص خطاب الرئيس زين العابدين بنعلي في 10 يناير 2011

"بسم الله الرحمن الرحيم

أيها المواطنون

أيتها المواطنات.

في الداخل والخارج أتوجه اليوم إليكم على إثر ما شهدته بعض المدن والقرى، بعدد من الجهات الداخلية من أحداث شغب وتشويش وأضرار بالأموال العمومية والخاصة. أحداث عنيفة دامية أحيانا، أدت إلى وفاة مدنيين، وإصابة عدد من رجال الأمن، أحداث قامت بها عصابات ملثمة، أقدمت على الاعتداء ليلا على مؤسسات عمومية، وحتى على مواطنين في منازلهم في عمل إرهابي، لا يمكن السكوت عنه.

أحداث، وراءها أياد لم تتورع عن توريط أبنائنا من التلاميذ والشباب العاطل فيها، أياد تحث على الشغب، والخروج إلى الشارع بنشر شعارات اليأس الكاذبة، وافتعال الأخبار الزائفة، استغلت بدون أخلاق حدثا أسفنا له جميعا، وحالة يأس نتفهمها، كانت جدت بسيدى بوزيد منذ أسبوعين.

وإذ نعرب عن بالغ أسفنا للوفيات والأضرار التي نجمت عن هذه الأحداث، فإننا نجدد تعاطفنا مع أسر المتوفين رحمهم الله، والمتضررين (المتضررون) نشاركهم ألمهم وحرزهم ونواسيهم، صادقين الحب لكل أبنائنا وبناتنا دون فرق ولا استثناء.

وقد أخذت العدالة مجراها للتحقيق في ظروف وملابسات هذه الأحداث، وتحديد المسؤوليات فيها.

أيها المواطنون

أيتها المواطنات.

إن هذه الأحداث أعمال قلّة من المناوئين الذين يغيظهم نجاح تونس، بل يسوؤهم ويحير نفوسهم ما تحقق لها من تقدم ونماء، تشهد به كل المؤسسات والهيئات الدولية والأممية المعروفة بالموضوعية والنزاهة.

لقد ركب هؤلاء المغالطون، موضوع البطالة بتوظيف حالة يأس فردية، مثلها يتكرر في جميع المجتمعات وفي عديد الأوضاع، مناوئون ماجورون، ضمائرهم على كف أطراف التطرف والإرهاب التي تسيورها من الخارج أطراف لا تكن الخير لبلد حريص على العمل والمثابرة، بلد موارده ذكاء أبنائه وبناته الذين راهنا عليهم دوما ومازلنا، لأننا نفضل مجابهة التحديات، وصعابها بشعب مثقف على الأمان الوهمي بشعب جاهل.

والجميع يعلم كم نبذل من جهود للتشغيل، التشغيل، الذي جعلنا منه دوما أوكد أولوياتنا، والجميع يعلم، كم هي كبيرة عنايتنا بحاملي الشهادات العليا الذين كما قلت، نعتز بأعدادهم المتكاثرة، ونعمل على رفع التحدي الذي تطرحه هذه الأعداد، لأن خياراتنا التربوية من ثوابت مشروعنا الحضاري والسياسي، وإجبارية التعليم ومجانيته مبدآن لا محيد عنهما رغم ما يكلفان من ضريبة اجتماعية واقتصادية، ونشر المؤسسات الجامعية في كامل جهات البلاد دون استثناء واقع ندعمه في كل مرحلة ولن نتراجع عنه.

إن سياستنا التعليمية مثلها مثل سياساتنا بشأن الأسرة والمرأة والشباب والطفولة، وكذلك ما تبذله الدولة من جهود للإحاطة بضعاف الحال والحفاظ على القدرة الشرائية ودعم أسعار المواد الأساسية الذي يكلف الميزانية ما يفوق 1700 مليون دينار سنويا، نعم 1700 مليون دينار سنويا هي من مضاخرنا. ولن نتردد في تفعيلها رغم محدودية مواردنا المالية والطبيعية.

أيها المواطنون

أيتها المواطنات.

إن برنامجنا للفترة الجارية ومخطط التنمية الثاني عشر والبرنامج الخاص بتنمية الجهات الداخلية والحدودية والصحراوية السابقة، كلها لتلك الأحداث، وكذلك ما اعتمدناه من برامج إضافية تصب جميعها في حل مشكلة البطالة، وتدعم عملنا المتواصل لتحقيق تنمية متكافئة متوازنة بين الفئات والجهات، توفر الشغل وموارد الرزق، وتعطي الأولوية إلى أبناء العائلات المعوزة، وتخص حاملي الشهادات العليا بالبرامج الملائمة.

إن كل هذه السياسات والبرامج تعتبر في مستوى السياسات المعتمدة في بلدان العالم التي تعاني كلها من البطالة، فالبطالة ليست حكرا على تونس، ولا تونس هي الأسوأ حالا بالنسبة إلى غيرها في هذا المجال. ولم يبق للمغالطين غير ركوب الحالات اليائسة، وخدمت أهداف الأطراف الحاقدة والالتجاء إلى الفضائيات المعادية.

أيها المواطنون

أيتها المواطنات.

إننا نقول لكل من يعمد إلى النيل من مصالح البلاد، أو يغرر بشبابنا وبأبنائنا وبناتنا في المدارس والمعاهد ويدفع بهم إلى الشغب، والفضوى، نقول بكل وضوح إن القانون سيكون هو الفيصل.

ونحن نواصل الإصغاء إلى مشاغل الجميع، ونسعى إلى معالجة الوضعيات الجماعية والفردية، وندعم برامجنا من أجل التشغيل والتصدي للبطالة، دون المساس بجهودنا من أجل الرفع من مستوى العيش وجودة الحياة، ومواصلة الزيادة في الأجور دون انقطاع من دورة تفاوضية إلى أخرى.

وقد قررنا ما يلي :

أولا : مضاعفة طاقة التشغيل وإحداث موارد الرزق وتنويع ميادينها ودعمها في كل الاختصاصات خلال سنتي 2011 و2012، بمجهود إضافي هام من قبل الدولة والقطاع

العمومي، وبتضافر جهود القطاع الخاص والقطاع البنكي والتعاون الدولي وسائر الأطراف المعنية، وذلك قصد تشغيل أكبر عدد من العاطلين عن العمل، من غير حاملي الشهادات العليا وكذلك من بين فاقد الشغل، من كل الفئات والجهات.. وسيستوعب هذا المجهود أيضا كل حاملي الشهادات العليا الذين تجاوزت مدة بطالتهم عامين قبل موفى سنة 2012، نعم قبل سنة 2012، وأتعهد بذلك، وبذلك ترتفع طاقة التشغيل الجمليّة خلال هذه الفترة إلى 300 ألف مواطن شغل جديد.

وكنا أذنا منذ أيام الوزير الأول بالاتصال برجال الأعمال والاجتماع بالاتحاد التونسي للصناعة والتجارة، لحثهم على المساهمة في دعم هذه الجهود بانتداب ما يضاهاى 4 بالمائة من مجموع إطارات مؤسساتهم من بين حاملي الشهادات، أي ما يقارب 50 ألف انتداب جديد في الجهات، وقد لبوا مشكورين دعوتنا، وقد أذنا الحكومة بالمساعدة على تنفيذ هذه المبادرة ومتابعتها.

ثانيا : عقد ندوة وطنية يشارك فيها ممثلون عن المجالس الدستورية، والأحزاب السياسية، والمنظمات الوطنية، ومكونات المجتمع المدني المعنية، وعدد من الجامعيين والكفاءات من مختلف القطاعات ذات الصلة، وكذلك ممثلين عن الجهات، لطرح آرائهم، واقتراح التصورات لمزيد دفع التشغيل والمبادرة بما يستجيب للطلبات المنتظرة للشغل خلال السنوات القادمة، وستتنظم هذه الندوة خلال الشهر القادم إن شاء الله.

ثالثا : إعطاء دفع جديد للإعلام الجهوي، بتخصيص مساحة يومية بالتلفزة والإذاعات الوطنية لكل ولايات الجمهورية، مع تكثيف شبكة الإذاعات الجهوية والصحافة المكتوبة بالولايات، ودعم وحدات الإنتاج السمعية البصرية بها لتعزيز هذه النقلة النوعية، وذلك بما يفسح المزيد من فضاءات التعبير عن مشاغل المواطنين وطموحاتهم ويواكب واقع الحياة بالجهات.

رابعا : دعوة نواب الشعب وأعضاء مجلس المستشارين، والهيكل المركزي في الاحزاب السياسية، إلى تكثيف حضورهم بجهاتهم واتصالاتهم الدورية بالمواطنين للإصغاء إليهم، والإحاطة بالحالات التي تعرض عليهم وإبلاغها إلى الجهات المعنية، للسعى إلى معالجتها وإيجاد الحلول لها .

كما نجدد الدعوة في هذا الاطار إلى المسؤولين الاداريين، في المستويين الجهوي والمحلي إلى تطوير قنوات الاحاطة بالمواطنين، والاصغاء إلى مشاغلهم، وتيسير طرق معالجة المسائل المطروحة، وتذليل العوائق التي قد تعطلها، بالتعاون مع المنظمات المختلفة والنسيج الجمعياتي المختص.

خامسا : وعلاوة على كل الجهود التي ستبذل للتشغيل، فإنني قررت إعطاء كل مشروع جديد مشغل تفوق نسبة التأطير فيه عشرة بالمائة، ويبعث في جهات التنمية الداخلية من الضريبة على الأرباح ومن مساهمة الأعراف في التغطية الاجتماعية وذلك لمدة عشر سنوات.

واننا ندعو الأولياء، وسائر المواطنين، إلى الحفاظ على أبنائهم من هؤلاء المشاغبين والمفسدين، بتكثيف الإحاطة بهم، وتوعيتهم بمخاطر توظيفهم واستغلالهم من قبل هذه المجموعات المتطرفة.

وانى انتهز هذه المناسبة لأجدد شكري وتقديري لأخي العزيز القائد معمر القذافي قائد الثورة الليبية للمبادرة الكريمة، التي لقيت لدى شعبنا كل الارتياح بتيسير تنقل التونسيين وأعمالهم بالشقيقة ليبيا، ومعاملتهم مثلهم مثل أشقائهم الليبيين، وهو ما يجسم مجددا ما لمسناه دوما لديه ولدى الشعب الليبي الشقيق من صدق الأخوة وقوة المساندة.

أيها المواطنون

أيتها المواطنات.

إن هذه الأحداث لا يمكن أن تفل من عزمنا، ولا أن تنال من مكاسبنا، بل يجب أن تستخلص جميع الأطراف العبرة منها، وان نواصل مسيرتنا بكل ارادة وحماس، لأن عزة تونس ومناعتها أمانة مقدسة لدى التونسيين والتونسيات جميعا.  
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته".

## نص خطاب حسني مبارك في 1 فبراير 2011

الإخوة المواطنين.

أتحدث إليكم في أوقات صعبة تمتحن مصر وشعبها، وتكاد أن تنجرف بها وبهم إلي المجهول.

يتعرض الوطن لأحداث عصبية، واختبارات قاسية، بدأت بشباب ومواطنين شرفاء، مارسوا حقهم في التظاهر السلمي، تعبيراً عن همومهم وتطلعاتهم، سرعان ما استغلهم، من سعي لإشاعة الفوضى واللجوء إلي العنف والمواجهة، وللقفز علي الشرعية الدستورية، والانقضاض عليها.

تحولت تلك التظاهرات من مظهر راق ومتحضر لممارسة حرية الرأي والتعبير إلي مواجهات مؤسفة، تحركها وتهمين عليها قوى سياسية سعت إلي التصعيد وصب الزيت علي النار، واستهدفت أمن الوطن واستقراره، بأعمال اثاره وتحريض، وسلب ونهب، واشعال للحرائق، وقطع للطرق، واعتداء علي مرافق الدولة، والممتلكات العامة والخاصة، واقتحام لبعض البعثات الدبلوماسية علي أرض مصر .

نعيش معاً أياماً مؤلمة، وأكثر ما يوجع قلوبنا، هو الخوف الذي انتاب الأغلبية الكاسحة من المصريين، وما ساورهم من انزعاج وقلق وهواجس، حول ما سيأتي به الغد، لهم، ولذويهم، وعائلاتهم، ومستقبل ومصير بلدهم .

إن أحداث الأيام القليلة الماضية، تفرض علينا جميعاً، شعباً وقيادة، الاختيار ما بين الفوضى والاستقرار، وتطرح أمامنا ظروفاً جديدة، وواقعاً مصرياً مغايراً، يتعين أن يتعامل معه شعبنا وقواتنا المسلحة، بأقصى قدر من الحكمة، والحرص علي مصالح مصر وأبنائها.

أيها الإخوة المواطنين.

لقد بادرت لتشكيل حكومة جديدة، بأولويات وتكليفات جديدة، تتجاوب مع مطالب شبابنا ورسالتهم، وكلفت نائب رئيس الجمهورية بالحوار مع كافة القوي السياسية، حول كافة القضايا المثارة للإصلاح السياسي والديمقراطي، وما يتطلبه من تعديلات دستورية وتشريعية، من أجل تحقيق هذه المطالب المشروعة، واستعادة الهدوء، والأمن والاستقرار، لكن هناك من القوي السياسية، من رفض هذه الدعوة للحوار، تمسكاً بأجنداتهم الخاصة، ودون مراعاة للظرف الدقيق الراهن لمصر وشعبها.

وبالنظر لهذا الرفض لدعوتي للحوار، وهي دعوة لاتزال قائمة، فإنني أتوجه بحديثي اليوم، مباشرة لأبناء الشعب، بصلاحيه وعماله، مسلميه وأقباطه، شيوخه وشبابه، ولكل مصري ومصرية، في ريف الوطن، ومدنه، علي اتساع أرضه ومحافظاته.

إنني لم أكن يوماً طالب سلطة أو جاه، ويعلم الشعب الظروف العصيبة التي تحملت فيها المسؤولية، وما قدمته للوطن حرباً وسلاماً، كما أنني رجل من أبناء قواتنا المسلحة، وليس من طبعي خيانة الأمانة، أو التخلي عن الواجب والمسؤولية.

إن مسؤوليتي الأولى الآن، هي استعادة أمن واستقرار الوطن، لتحقيق الانتقال السلمي للسلطة، في أجواء تحمي مصر والمصريين، وتتيح تسلم المسؤولية لمن يختاره الشعب في الانتخابات الرئاسية المقبلة.

وأقول بكل الصدق، وبصرف النظر عن الظرف الراهن، انني لم أكن أنتوي الترشح لفترة رئاسية جديدة، فقد قضيت ما يكفي من العمر، في خدمة مصر وشعبها، لكنني الآن، حريص كل الحرص، على أن أختتم عملي من أجل الوطن، بما يضمن تسليم أمانته ورايته، ومصر عزيزة آمنة مستقرة، وبما يحفظ الشرعية ويحترم الدستور.

أقول بعبارات واضحة، إنني سأعمل خلال الأشهر المتبقية من ولايتي الحالية، كي يتم اتخاذ التدابير والإجراءات المحققة للانتقال السلمي للسلطة، بموجب ما يخوله لي الدستور من صلاحيات.

إنني أدعو البرلمان بمجلسيه إلى مناقشة تعديل المادتين 76 و 77 من الدستور، بما يعدل شروط الترشيح لرئاسة الجمهورية، ويعتمد فترات محددة للرئاسة.

ولكي يتمكن البرلمان الحالي بمجلسيه من مناقشة هذه التعديلات الدستورية، وما يرتبط بها من تعديلات تشريعية للقوانين المكملة للدستور، وضماناً لمشاركة كافة القوي السياسية في هذه المناقشات، فإنني أطالب البرلمان بالالتزام بكلمة القضاء وأحكامه، في الطعون علي الانتخابات التشريعية الأخيرة دون إبطاء.

سوف أوالي متابعة تنفيذ الحكومة الجديدة بتكليفاتها، على نحو يحقق المطالب المشروعة للشعب، وأن يأتي أداؤها معبراً عن الشعب، وتطلعه للإصلاح السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، ولإتاحة فرص العمل، ومكافحة الفقر، وتحقيق العدالة الاجتماعية.

وفي ذات السياق، فإنني أكلف جهاز الشرطة، بالاضطلاع بدوره في خدمة الشعب، وحماية المواطنين، بنزاهة وشرف وأمانة، وبالاحترام الكامل لحقوقهم وحياتهم وكرامتهم.

كما أنني أطالب السلطات الرقابية والقضائية، بأن تتخذ علي الفور، ما يلزم من إجراءات لمواصلة ملاحقة الفاسدين، والتحقيق مع المتسببين فيما شهدته مصر من إنفلات أمني، ومن قاموا بأعمال السلب والنهب، واشعال النيران وترويع الأمنين.

ذلك هو عهدي للشعب خلال الأشهر المتبقية من ولايتي الحالية، أدعو الله أن يوفقني في الوفاء به، كي أختتم عطائي لمصر وشعبها، بما يرضي الله والوطن وأبناءه،  
أيه الإخوة المواطنين.

ستخرج مصر من الظروف الراهنة، أقوى مما كانت عليه قبلها، وأكثر ثقة وتماسكاً واستقراراً.

سيخرج منها شعبنا، وهو أكثر وعياً بما يحقق مصالحه، وأكثر حرصاً على عدم التفريط في مصيره ومستقبله.

إن حسني مبارك الذي يتحدث إليكم اليوم، يعتز بما قضاه من سنين طويلة، في خدمة مصر وشعبها. إن هذا الوطن العزيز، هو وطني، مثلما هو وطن كل مصري ومصرية، فيه عشت، وحاربت من أجله، ودافعت عن أرضه، وسيادته ومصالحه، وعلي أرضه أموت، وسيحكم التاريخ علي وعلي غيري، بما لنا أو علينا.

إن الوطن باق والأشخاص زائلون، ومصر العريقة هي الخالدة أبداً، تنتقل رايتها وأمانتها بين سواعد أبنائها، وعلينا أن نضمن تحقيق ذلك بعزة ورفعة وكرامة، جيلاً بعد جيل. حفظ الله هذا الوطن وشعبه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

## بيليوغرافيا البحث:

بالعربية

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
- إبراهيم مصطفى إبراهيم، فلسفة اللغة نشأتها تطورها أبرز أعلامها، دار المعرفة الجامعية الأزاريطة، د ط 2009.
- ابن رشد أبو الوليد، تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الجدل، تحقيق وتعليق محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط 1980.
- ابن منظور الإفريقي المصري أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب دار صادر بيروت، ط6، 1997.
- أراق سعيد، "الخطاب السياسي المفعلات الخطابية وكرطوغرافيا المواقع"، ضمن كتاب قراءات في الخطاب السياسي، إعداد محمد خطابي ولحسن بوتكلاي (مختبر اللغة والمجتمع والخطاب)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن زهر أكادير، الطبعة الأولى، 2016.
- أرسطو طاليس، الخطابة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، الطبعة الثانية 1986.
- إسماعيل صلاح، نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، د ط 2005.

- أسيداه محمد، "السوفسطائية وسلطان القول نحو أصول لسانيات سوء النية"، مجلة عالم الفكر، المجلد 33 العدد 4 أبريل يونيو 2005.
- الأصفهاني الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم دمشق، الطبعة الرابعة، 2009.
- أفاية محمد نور الدين، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة نموذج هابرماس، أفريقيا الشرق الدار البيضاء، الطبعة الثانية 1998.
- أوريكيوني كاترين كيربرات، فعل القول من الذاتية في اللغة، ترجمة محمد نظيف، أفريقيا الشرق الدار البيضاء، دط 2007.
- أوستين جون لانكشو، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، الطبعة الثانية 2008.
- بارت رولان، البلاغة القديمة، ترجمة وتقديم عبد الكبير الشرقاوي، نشر الفنك للغة العربية، مطبعة النجاح الجديدة، دط 1994.
- بارت رولان، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ترجمة عمر أوكان، رؤية للنشر والتوزيع القاهرة، الطبعة الأولى 2011.
- الباهي حسان، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، أفريقيا الشرق الدار البيضاء، دط 2004.
- الباهي حسان، "المغالطات في الخطاب اليومي مقاربة تداولية"، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، تنسيق وتقديم حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث إربد الأردن، الطبعة الأولى 2011.

- برهومة عيسى عودة، "تمثلات اللغة في الخطاب السياسي"، مجلة عالم الفكر، المجلد 36، العدد 1 يوليو سبتمبر 2007.
- بشارة عزمي، الثورة التونسية المجيدة بنية ثورة وصيرورتها من خلال يومياتها، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات الدوحة قطر، الطبعة الأولى يناير 2012.
- بغورة الزاوي، الفلسفة واللغة نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة بيروت، الطبعة الأولى 2005.
- بغورة الزاوي، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، دط 2000.
- بلانشيه فليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تعريب صابر الحباشة وعبد الرزاق الجماعي، عالم الكتب الحديث إربد الأردن، الطبعة الأولى 2012.
- بلّيت هنريش، البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة وتقديم وتعليق محمد العمري، أفريقيا الشرق الدار البيضاء، دط 1999.
- بن أحمد يوسف، "القصدية ومشكل تأسيس الفينومينولوجيا عند هوسرل"، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 140-141، 2007.
- بنكراد سعيد، الصورة الإشهارية آليات الإقناع والدلالة، المركز الثقافي العربي بالدار البيضاء، الطبعة الأولى 2009.
- بوقرة نعمان، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث إربد الأردن، الطبعة الأولى 2009.

- بوقرة نعمان، المدارس اللسانية ، مكتبة الآداب القاهرة، الطبعة الأولى 2003.
- التهانوي محمد علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (الجزء الأول)، تقديم وإشراف ومراجعة رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى 1996.
- التوحيدى أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة، اعتنى به وراجعه هيثم خليفة الطعيمي، المكتبة العصرية بيروت، دط 2011.
- التوحيدى أبو حيان، الامتاع والمؤانسة، صححه وضبط شرح غريبه أحمد أمين وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ج1.
- الجابري محمد عابد، "الإصلاح السياسي"، المجلة المغربية لعلم السياسة، العدد 1 نونبر 2010 .
- الحباشة صابر، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر دمشق، الطبعة الأولى 2008.
- حمادة أمل، "25 كانون الثاني/ يناير 2011 القائد والفاعل والنظام"، ضمن كتاب: الثورة المصرية الدوافع والاتجاهات والتحديات، مجموعة من المؤلفين، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات الدوحة قطر، الطبعة الأولى 2012.
- حمود محمود، تدريس الأدب، إستراتيجية القراءة والإقراء، منشورات ديداكتيكا، مطبعة النجاح الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1993.
- الحميري عبد الواسع، الخطاب والنص المفهوم العلاقة السلطة، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2008.

- خوري أنطوان، مدخل إلى الفلسفة الظاهرانية، دار التنوير للطباعة والنشر بيروت، الطبعة الأولى 1984.
- دانكان جان ماري، علم السياسة، ترجمة محمد عرب صاصيلا، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت، ط، 1997.
- الدا هي محمد، "التواصل بين الإقناع والتطبيع مقارنة تداولية" ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، تنسيق وتقديم حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث إريد الأردن، الطبعة الأولى 2011.
- دلاش الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ط 1992.
- الرّجال علي، "ثورة على نمط الثورات.. محاولة لفهم طبيعة الثورة المصرية ونمطها"، ضمن كتاب الثورة المصرية الدوافع والاتجاهات والتحديات، مجموعة من المؤلفين، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات الدوحة قطر، الطبعة الأولى 2012
- الرضي رشيد، الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2010.
- الرضي رشيد، "مفهوم الموضوع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لأنسكومبر وديكرو"، مجلة عالم الفكر، العدد 2 المجلد 40 أكتوبر ديسمبر 2011.
- ريبول آن وموشلار جاك، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني ومراجعة لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2003.

- **الريفي هشام**، "الحجاج عند أرسطو"، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية تونس 1، كلية الآداب منوبة، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمادي صمود، سلسلة آداب المجلد 39/1998.
- **الزياني عثمان**، الخطاب السياسي في المغرب بين منزلقات البلاغة وزلات اللسان، منشورات مجلة الحقوق (الإصدار 46)، دار نشر المعرفة الرباط، دط 2017.
- **زيدان محمود فهمي**، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، دط 1985.
- **سحالية عبد الحكيم**، "التداولية"، مجلة المخبر العدد 5 مارس 2009.
- **سرحان إدريس**، "التأويل الدلالي التداولي للمفوضات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول"، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، تنسيق وتقديم حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث إربد الأردن، الطبعة الأولى 2011.
- **سرحان إدريس**، طرق التضمين الدلالي والتداولي في اللغة العربية وآليات الاستدلال، ج1، بحث لنيل الدكتوراه، إشراف الأستاذ الدكتور محمد الشاد، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرز فاس 1420 - 1421 / 1999-2000.
- **سماح رافع محمد**، الفينومينولوجيا عند هوسرل دراسة نقدية في التجديد الفلسفي المعاصر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى 1991.
- **السيدي محمد**، "إشكال المعنى من الاستعارة إلى الاستلزام الحوارية"، مجلة فكر ونقد العدد 25 يناير 2000.

- شارودو باتريك ومانغينو دومينيك، معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر المهيري وحمادي صمود، المركز الوطني القومي للترجمة تونس، منشورات دار سيناترا ، دط 2008.
- الشهري عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب مقارنة تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2004.
- صحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت، الطبعة الأولى 2005.
- صولة عبد الله، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع تونس، الطبعة الأولى 2011.
- طه عبد الرحمن، أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، الطبعة الثانية 2000.
- طه عبد الرحمن، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، الطبعة الثانية 2006.
- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، الطبعة الثالثة 2012.
- طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقديم التراث، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، الطبعة الثانية دت.
- عادل عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان الرباط، الطبعة الأولى 2013.

- **عبد الجليل رعد**، "مفهوم السلطة السياسية مساهمة في دراسة النظرية السياسية"، مجلة دراسات دولية، مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية، جامعة بغداد، العدد 37 سنة 2008.
- **عبد الحق صلاح إسماعيل**، التحليل اللغوي في مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر بيروت، الطبعة الأولى 1993.
- **عبد اللطيف عماد**، بلاغة الحرية معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2012.
- **عبد اللطيف عماد**، "تحليل الخطاب السياسي في العالم العربي، التاريخ والمناهج والآفاق، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب"، العدد السادس 2015.
- **عبد اللطيف عماد**، "مبادئ البلاغة كيف نطوع البلاغة الكلاسيكية لدراسة الخطابة المعاصرة؟"، ضمن كتاب بلاغة الخطاب السياسي، إعداد وتنسيق محمد مشبال، منشورات ضفاف بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2016.
- **العبد محمد**، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي القاهرة مصر، دط 2014.
- **عبيد حاتم**، "منزلة العواطف في نظرية الحجاج"، عالم الفكر، العدد 2 المجلد 40 أكتوبر ديسمبر 2011.
- **الغزاوي أبو بكر**، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الطبعة الأولى 2006.
- **العسكري أبو هلال**، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى 1952.

- **عشير عبد السلام**، إشكالات التواصل والحجاج مقارنة تداولية معرفية، بحث لنيل دكتوراه الدولة في اللسانيات التداولية، إشراف الأستاذ الدكتور محمد الشاد، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرز فاس، السنة الجامعية 1999-2000.
- **عشير عبد السلام**، عندما نتواصل نغير مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، أفريقيا الشرق الدار البيضاء، دط 2006.
- **عليوي أباسيدي**، الحجاج والتفكير النقدي، دار نشر المعرفة، الرباط، دط، 2014.
- **العماري عبد الرحيم**، نسق التواصل السياسي بالمغرب المعاصر، منشورات زاوية الفن للثقافة، مطبعة دار القرويين بالدار البيضاء، الطبعة الأولى 2005.
- **عمراني المصطفى**، التواصل نماذج ورهانات، عالم الكتب الحديث إربد الأردن، الطبعة الأولى 2016.
- **العمري محمد**، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، أفريقيا الشرق الدار البيضاء، دط 2013.
- **العمري محمد**، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق الدار البيضاء، دط 2005.
- **عواد عبد القادر**، "آليات التداولية في الخطاب، الخطاب الأدبي أنموذجا"، مجلة علامات في النقد ج74 المجلد 19، شعبان 1432 يوليوز 2011.
- **العيادي عبد العزيز**، مشيل فوكو المعرفة والسلطة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت، الطبعة الأولى 1994.

- غنيم وائل، الثورة 2.0، دار الشروق، الطبعة الأولى 2012.
- الفاسي الفهري عبد القادر، (أشغال الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات نونبر 1985)، سلسلة اللسانيات العدد السادس 1986،.
- فان دايك توين، الخطاب والسلطة، ترجمة غيداء العلي ومراجعة وتقديم عماد عبد اللطيف، المركز القومي للترجمة القاهرة، (العدد 2419)، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى 2014.
- فان ديك توين، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق الدار البيضاء، دط 2000.
- الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط (المجلد الأول)، دار الجيل المؤسسة العربية للطباعة والنشر بيروت لبنان، الطبعة الأولى دت.
- القارصي محمد علي، "البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ماير"، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية تونس 1، كلية الآداب منوبة، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمادي صمود، سلسلة آداب المجلد 1998/39.
- لالاند أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية (المجلد الثاني)، تعريب خليل أحمد خليل، عويدات للنشر والطباعة بيروت لبنان، دط 2008.
- لاينز جون، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة وزارة الثقافة والإعلام بغداد، الطبعة الأولى 1987.
- لويون غوستاف، سيكولوجيا الجماهير، ترجمة وتقديم هاشم صالح، دار الساقي بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1991.

- **المبخوت شكري**، إنشاء النفي وشروطه النحوية الدلالية، مركز النشر الجامعي تونس، دط 2006.
- **المبخوت شكري**، "نظرية الحجاج في اللغة"، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية تونس1، كلية الآداب منوبة، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمادي صمود، سلسلة آداب المجلد 1998/39.
- **المتوكل أحمد**، "السياق موارد ومواده وأنماطه توطئة لمكون سياقي" مندمج، ضمن كتاب التداوليات وتحليل الخطاب، تنسيق وتقديم حافظ إسماعيلي علوي ومنتصر أمين عبد الرحيم، درا كنوز المعرفة للنشر والتوزيع عمان، دط 2013.
- **المتوكل أحمد**، الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، دار الأمان الرباط، الطبعة الأولى 2010.
- **مجمع اللغة العربية** (مجموعة من اللغويين) المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية مصر، الطبعة الرابعة 2004.
- **محمد يونس علي محمد**، مدخل إلى اللسانيات دار الكتاب الجديدة المتحدة بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2004.
- **مشبال محمد**، "بلاغة العنف في خطاب الحجاج"، ضمن كتاب بلاغة الخطاب السياسي. ضمن كتاب بلاغة الخطاب السياسي، إعداد وتنسيق محمد مشبال، منشورات ضفاف بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2016
- **مندور محمد**، الأدب وفنونه، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الخامسة 2006.

- **مونسي حبيب**، "الوجه الآخر للبلاغة العربية مراجعة في الأسس والمنطلقات مع مصطفى ناصف"، مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب جامعة مولود معمري تيزيوزو، العدد الثامن الخاص بملتقى البلاغة وتحليل الخطاب أيام 11 و12 و13 أبريل 2011.
- **ميلز سارة**، الخطاب، ترجمة عبد الوهاب علوب، المركز القومي للترجمة القاهرة (العدد 2581)، الطبعة الأولى 2010.
- **الناجح عز الدين**، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع صفاقس تونس، الطبعة الأولى 2011.
- **نصار ناصيف**، منطق السلطة مدخل إلى فلسفة الأمر، دار أمواج للنشر والتوزيع بيروت، الطبعة الثانية 2001.
- **الوالي محمد**، "مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان"، مجلة عالم الفكر، العدد 02 المجلد 40 أكتوبر ديسمبر 2011.
- **وليد نور م.م**، الاقتضاء التخاطبي دراسة تداولية في آيات من سورة الأنعام، ضمن كتاب التداولية في الحديث اللغوي والنقدي. مجموعة من الباحثين، مؤسسة السياب لندن، الطبعة الأولى 2012.
- **يقطين سعيد**، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع بيروت/الدار البيضاء، الطبعة الثالثة 1997.

- **Amossy Ruth et Koren Roselyne**, "Argumentation et discours politique", Mots. Les langages du politique, N° 94 novembre 2010.
- **Amossy Ruth**, "L'éthos et ses doubles contemporains Perspectives disciplinaires", Langage & Société, N°149 septembre 2014.
- **Armengaud Françoise**, La pragmatique (Que sais-je ?), presses Universitaire de France, 1er édition 1985.
- **Austin J.L.**, How to do things with words, Oxford University press, printed in great Britain 1962.
- **Benveniste Emile**, problèmes de linguistique générale<sup>1</sup>, Editions Gallimard 1966.
- **Braud Philippe**, "L'expression émotionnelle dans le discours politique", Recherches en Communication,( n° 41) 2014.
- **Breton Philippe**, Convaincre sans manipuler ; Apprendre à argumenter, Edition La Découverte, Paris 2008.
- **Breton Philippe**, L'argumentation dans la communication, Éditions La Découverte, Paris, 3 éd 2003.
- **Brown Gillian and Yule George**, Discourse Analysis, Cambridge University Press New York, First published 1983.
- **Charaudeau Patrick**, "Le charisme comme condition du leadership politique", Revue Française des Sciences de l'Information et de la Communication, (n°7) 2015.
- **Charaudeau Patrick**, "Le discours de manipulation entre persuasion et influence sociale", (Acte du colloque de Lyon,

2009), (<http://www.patrick-charaudeau.com/Le-discours-de-manipulation-entre.html>).

- **Charaudeau** Patrick, Le discours politique les masques du pouvoir, Librairie Vuibert paris 2005.
- **Charaudeau** Patrick, "Quand l'argumentation n'est que visée persuasive, L'exemple du discours politique", in Burger M. et Martel G, Argumentation et communication dans les médias, Coll Langue et pratiques discursives, Éditions Nota Bene, Québec 2005.
- **Dorna** Alexandre, "Les effets langagiers du discours politique", Hermès, La Revue 2 (n° 16) 1995.
- **Dorna** Alexandre, "Pistes pour une étude contextuelle du discours politique populiste", Bul-letin de psychologie 6 (n°492) 2007.
- **Ducrot** Oswald, Dire et ne pas dire principes de sémantique linguistique, Edition Hermann, 2 éme édition paris 1980.
- **Ducrot** Oswald, Les échelles argumentatives, les éditions de Minuit, paris 1980.
- **Grice** H. paul, "Logic and Conversation". In syntax and semantics, vol 3, speech acts, Ed by petre cole and jerry L. morgan, Academie press,New york, 1975.
- **Íñigo-Mora** Isabel, "On the use of the personal pronoun we in communities", Journal of Language and Politics, Volume3 Issue1(2004).
- **Jowett** Garth S. and **O'Donnell** Victoria, Propaganda and Persuasion, SAGE Publications, Inc Thousand Oaks California, third edition 1999.

- **Le Bart** Christian, Le discours politique (Que sais-je ?), Paris, PUF 1998.
- **Leech** Geoffrey.N., Principles of Pragmatics, Longman London and New york, first published 1983.
- **Maingueneau** Dominique, Le contexte de l'œuvre littéraire Enonciation, écrivain, société, Edition Dunod, Paris 1993.
- **Maitland** Karen and **Wilson** John, "Pronominal selection and ideological conflict", Journal of Pragmatics, Volume 11 Issue 4 August 1987.
- **Meyer** Michel, Qu'est ce que l'argumentations ?, Cheminns philosophiques, Librairie philosophique, J. Vrin 2005.
- **Moeschler** Jacques et **Reboul** Anne, Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, éditions du seuil 1994.
- **Nerlich**. B , "History of pragmatics", in Concise Encyclopedia of pragmatics , Jacob L Mey, Elsevier Science, Second Edition 2009.
- **Orécchéoni** Catherine Kerbrat, L'implicite, Edition Armand Colin, paris 1986.
- **Perelman** Chaïm et **Teteca** Lucie Olbrechts, Traité de l'argumentation – la nouvelle rhétorique, préface de Michel Meyer, Editions de l'université de Bruxelles, 6<sup>e</sup> édition 2008.
- **Perelman** Chaïm , L'empir rhétorique – Rhétorique et argumentation, librairie philosophique, J. VRin paris, 2 édition 2002.
- **Peter** Bull and **Anita** Fetzer, "Who are we and who are you? The strategic use of forms of address in political interviews", Text & Talk, Volume 26 Issue 1 Jan 2006.

- **rey** Alain, Le Robert Micro ; Dictionnaire d'apprentissage du français, Le Robert ,Edition 1998.
- **Searle** John R., Les actes de langage: essai de philosophie du langage, traduit par Hélène Pauchard, Edité par Paris Hermann 1972.
- **Searle** John.R., Expression and Meaning Studies in the theory of speech acts, Cambridge University press, printed in the united states of America 1979.
- **Spender** Jennifer, Presuppositions in spoken discourse, Akademitryck AB, Edition Sbruk Sweden 2002.
- **Tchakhotine** Serge, Le Viol des foules par la propagande politique, Editions Gallimard 1952.
- **van Dijk** Teun, "Discourse and manipulation", Discourse & Society, vol 17/ 2006, SAGE Publications.
- **van Dijk** Teun, "What is Political Discourse Analysis?", In Political Linguistics, Edited by Jan Blommaert and Chris Bulcaen, Belgian Journal of Linguistics, Volume 11 Issue 1,Jan 1997.

#### المواقع الإلكترونية:

<http://www.patrick-charaudeau.com/Le-discours-de-manipulation-entre.html>

[https://ar.wikipedia.org/wiki/الثورة\\_التونسية#تسلسل\\_الأحداث](https://ar.wikipedia.org/wiki/الثورة_التونسية#تسلسل_الأحداث)

[https://ar.wikipedia.org/wiki/التسلسل\\_الزمني\\_لثورة\\_25\\_يناير#أحداث\\_شهر\\_يناير](https://ar.wikipedia.org/wiki/التسلسل_الزمني_لثورة_25_يناير#أحداث_شهر_يناير)

<https://www.youtube.com/watch?v=dKg0PN12xZ8>

<https://www.youtube.com/watch?v=5Ffp0EZ-fi8>

[https://www.youtube.com/watch?v=9\\_06qCKV3bE](https://www.youtube.com/watch?v=9_06qCKV3bE)

## فهرس الموضوعات

4.....	مقدمة
15.....	الباب الأول: التداوليات والحجاج، المفاهيم والأسس النظرية
16.....	تمهيد
18.....	الفصل الأول:المبادئ والمرتكزات النظرية للتداوليات
19.....	المبحث الأول:التداوليات المفهوم والأصول المعرفية
19.....	1-التداوليات المفهوم وإشكالية المصطلح
19.....	1-1- مفهوم التداوليات
24.....	1-2- إشكالية المصطلح
27.....	2- الأصول المعرفية للتداوليات
27.....	1-2-السميائيات
27.....	1-1-2- إسهام بورس
29.....	2-1-2- اجتهادات شارل وليام موريس
30.....	2-2- الأصول الفلسفية
34.....	2-2-1- الوضعانية المنطقية
36.....	2-2-2- الظاهراتة اللغوية
38.....	2-2-3- فلسفة اللغة العادية
40.....	المبحث الثاني: تداولية الإنجاز الكلامي بين اجتهادات أوستين وسيرل

- 40..... 1- نظرية الأفعال الكلامية عند أوستين
- 40..... 1-1- اللغة والوهم الوصفي
- 42..... 1-2- عناصر الفعل الكلامي عند أوستين
- 45..... 1-3- تصنيف القوى الإنجازية
- 48..... 2- نظرية الأفعال الكلامية عند سيرل
- 48..... 1-2- معايير تصنيف القوى الإنجازية
- 53..... 2-2- أصناف القوى الإنجازية
- 56..... 2-3- عناصر الفعل الكلامي عند سيرل
- 58..... 2-4- إنجازية الأفعال غير المباشرة
- 62..... المبحث الثالث: أهم مرتكزات التأويل الدلالي التداولي في تحليل الخطاب.
- 62..... 1- السياق
- 63..... 1-1- السياق اللساني
- 63..... 1-1-1- السياق اللساني الصرف
- 64..... 1-1-2- السياق شبه اللساني
- 65..... 1-2- السياق غير اللساني
- 66..... 1-2-1- المعطيات السياقية الثابتة
- 66..... 2-2-1- المعطيات السياقية المتغيرة
- 68..... 2- الاستلزام الحواري: Conversational Implicature
- 77..... 3- الافتراض المسبق Presupposition

- 4- الإشارات..... 81
- الفصل الثاني: الحجاج، أهم النظريات والمفاهيم والآليات ..... 88
- المبحث الأول: في مفهوم الحجاج..... 89
- المبحث الثاني:- الحجاج في البلاغة القديمة ..... 92
- 1- البلاغة بين السفسطائيين وأفلاطون ..... 92
- 2- البلاغة والحجاج في تصور أرسطو ..... 93
- المبحث الثالث: الحجاج في البلاغة الجديدة ..... 98
- 1- الحجاج في البلاغة الجديدة نظرة عامة ..... 98
- 2- المنطلقات الحجاجية. .... 102
- 3- طرائق العرض الحجاجي ..... 105
- 4- تقنيات الحجاج ..... 107
- المبحث الرابع:- نظرية الحجاج في التداولية المدمجة ..... 112
- 1- التداولية المدمجة والحجاج..... 112
- 2- السلم الحجاجي ..... 116
- 3- الربط الحجاجي ..... 121
- 4- المواضع ..... 123
- المبحث الخامس: الحجاج ونظرية المساءلة ..... 128
- 1- البلاغة والمساءلة ..... 128
- 2- الحجاج في نظرية المساءلة ..... 129

المبحث السادس:- الحجاج ومقتضيات الإقناع .....	133
خاتمة الباب الأول .....	138
الباب الثاني: تحليل الخطاب السياسي والمرتكزات الإستراتيجية للتأثير والتطبيع الجماهيري	
في خطاب السلطة.....	140
تمهيد .....	141
الفصل الأول: الخطاب وتحليل الخطاب السياسي .....	142
المبحث الأول: الخطاب وتحليل الخطاب .....	143
1- في مفهوم الخطاب.....	143
2- تحليل الخطاب .....	148
المبحث الثاني: تحليل الخطاب السياسي.....	154
1- الخطاب السياسي، المفهوم والوظائف .....	154
1-1- مفهوم السياسة .....	154
1-2- مفهوم الخطاب السياسي .....	156
1-3- وظائف الخطاب السياسي .....	159
2- تحليل الخطاب السياسي في الدراسات الغربية والدراسات العربية .....	163
1-2- تحليل الخطاب السياسي في الدراسات الغربية.....	163
2-2- تحليل الخطاب السياسي في الدراسات العربية.....	166
الفصل الثاني: الخطاب السياسي الصادر عن السلطة، مرتكزات التأثير وإستراتيجيات	
التطبيع الجماهيري.....	168

- المبحث الأول : المرتكزات العامة للتأثير وتطويع الجماهير في الخطاب السياسي الصادر  
عن السلطة ..... 169
- 1- الخطاب السياسي بين سلطة الخطاب وخطاب السلطة ..... 169
- 1-1- الخطاب السياسي لمظهر للسلطة ..... 169
- 1-2- الخطاب السياسي وسلطة اللغة ..... 172
- 2- أبعاد التخطيط الإستراتيجي في الخطاب السياسي الجماهيري ..... 179
- 2-1- مفهوم الإستراتيجية ..... 179
- 2-2- أبعاد التخطيط الإستراتيجي في الخطاب السياسي الجماهيري ..... 181
- 2-2-1- التحكم في البناء الخطابي ..... 183
- 2-2-2- التحكم في السياق ..... 188
- 3- طبيعة التواصل في الخطاب السياسي الجماهيري ..... 192
- 4- استحضار الانقياد اللاواعي للجماهير ..... 194
- المبحث الثاني: إستراتيجيات تطويع الجماهير في الخطاب السياسي الصادر عن السلطة،  
محددات عامة ..... 198
- 1- مفهوم التطويع ..... 198
- 2- أشكال الاستجابة التأثيرية المستهدفة في الخطاب السياسي الجماهيري الصادر عن  
السلطة ..... 199
- 3- إستراتيجيات التطويع الجماهيري المهيمنة في الخطاب السياسي الصادر عن  
السلطة ..... 200
- 3-1- استنفار الأهواء ..... 201

- 204 ..... 3-2- التبسيط المسرف
- 205 ..... 3-3- التضخيم المبالغ فيه
- 205 ..... 3-4- ركوب الالتباس
- 206 ..... خاتمة الباب الثاني
- الباب الثالث: إستراتيجيات التأثير وأبعاد التطوع الجماهيري في الخطاب السياسي الصادر  
عن السلطة، دراسة تطبيقية ..... 208
- 209 ..... تمهيد
- الفصل الأول: الإستراتيجيات التداولية والحجاجية وأبعاد التطوع في نموذج من خطاب زين  
العابدين بنعلي ..... 213
- المبحث الأول: السياق العام لخطاب زين العابدين بنعلي ..... 214
- المبحث الثاني: تداولية الأفعال الإنجازية والتأشير الإحالي والافتراض المسبق ..... 219
- 1- مرتكزات الإنجاز الكلامي وأبعاده التداولية والتأثيرية ..... 219
- 1-1- التهديد والوعيد ..... 219
- 1-2- الوعد ..... 221
- 1-3- التأسف ..... 223
- 1-4- المواساة ..... 224
- 2- تداولية الإحالات الشخصية وأبعادهما التأثيرية ..... 227
- 3- الافتراض المسبق وخلفية إنكار الواقع: نجاح البلد ..... 232
- المبحث الثالث: منزلقات البناء الحجاجي من الإقناع العقلي إلى الاستهواء والتغليب ..... 234
- 1- مرتكزات الإستراتيجية للبناء الحجاجي وأبعاد الاستهواء والتضليل ..... 234

- 234 ..... 1-1- إستراتيجية الترهيب والحجاج بالعقاب
- 241 ..... 1-2- إستراتيجية الحجاج بشيظة الموقف المعارض
- 246 ..... 1-3- إستراتيجية الحجاج المستهدف لبناء صورة الذات
- 250 ..... 2- أبعاد التضليل والتغليب الحجاجي
- 250 ..... 2-1- الالتباس
- 253 ..... 2-2- مغالطة الخبير المجهول
- 255 ..... 2-3- مغالطة رجل القش
- الفصل الثاني: الإستراتيجيات التداولية والحجاجية وأبعاد التطوع في نموذج من خطاب  
260 ..... حسني مبارك
- 261 ..... المبحث الأول: السياق العام لخطاب حسني مبارك
- 268 ..... المبحث الثاني: تداولية الإنجاز الكلامي والإشارات الشخصية
- 268 ..... 1- مرتكزات الإنجاز الكلامي
- 268 ..... 1-1- إنجاز الفخر
- 269 ..... 2-1- إنجاز التآلم
- 271 ..... 3-1- الإشفاق والتوجس
- 272 ..... 4-1- إنجاز التحذير
- 273 ..... 5-1- إنجاز الوعد
- 275 ..... 2- تداولية الإشارات الشخصية
- 280 ..... المبحث الثالث: إستراتيجيات الحجاج ومرتكزاته ورهانات الاستهواء والتغليب

- 1- إستراتيجيات الحجاج من رهان الإقناع إلى رهان الاستهواء والتضليل ..... 280
- 1-1- إستراتيجية التخويف ..... 280
- 1-2- إستراتيجية تكييد الموقف المعارض ..... 284
- 1-3- إستراتيجية إعادة بناء صورة الذات ..... 289
- 2- أبعاد التغليف الحجاجي ..... 291
- 2-1- الالتباس ..... 291
- 2-2- مغالطة الأبيض أو الأسود ..... 295
- 2-3- مغالطة التحيز ..... 297
- خاتمة الباب الثالث ..... 299
- خاتمة البحث ..... 302
- ملحق البحث: نص خطاب الرئيس زين العابدين بنعلي في 10 يناير 2011 ..... 308
- ملحق البحث: نص خطاب حسني مبارك يوم 1 فبراير 2011 ..... 314
- بيلبيوغرافيا البحث: ..... 318
- فهرس الموضوعات ..... 334